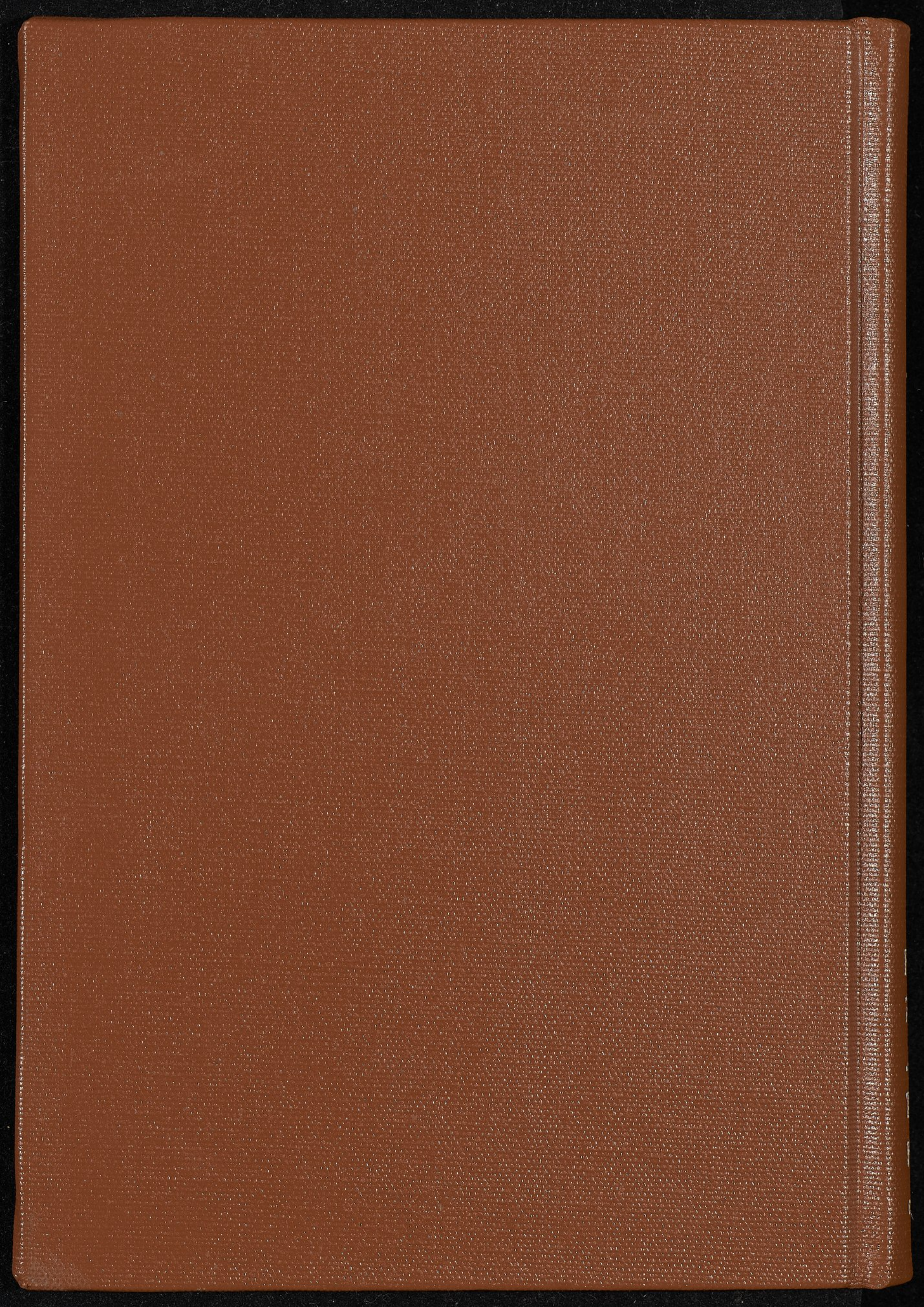
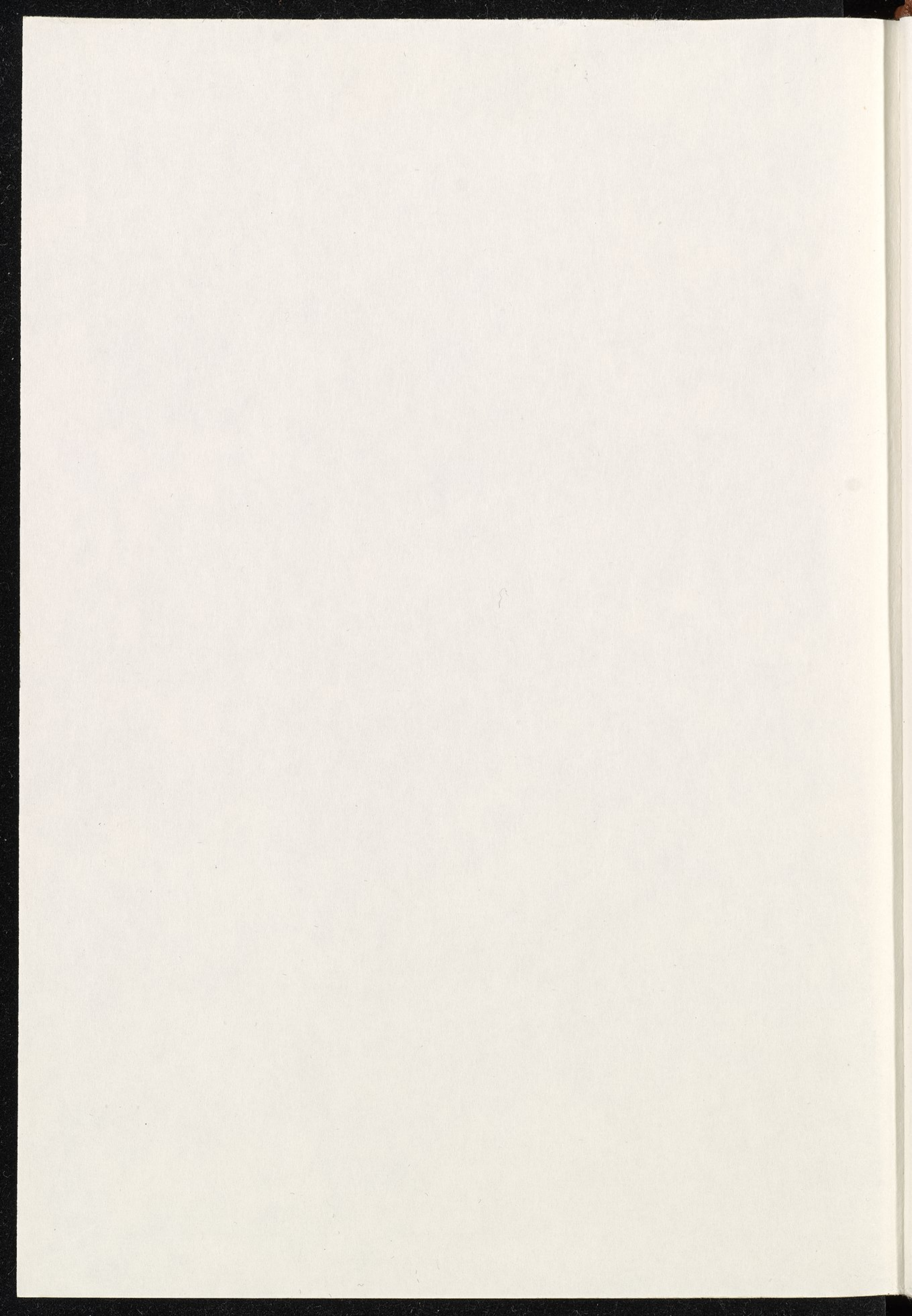
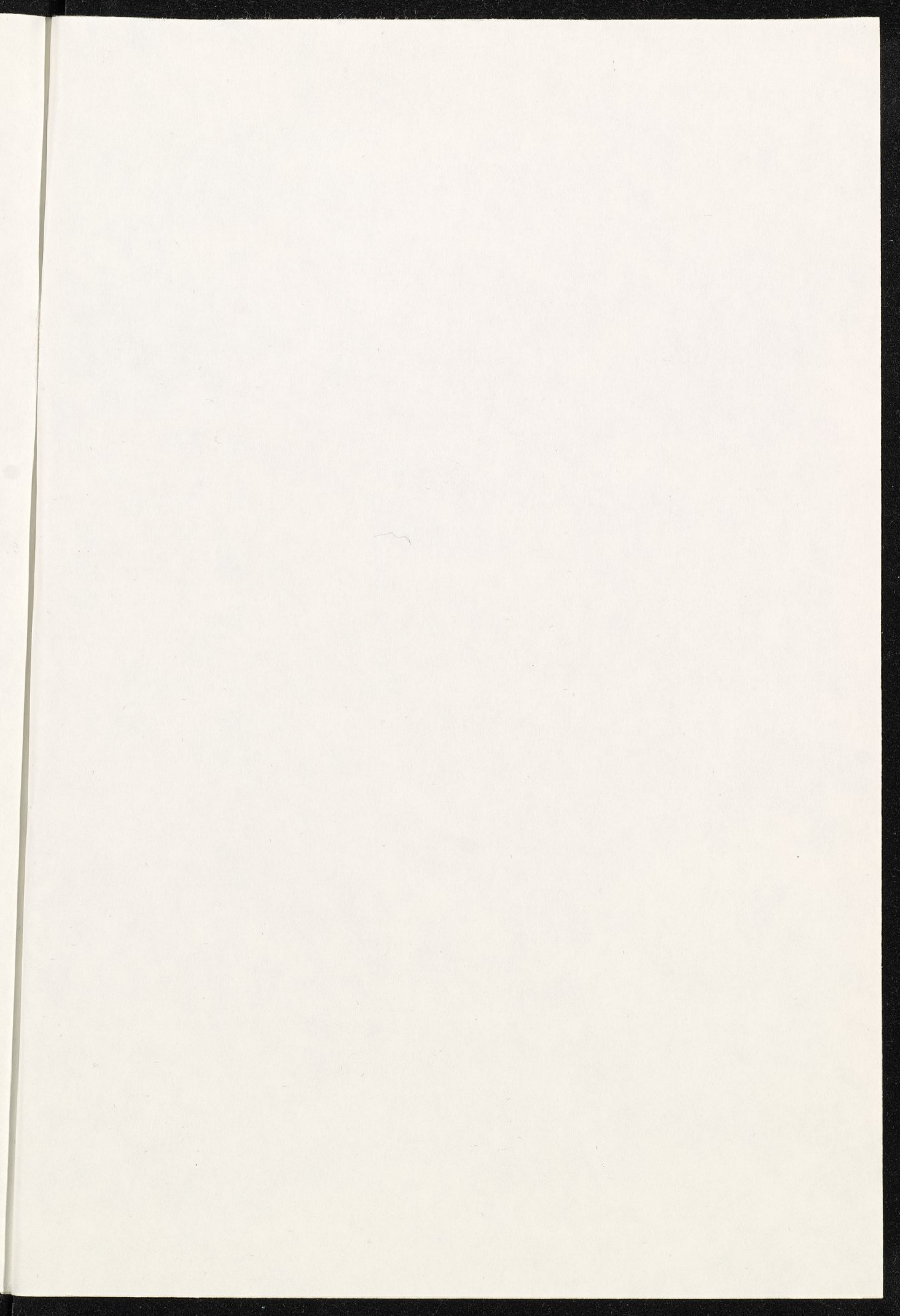
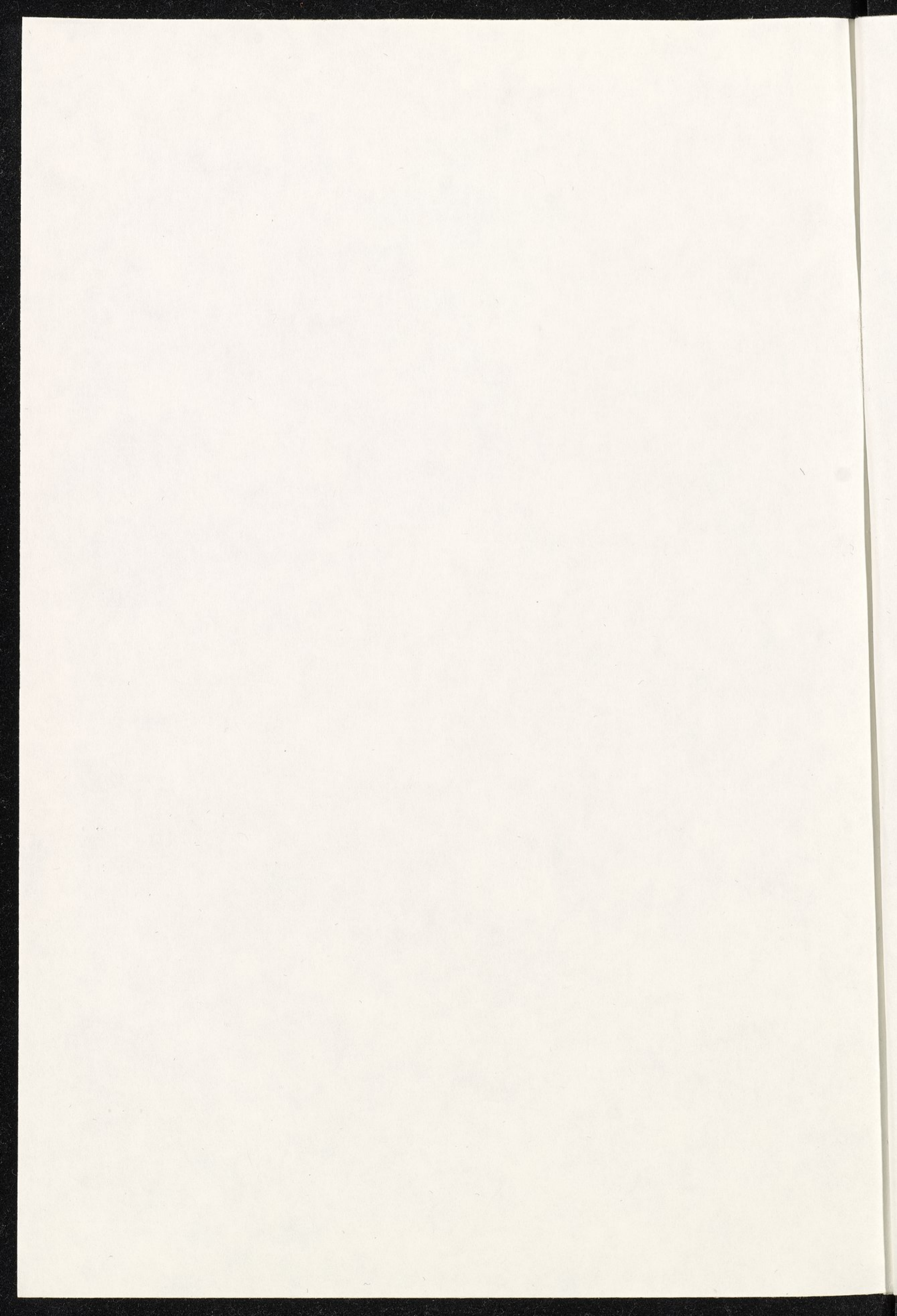
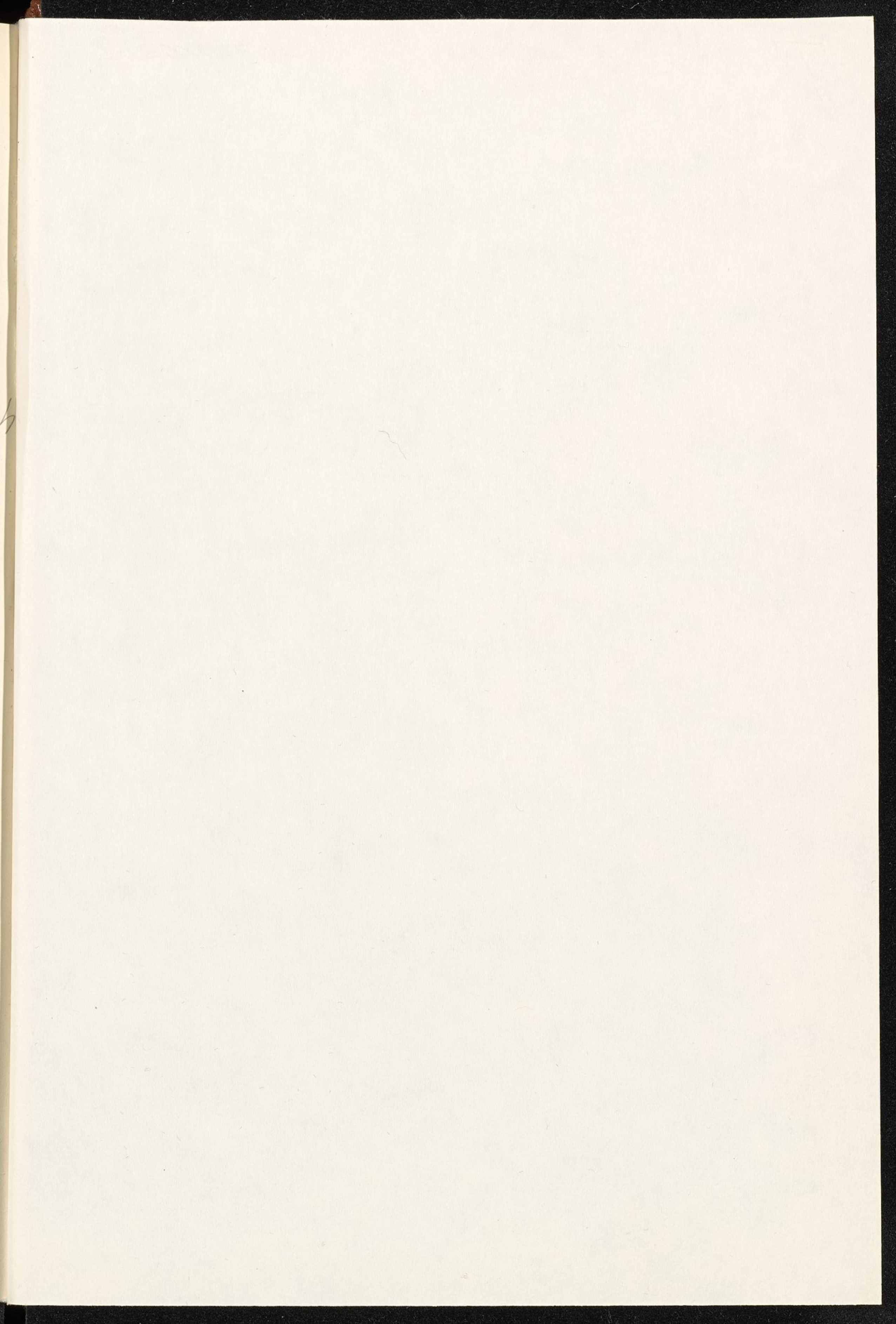










المعلقة الإسلامية

في تاريخ

الكعبة والمسجد الحرام

نظم

"اليعربي" محمد محمد توفيق

شرح

محمد أمين التميمي

الطبعة الأولى

١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م

طبعت

على نفقة المحسن الشعبي السعودي الموفق
حضرة صاحب المعالي وزير الدولة السيد حسن الشربتلي

الإهداء

مُعَلَّقَتِي ! والشَّرْحُ شَرْحُ « تَميمِ »[1] !

إِلَى مَلِكٍ نُهْدِيكِ جِدِّ عَظِيمِ . .

هُـو الْأَمَلُ المِبْسَامُ فِي غُرَّةِ الحِمَى

وَيَحْـكُمُ بِالْقُرْآنِ حُـكْمَ حَـكِيمِ

وَشَرْحُ « أَمِينٍ »[2] زَادَ شِعْرِي مَـكَانَةً

وَمَاجَ بِيَمٍّ مِنْ مُحِيطٍ عَلِيمِ

وَثَوَّبَهُ رَبٌّ رَعِي كَعْبَةَ الوَرَى

بِخِدْمَـــةِ مَلْكٍ مُؤْمِنٍ وَكَرِيمِ

أَقُولُ لِجِيلٍ بَعْـــدَ جِيلٍ وَغَابِرٍ

أَفِيمَا مَضَى والآتِي صَنْوُ نَظِيمِي ؟

بَرَزْنَا بِهَا نَهْجَ الأُولَى عَلَّقُوا الهَوَى

وَمَا افْتَخَرُوا ـ والشِّعْرُ شِعْرُ حُسُومِ[3]

---

(١) و (٢) هو الأستاذ محمد أمين التميمي شارح هذه المعلقة .

(٣) حسوم : أى شؤم ، لأن المعلقات كانت فى عهد الجاهلية والـكفر ، أما هذه المعلقة فأسلامية .

مُعلَّقةً لِلدِّينِ ، طالَتْ ، وَغيْرُها

يُقصِّرُ عَنْ رَقْمٍ لَدَيَّ رَقِيمِ

فَإِنْ كُنْتُ يا « حسْناءُ » أَرْضَيْتُ خالِقِي

فَهَلْ لِي حُسانٌ فِي دِيَارِ نَعِيمِ ؟

وَأَنْتَ « سُعُودَ » العُرْبِ ! فاقْبَلْ هَدِيَّةً

إِلَى عاهِلٍ لِلْمُسْلِمِينَ ، زَعِيمِ .. !

يا طويل العمر..!

سَلِ العُلاَّمَ وَالْمُهَجَ الذَّكِيَّهْ

وَثَمَّ « مُعَلَّقَاتٌ » جَاهِلِيَّهْ

بِهَا خَمْرٌ .. هَوًى .. فَخرٌ .. قِتَالٌ

وَمِنْ كُفْرٍ وُحِيٌّ سَبْسَبِيَّهْ

أَجَازَ — وَذِى « مُعَلَّقَتِى » ، وَفَاقَتْ

سِوَاهَا ، فَهْىَ شَامِخَةٌ ، قَوِيَّهْ ..

وَطَالَتْ ، فَهْىَ فِى عَدَدٍ كَسَبْعٍ[1]

مِنَ الشِّعْرِ الَّذِى بَهَرَ البَرِيَّهْ

وَمَا فُصُحٌ لَهُمْ مِثْلِى اقْتِدَارٌ

عَلَى تِلْكَ الكُنُوزِ « اليَعْرُبِيَّهْ »

أَقُولُ : أَجَازَ تَعْلِيقٌ لِشِعْرِى

عَلَى أَسْتَارِ « كَعْبَتِنَا » السَّنِيَّهْ ؟

فَإِنْ يَكُ جَائِزاً جِئْنَاكَ نَسْعَى

وَعَلَّقْتُ « المُعَلَّقَةَ » الجَوِيَّهْ ..

---

(١) ذلك أن معلقة « اليعربى » تزيد فى عدد أبياتها على المعلقات السبع مجتمعة .

وَجِئْتَ مَعِي إِمَامًا حَبَّ رَبًّا

وَرُسْلَهُ ، وَكَعْبَتَهُ العَلِيَّهْ

تُشَرِّفُنِي . . تُشَرِّفُ شِعْرَ دِينٍ

وَتُثْبِتُ عَطْفَ أُسْرَتِكَ التَّقِيِّهْ !

فَإِنَّكَ خَادِمٌ « لِلْبَيْتِ » تَرْجُو

بِخِدْمَتِهِ جِنَانًا أُخْرَوِيَّهْ

تعريف الشارح

الحمد لله الذى أنزل القرآن بلسان عربى مبين ، والصلاة والسلام على النبى العربى الأمى محمد سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد فكم كان يحز فى نفسى أن أسمع بأن مستشرقاً خرج من دياره فى أوروبا بحملة علمية مجهزة بالزاد والعتاد وآلات التسجيل متجهاً إلى واحة « سيوه » أو غيرها من واحات مصر لدرس لهجات العرب ، وأن مستشرقا آخر جاب القطر المصرى لتسجيل لهجات سكان مختلف المديريات فى صعيد مصر ودلتا النيل والصحراوين الشرقية والغربية ، مع أن اللغة لغتنا واللهجات لهجاتنا . ذلك أن القوم قدروا قيمة التخصص فى العلوم الفنية والأدبية فبذلت حكوماتهم وشخصياتهم البارزة المساعدات السخية، وهيأت للمتخصصين أسباب التفرغ للعلم والأدب فغزر إنتاجهم وصارت أوطانهم وحكوماتهم وشعوبهم مُجلّية فى مضمار الحياة العملية . أما نحن معشر العرب فما أسرعنا إلى قتل النبوغ ودفن العبقريات ووأد الفطنة والسخرية بالاجتهاد حتى استخفى النبهاء واختفى الأذكياء فندر الإنتاج وصرنا فى مؤخرة القافلة يجرنا الأقوياء المتقدمون أو يدفعنا الأجراء المسخرون .

وهذه الملحمة الشعرية التى سماها ناظمها — بحق — « المعلقة الإسلامية » ، إن هى إلا ناحية من نواحى التخصص الأدبى فى الشعر واللغة والتاريخ، إذ استهدف صاحبها إحياء المندثر من الكلمات البليغة الدالة على الكنوز الدفينة الثمينة فى اللغة العربية ، ناسجاً على منوال شعراء الجاهلية الأولين ، بازّاً لهم فى كونها شعرَ تاريخ ودين ، علاوة على ما احتوته من غزَل رزين .

ومما يرفع من شأن هذه الألياذة وناظمها أن دافعاً ذاتياً من الإيمان القوى

بالله والحب الشديد لدينه ونبيه وكعبته هو الذى دفع الرجل إلى التفرغ لمثل هذا الإنتاج العظيم من النظم الرصين المتين دون أن يوهب، مايشجعه على التصدى لذلك لامن جهة رسمية ولامن شخصية ثرية .

وقد يدهش القارىء إذا علم أن الأستاذ «اليعربى» الذى نظم — علاوة على هذه المعلقة — ألفية فى تاريخ « وادى النيل» ومطولة فى وصف « الصحراء »، — ولم يقدر لهما الطبع حتى الآن — والذى نظم قصيدة أخرى طبعت منذ سنتين بمطبعة دار المعارف بالقاهرة بعنوان « أمدوحتى فى المملكة العربية السعودية » . والمتيم بحب الكعبة المعظمة ، والمتغزل بالصحراء ، والمتغنى بأمجاد العرب ، والمبجل لأولياء أمور هذه الديار لتنفيذهم حكم الشريعة الإسلامية ،لم تطأ قدمه الأرض المقدسة ولارأت عيناه أى جزء من هذه المملكة . ولكن دهشة القارىء لاتلبث أن تزول حين يعلم أن للأستاذ « اليعربى » صلة روحية بهذه البلاد الطاهرة، إذ أنه من مواليد المدينة المنورة قبيل الحرب العالمية الأولى . كان والده تاجراً رحالة بين الحجاز والحبشة ومصر وغيرها من البلاد . ولما استقر فى مصر كان الناظم طفلا فترعرع فيها ونشأ وتعلم ، وحصل على ليسانس فى الآداب من الجامعة المصرية ، واشتغل برهة فى الصحافة مع دار الهلال ، ثم عين زميلا لى فى ترجمة الوثائق التاريخية التركية بدار المحفوظات العمومية بالقلعة المصرية حيث اقتبس من وثائقها موضوع رسالة نال بها درجة « ماجستير » فى الآداب بعنوان « مصطلح الوثائق التاريخية » . واستقال من وظيفته منذ عشر سنوات للتفرغ للمطالعة والإنتاج الأدبى . واختير أخيراً أستاذاً بمعهد الوثائق والمحفوظات بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

وإلى القارىء وحده يرجع أمر تقدير الوقت والمجهود الشاق الذى بذله الأستاذ (اليعربى) فى نظم هذه الألياذة ، والوقت والمجهود الذى بذله هذا العاجز فى شرحها والتعليق عليها .

وقبل أن أفكر جدياً فى طبع هذه المعلقة عرضتها على كثير من شعراء العالم

العربى وأدبائه فكان الاجماع على الأعجاب بها والطرب لها ووصفها بأنها إلياذة إسلامية ، وكانت الرغبة فى طبعها حفظاً لها من الضياع ، وكان السعى الحثيث لذلك حتى تم التوفيق بأخراجها إلى العالم الإسلامى بهذا الثوب القشيب .

فإلى أنصار المدرسة القديمة ، وإلى متذوقى اللغة العربية ، وإلى عشاق الأدب العربى ، وإلى كل مسلم يهمُّه الإلمام بتاريخ الكعبة والمسجد الحرام حيث يولِّى وجهه شطره خمس مرات كل يوم أقدم هذه المعلقة الإسلامية ؟

محمد أمين التميمى

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة النّاظِم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأشرف الخلق أجمعين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد فأن صديقى الحميم الأستاذ محمد أمين التميمى يصرّ على مقدمة نثرية منى لهذه المعلقة الإسلامية التى يرجع إليه فضل الإعجاب بها والدعاية لها وشرحها والتعليق عليها والعمل على طبعها وتصحيحها بنفسه ،وإخراجها للعالمين العربىّ والإسلامىّ بهذا الرداء البراق والشكل الجميل.

قلت : سمعاً وطاعة .. وكتبت على القرطاس أنى محمد محمد توفيق المدنىُّ مولداً ، المصرىُّ نشأة وجنسية ، المسلم ديناً ، السلفىُّ عقيدة ، الجامعىُّ ثقافة إلى درجة الأستاذية ، غير أن المؤهلات — فى نظرى — أرخص المدخرات إذا اعتمد حاملها عليها دون مواصلة طلب العلم مصداقاً للحديث الشريف : (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد) واتباعاً للحكمة القائلة : « يظل الإنسان عالماً ماطلب العلم ، فأن ظن أنه قد علم فقد جهل » . وكتبت على القرطاس أنى « اليعربىُّ » لساناً وبيانا لأنه لسان القرآن وبيان الذكر الحكيم ، وأنى العربىّ السعودى فؤاداً لأن متيّمتى جاثمة فى أقدس بقعة من المملكة العربيـة السعودية بل فى أطهر مكان من الدنيا .

رأيت الناس يمجدون المعلقات الجاهلية مع أنها خمر وهوى وفخر وقتال ، وكل فضلها أنهـا علقت على الكعبة لجودة بيانها وفصاحة لسانها دون أن يكون للكعبة حظ من شعرها ، وعجبت أن أحداً من شعراء العرب أو المسلمين لم يتصد لإنصاف الكعبة المقدسة فى إلياذة إسلامية النزعة والعقيدة ، تاريخية الحوادث ، جاهلية اللفظ والأسلوب ، فاعتزمت أن أكونه ، وتوكلت على الله تعالى ، والتزمت بيتى وتفرغت ، ونظمت لحبيبتى — ليلى الخلود — بأفصح مِقول بيع «الأخشبان»

و«أحُد» مالم يسبقنى ولا أظنه يلحقنى فى نظمه أحد، فكانت هذه المعلقة وهى أطول من المعلقات السبع مجموعات فى العدد، وأسميتها «المعلقة الإسلامية فى تاريخ الكعبة والمسجد الحرام»، واختصصت بأهدائها حضرة صاحب الجلالة الملك الكريم «سعود بن عبد العزيز آل سعود» لأنه خادم الحرمين الشريفين، ولأن الله تعالى أرغد عيش أهلهما فى عهده الزاهر السعيد، وفى عهد والده الراحل العظيم، ولأنه منفذ لأحكام دين رب البيت العتيق ولأن هذا البيت مستظل بعد الله بحمايته، ولأن كل من فيه مِن عاكف وباد وكل من حوله فى مختلف المدن والوهاد آمن فى ظل رايته.

فاللهم أعز من خدم بيتك الحرام، وانصر من حمل لواء الإسلام، واجعل ثواب مدحى لكعبتك وحبي لناصرى شريعتك حسنة فى الدنيا وحسن العاقبة فى الآخرة، إنك على كل شىء قدير.

الجيزة فى غرة شعبان سنة ١٣٧٤
٢٥ مارس سنة ١٩٥٥

السعودى محمد محمد توفيق

كَوْنُهَا مُعَلَّقَةٌ

عَلَى جَاهِلِيِّ اللَّفْظِ أَبْحَرْتُ آمِنا

وَمِنْ لَهَجَاتِ العُرْبِ سُقْتُ الأَحاسِنا

أَيُمْدَحُ بَيْتُ اللهِ بِالغَثِّ إِنْ يَكُنْ

سَمِينٌ وَقَدْ بَزَّ المَكَانُ الأَماكِنا ؟

وَفِي جاهِلِيٍّ مِنْ زَمانٍ وَمُسْلِمٍ

حَيَاةٌ لَهُ تُرْوَى قَدِيماً وَراهِنا . .

وَعَلَّقْتُها قَدْ عُلِّقَ الشِّعْرُ قَبْلَها

وَأَطْمَعُ أَنْ أَحْيَ لِذَا البَيْتِ ماهِنا[1]

وَأَنْ يَقْبَلَ اللهُ المَدِيحَ مَثُوبَةً

وَشاعِرَهُ فِي جَنَّةِ الخُلْدِ ساكِنا

---

(١) الماهن : الخادم والعبد .

كم من العمر تبقى ؟

أَعْطَيْتُهَا أَلْفَيْنِ مِنْ أَعْــوَامِ

عُمْراً . . وَقَدْ تُعْطَى حِبَاءَ دَوَامِ !

وَتَظَلُّ فِي عَرْشِ الصدَارةِ آيَةً

والتَّاجُ لألاءٌ مِنَ الإلْهَامِ . .

وَأَظَلُّ تُسْكِرُنِى بِنَشْوَةِ حُومِهَا[1]

حَتَّى تُغَيَّبَ فِي التُّرَابِ عِظَامِي

فَأَعُبُّ مِنْ خَمْرٍ هُنَالِكَ لَذَّةٍ

وَأَبُثُّ حُوراً فِي الجِنَانِ غَرَامِى . .

---

(١) الحوم : الخمر التى تدور فى الرأس .

حداء المطيّ

لَمْ أَقْصِدِ الصِّيتَ لمَّا ناجَيْتُ كَعْبَ الخُلودِ
لكِنَّها النَّفْسُ تَظْمَا والشِّعْرُ حُلْوُ الوُرُودِ

حسْناءُ قامَتْ بِبابِكْ تَحْدُو الهوَى مُقْلَتاها
وَالنَّفْسُ كالْمُزْنِ تَبْكِي مِنْ لاعِجٍ قَدْ أَتاها

فَقُلْتُ يا نَفْسُ مَهْلاَ الشِّعْرُ فِيهِ دَوَاكِ
تَلْقَيْنَ فِي الشِّعْرِ أَهْلاَ وَمَوْئِلاً مِنْ هَوَاكِ

لَمْ أَدْرِ أَنِّي سَأُرْبِي بِالشِّعْرِ نِيرانَ حُبِّي
رُحْماكَ رُحْماكَ رَبِّي رِفْقاً بِنَفْسِي وَقَلْبِي !

زَمْزَمَةُ الحَجّ..

حُجَّاجَ بَيْتِ اللهْ
لاَ ثَرْوَةٌ ... لاَ جَاهْ
الكُلُّ فِي أُخْرَاهْ

طُوبَى لَكُمْ حَجٌّ..

***

فِي مَلبَسِ الإِحْرَامْ
دُنْيَا مِنَ الأَقْوَامْ
سَامٌ يُؤَاخِي حَامْ

والطُّرْقُ تَرْتَجٌّ..

***

ذَنْبُ الوَرَي مَغْفُورْ
والنَّفْسُ فِيهَا نُورْ
بَيْتٌ هُنَا مَعْمُورْ

يَعْلُو بِهِ العَجٌّ..

***

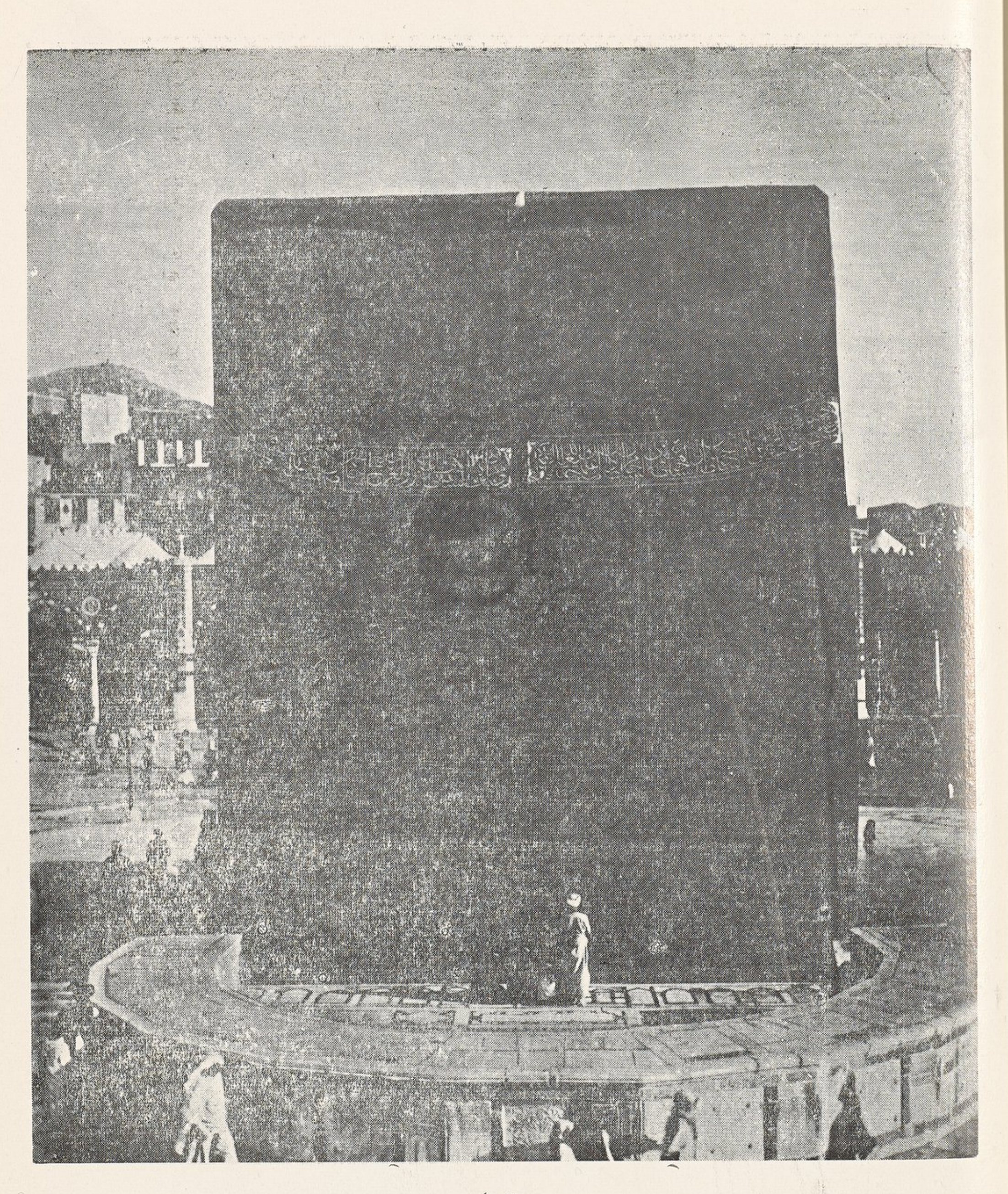
يا أيُّهـــا الأبْرَارْ

صَلُّوا عَلَى المُخْتَارْ

في جَنَّـــةٍ لانَارْ

يَمْضِى بِنـــا فَجٌ ..

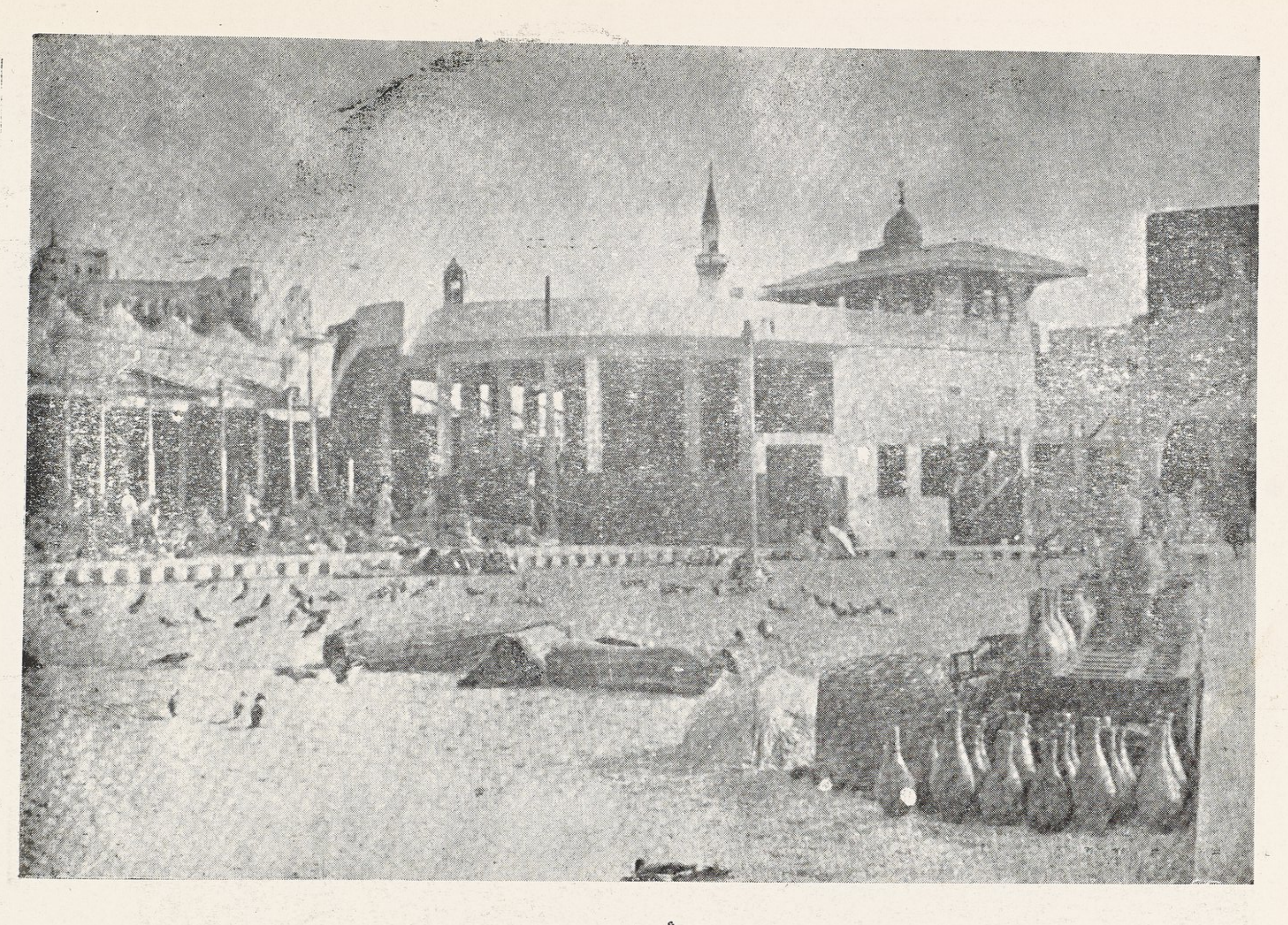
***



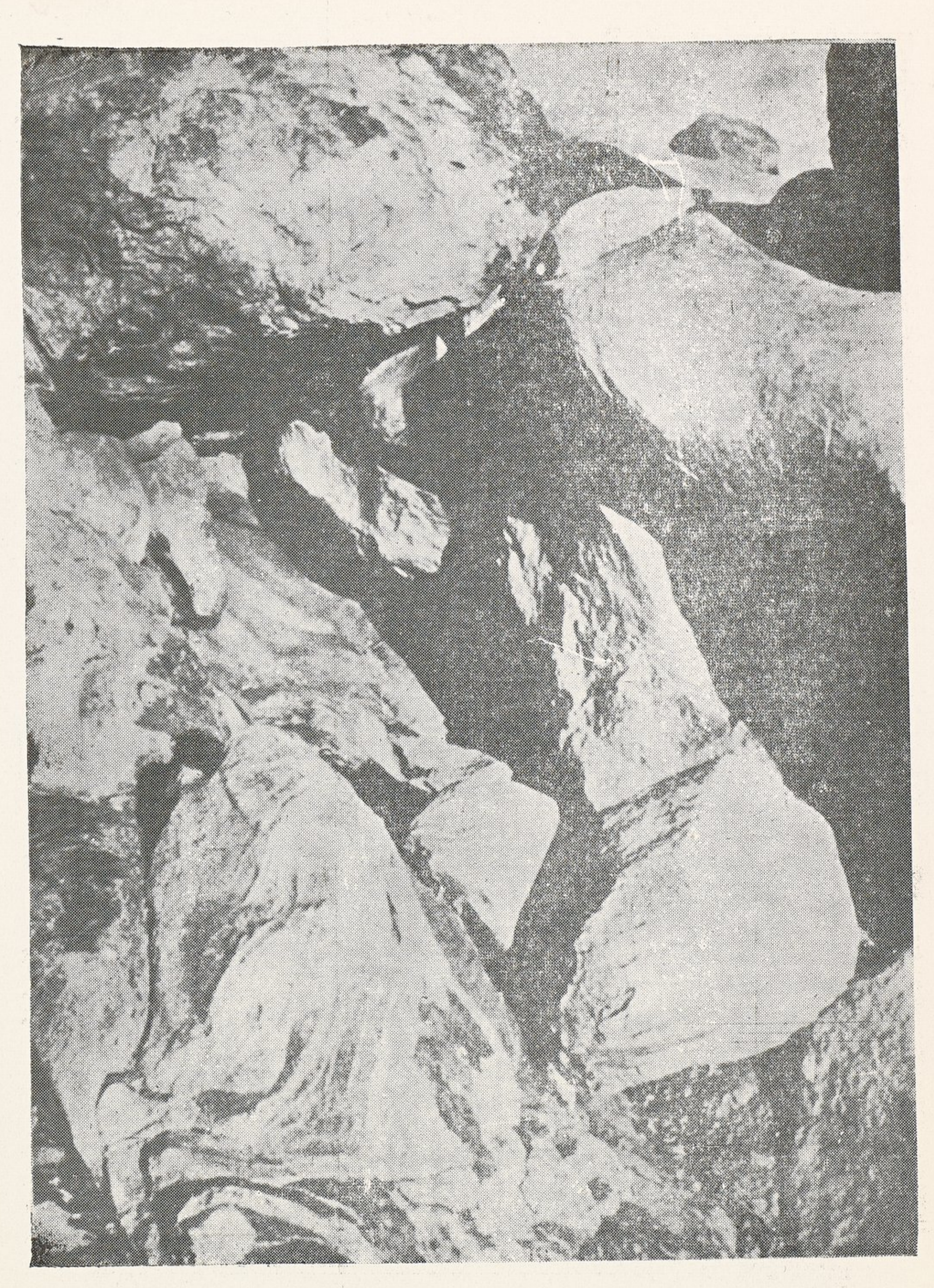
حجر إسمٰعيل



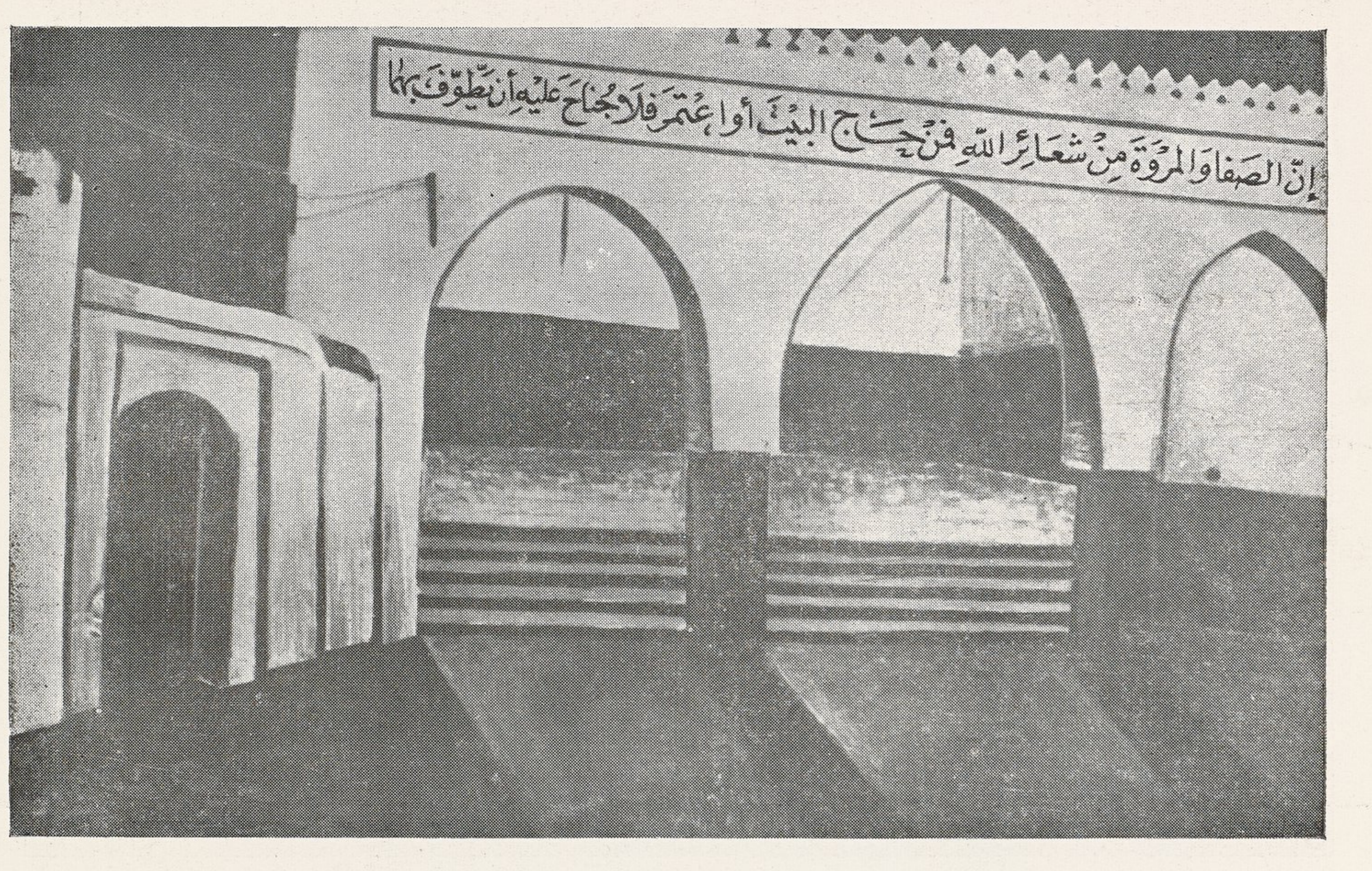
الحجر الأسود



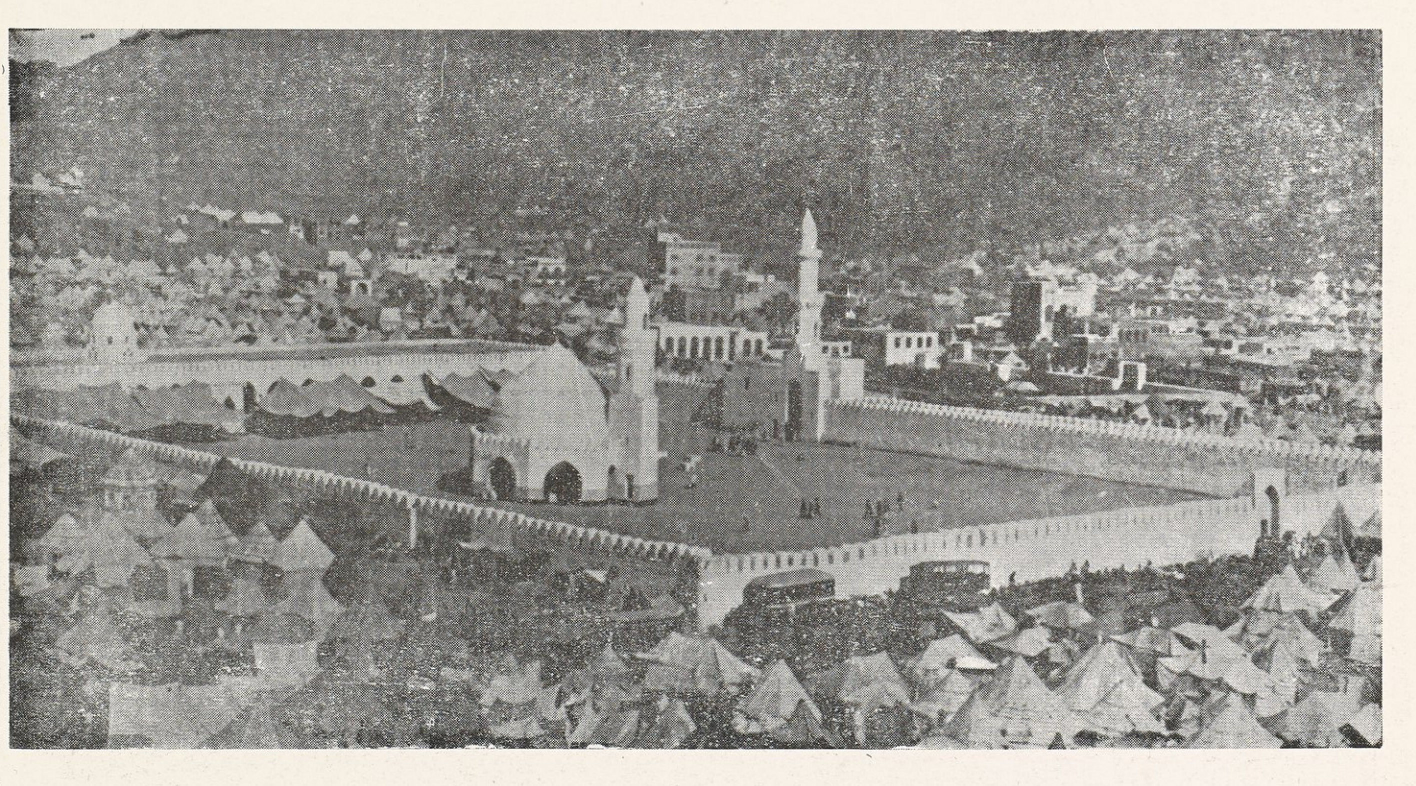
بئر زمزم



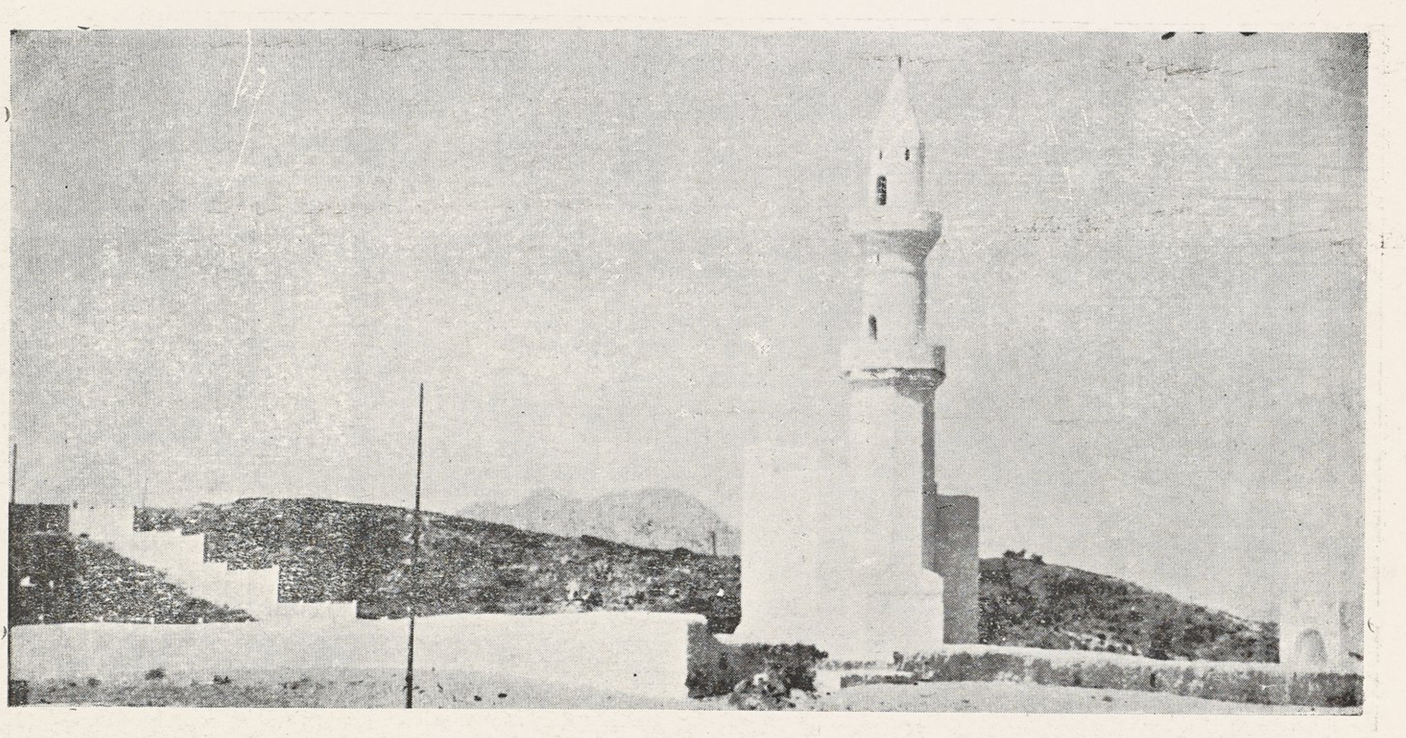
غار حراء مهبط الوحي


إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما

الصفـــا



مسجد الخيف بمنى



المشعر الحرام بمزدلفة



جبل الرحمة بعرفات

إِلهام الكَعبَة

أَعُوذ بِرَبٍّ غافِرٍ مِنْ تَزَيُّدِ[1]

وَأَنْهَلُ مِنْ رَاحِ القَرِيضِ بِمِرْفَدِ[2]

بَلَى إِنَّنِي فِي خَــلَّةِ الشِّعْرِ شَاعِرٌ

أَقُولُ لِذَاتِ البَرْقِ أَبْرَقْتِ فَارْعُدِي

وَقَدْ طَافَ بِي مِنْ عَبْقَرٍ طَيْفُ[3] صَاحِبٍ

مِنَ الجِنِّ ذِي ضَرْبٍ مِنَ السَّيْرِ مُرْوِدِ[4]

يُعَلِّمُنِي مِنْ شِــعْرِهِ مَا يَرُوقُهُ

وَيَرْقُصُ فِي رَوْقِي[5] بِثَوْبٍ مُزَنَّدِ[6]

٥ وَيَفْجَعُنِي فِيمَا وَعَى القَلْبُ مِنْ هَوًى

إِذَا النَّفْسُ ضَلَّتْ أَيْكَهُ لَمْ أُغَرِّدِ

---

(١) التزيد فى هذا الصدد : الكذب وتكلف الزيادة فى الكلام .

(٢) المرفد كمنبر : القدح الضخم .

(٣) قولهم طيف من الشيطان : كقولهم لمم منه.

(٤) أرود فى السير فهو مُرود : رَفَقَ .

(٥) الروق والرواق : سقف فى مقدم البيت .

(٦) ثوب مزند : قليل العرض .

فَإِنْ شِئْتِ يا نَفْسى تَناسَيْتِ بَغْيَهُ

زَكاةً وَإِعْذاراً وَإِنْ شِئْتِ فاعْبَدِى[1]

هَيا[2] طَائِفِى ! إِنِّي مُقِيمٌ عَلَى القِلَى

وَلَسْتُ بِسَالٍ فِى وِصَالٍ فَأَنْشُدِ

وَأَنْتِ الَّتِى مِنْ وَجْهِكِ الشِّعْرُ يُجْتَلَى

لَقَدْ كَانَ لِى سَيْحٌ[3] مَعَ الفَنِّ فَاقْعُدِى

وَهَاتِى رَوِيًّا[4] يَدْفُقُ الآدَ[5] إِنَّنِى

إِذَا أَصْلَدَ[6] الشَّادُونَ[7] لَسْتُ بِمُصْلِدِ

١٠ وَلاَ تَطْلُبى مَالاً فَإِنِّى مُعَسَّرٌ

وَخَيْرُ الهَوَى مَا فَاضَ مِنْ قَلْبِ مُزْهِدِ[8]

---

(١) عبَد : غضب وأنف ، والاسم : العَبَدة .

(٢) هيا : من حروف النداء وأصلها : أيا .

(٣) السيح : الذهاب فى الأرض كالسياحة ، وكان ذلك فيما مضى بقصد العبادة والزهد .

(٤) الرَّوِىُّ : حرف القافية فى الشعر .

(٥) يدفق : يصب ، والآد بالمدّ : القوة .

(٦) أصلد الرجل : صلد زَنْدُه أى صوّت ولم يخرج ناراً .

(٧) الشادى وجمعه الشادون : الذى أخذ طرفا من العلم أو الأدب واستدل به على البعض الآخر .

(٨) المزهد : القليل المال . وفى الحديث الشريف : «أفضل الناس مؤمن مزهد» .

بِرُوحِي مَهَاةٌ[1] سُوِّدَتْ أَيَّ سُؤْدُدِ

أَقَامَتْ عَلَى قَوْسَيْنِ مِنْ مَهْدِ أَحْمَدِ

دَعَوْتُ الأَسَى[2] فِي حُبِّهَا فَانْبَرَى الأَسَى[3]

يُسَهِّدُنِي حَتَّى جَفَا النَّوْمُ مَرْقَدِي

وَسَامَحْتُ فِيهَا كُلَّ صَبٍّ يَزُورُهَا

وَغَيْرِي مِنَ العُشَّاقِ فِي الحُبِّ يَعْتَدِي

يُعَاوِدُنِي مِنْهَا أَنَانٌ[4] وَلَذَّةٌ

وَلُبِّي كَمَا يَدْرِي الوَرَى غَيْرُ مُفْنِدِ[5]

١٥ وَتَدْنُو فَلَا تَدْنُو وَتَمْضِي بَعِيدَةً

وَقَدْ جَرَّرَتْ أَذْيَالَهَا فِي تَأَوُّدِ

وَمَنْ يَكُ فِي تَيْمٍ[6] مُقِيمٍ وَعَائِدٍ

مِنَ الوَجْدِ يَعْنُو كَالأَسِيرِ المُصَفَّدِ

---

(١) المهاة : البلّورة ، وهى أيضاً : البقرة الوحشية وكانوا يشببون بجمال عينيها ، وما ندرى أيهما أراد الشاعر .

(٢) الأسى هنا : الصبر الجميل .

(٣) الأسى هنا : بمعنى الحزن .

(٤) الأنان : لغة فى الأنين .

(٥) الفَنَد : الكذب وضعف الرأى من الهرم ، والفعل منه أفندَ .

(٦) التيم : هو أن يستعبد الرجلَ الحبُّ . عن الثعالبى .

وَمَنْ يَكُ ذا حُبٍّ فَيهْتِفْ بِرَبِّهِ
أَنِ ارْحَمْ قَتِيلَ الْحُبِّ يا رَبِّ يَزْدَدِ !

إِلَى اللهِ أَشْكُو لاعِجاً لَيْسَ يَنْقَضِي
وَشَوْقاً يُذِيبُ الْكَبْدَ[1] غِبَّ التَّوَسُّدِ

أَخافُ وَجِيبَ[2] الْقَلْبِ إِنْ جِئْتُ دارَها
وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّى وَثِيقُ التَّجلدِ

٢٠ وَفى الْحُبِّ قَدْ يَسْلُو مُحِبٌّ حَبِيبَهُ
سِواىَ ، فَحُبِّي ذاهِبٌ فِي تَجَدُّدِ

وَما ذاكَ[3] إِلاَّ أَنَّها كَعْبَةُ الوَرَى
وَقِبْلَةُ أَهْلِ الأَرْضِ فِي كُلِّ مَسْجِدِ

يُدِىٌّ[4] لَها عِنْدَ الأَنامِ وَأَنْعُمٌ
وَلَيْسَ بِها فِي الرِّفْدِ شَكْوَى الْمُكَبَّدِ[5]

---

(١) الكَبْد : لغة فى الكَبِد .
(٢) وجب القلب : خفق ، فوجيب القلب خفقانه واضطرابه .
(٣) وما ذاك : أى وما هذا الحب والعذاب وخوف العقاب إلا لأنها كعبة الورى الخ . . .
(٤) يدِىٌّ : جمع كثرة ، بمعنى العطاء والإحسان والمعروف.
(٥) الرفد : العطاء والصلة. والمعنى أنه ليس من خصالها فى الكرم والارفاد أن تشتكى مما تتحمل فى سبيل المسلمين الوافدين من أنحاء المعمورة .

فَمَا مِنْ مصَلٍّ فِي خُيُوطٍ[1] كَلِيلَةٍ

مِنَ الفَجْرِ أَوْ فِي غَشْيَةٍ[2] مِنْ تَهَجُّدِ

وَلاَ رَاكِعٍ أَوْ قَائِمٍ فِي جَمَاعَـــةٍ[3]

وَلاَ نَفَرٍ فِي وَقْدَةِ الظُّهْرِ سُجَّدِ

٢٥ وَلاَ بَلَدٍ يُحْيِي لِعِيدٍ صَلاَتَهُ

وَرَاءَ إِمَامٍ مُطْرِفِ[4] الثَّوْبِ مُسْجِدِ[5]

وَلاَ أُمَمٍ إِلاَّ تَوَلَّتْ وُجُـــوهُهَا

إِلَى وَجْهِ هٰـــذَا السَّرْمَدِيِّ المُتَـلَّدِ[6]

يُطِلُّ عَلَى الأَرْجَاءِ فِي أَوْجِ عِزِّهِ

مِنَ الرَّهْوِ[7] مَرْئِيًّا لَدَى كُلِّ مَوْرِدِ[8]

---

(١) خيوط : جمع خيط . والخيط : السلك أو الخيط المعروف ، ولكنه هنا بمعنى الخط الدقيق الذى يفصل الظلام عن النور عند بزوغ الفجر .

(٢) غشية التهجد : تأخذ المصلى فى جوف الليل والناس نيام ، فيبدو من فرط وجده كالمغشىّ عليه فى نجواه .

(٣) فى جماعة : أى صلاة جماعة .

(٤) مطرف الثوب : أى جديده وطريفه ، وأطرف الرجل : جاء بطرفة .

(٥) أسجد فهو مُسجد : طأطأ رأسه وانحنى ، وهى هيئة المصلى أثناء وقوفه بين يدى الله .

(٦) المتلَّد : القديم . قال صاحب المحيط : وخلق متلد كمُعظَّم : قديم .

(٧) الرَّهوُ : المكان المرتفع .

(٨) الوارد والمورد : الطريق .

هجرة الخليل بهاجر وإسمعيل

بنَاهُ خَلِيلُ[1] اللهِ زُلفى لِإِلَهِ[2]
وقَامَ عَلَيْهِ مُرْفِدٌ بَعْدَ مُرْفِدِ[3]
عَلَى كَثَبٍ مِنْ زَمْزَمٍ – طَابَ مَاؤُهَا
وَسَاجِعَةٍ[4] فِي الغَارِ كَهْفِ التَّزَهُّدِ
٣٠ وَفِي بَطْنِ وَادٍ أَوْبَقَ[5] الزَّرْعَ وَالخَلَى[6]
لَدَى كَلَدٍ[7] مِنْ حَرَّةٍ[8] لَمْ تُمَهَّدِ

---

(١) خليل الله : هو سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .
(٢) الألهُ : هو الله عز وجل . لغة فى الله .
(٣) مُرفد : عظيم أو أمير أو خليفة أو ملك يصل الناس والحجاج ويعطيهم .
(٤) الساجعة : أراد بها حمامة أو يمامة تسجع أى تهتف وتغنى وترنم فى غار حراء الذى كان كهف التزهد لنبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم :
(٥) أوبق : أهلك .
(٦) الخَـلى : الرطب من النبات .
(٧) الكلد جمع كلدة : وهى القطعة الغليظة من الأرض .
(٨) الحرَّةُ : أرض ذات حجارة سود .

أَرَادَ لَهُ الرَّحْمنُ رَقْشاً[1] فَسَاقَها

طَرِيدَةَ غَيْرَى أُخْرِجَتْ إِثْرَ مَوْلِدِ[2]

يَسِيرُ بِهَا بَعْلٌ - سَقَى اللهُ أَرْضَهُ

إِلَى شِعْبِ[3] قِيٍّ مِنْ عُرَيْنَةَ[4] مُبْعَدِ

وَيُسْلِمُهَا لِلْأَزْلِ[5] فِي «الحِجْرِ»[6] وَالشَّجَي

فَيَأْخُذُهَا التَّصْعَاقُ مِنْ جَوْرِ مُلْهِدِ[7]

بِقِرْبَةِ مَاءٍ جَفَّ إِلَّا ثُمَالَةً

وَبِضْعَةِ تَمْرٍ فِي تَلَافِيفِ مِزْوَدِ

---

(١) الرقش : الزخرف : أى أراد الرحمن أن يزخرفه بالأهال والعمران .

(٢) طريدة غيرَى : هى السيدة « هاجر » رضى الله عنها ، وقد كان أهداها فرعون مصر لسيدنا إبراهيم عليه السلام ، فتسراها ، فحملت منه باسماعيل عليه السلام ، فلما وضعته غارت منها سيدتها « سارة » زوج إبراهيم الخليل ، فطردتها من بيتها ، نتيجة تلك الغيرة لأن « سارة » كانت عاقراً .

(٣) الشِّعب : الطريق فى الجبل ونحوه . والقِىّ : الأرض إذا كانت قفراً .

(٤) عَرَنة : موضع بين منى وعرفات ، ولعل عرينة لغة فيها أو تصغير .

(٥) الأزل : الضيق والشدة .

(٦) الحجر : هو الموضع الذى أنزل فيه إبراهيم زوجه « هاجر » وابنه « اسماعيل » بوادى مكة غير ذى الزرع .

(٧) ألهد فهو مُلهد : ظلم وجار .

٣٥ وَعَيْنٍ سَخَتْ مِنْهَا شُئُونٌ[١] سَكِيبَةٌ
وَقَلْبٍ كَسِيرٍ سَاعَةَ البَيْنِ مُقْرِدِ[٢]

مُعَذَّبَةً يَفْرِى[٣] حَشَاهَا مُعَذَّبٌ[٤]
مُمَدَّدَةً فِى حِقْفِ[٥] طِفْـــلٍ مُمَدَّدِ

وَيَضْرِبُ فِى تِيكَ المَفَازَاتِ آفِلاً
إلَى مَوْطِنٍ بَعْدَ الرُّمَيْضَاءِ[٦] أَرْمَدِ[٧]

لكِ اللهُ يا أُخْتَاهُ ! هَـلْ ذَاكَ مَوْعِدٌ
مَعَ اللهِ ..؟ أَمْ هَلْ جِئْتِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدِ !

---

(١) الشئون : الدموع . وأصلها مواصل قبائل الرأس وملتقاها ومنها تجىء الدموع .

(٢) أقرد فهو مُقرد : سكت وسكن وذَلّ وتماوت .

(٣) يفرى : يقطع .

(٤) معذب : هو ولدها اسماعيل عليه السلام .

(٥) الحقف : المعوج من الرمل ، كأنه عليـه السلام كان يضرب بيديه ورجليه الرمل فيتعوج تحته .

(٦) الرمضاء الحجارة الحامية من حرّ الشمس ، صُغرت لصغر رمضاء مكة إذا قيست برمضاء الصحراء اطلاقا .

(٧) أرمد: نعتت ديار إبراهيم عليه السلام بالارماد لاحاطتها بالبيد سافيات الرمال فكأنها عين رامدة .

وَمَا ذَنْبُ طِفْلٍ صَاغَهُ اللهُ آيَةً

مِنَ الْحُسْنِ فِى هَـذَا الْبَلاَءِ الْمُؤَكَّدِ

٤٠ ضَرَبتِ عَنِ الظَلْمَاءِ صَفْحاً وَعِكْرِهَا [١]

وَإِعْرَاسِ حَفْلٍ مِنْ بَنِى الْجِنِّ مُرْعِدِ

لَهُمْ طُنُبٌ [٢] مَأْثُورَةٌ عَنْ جَهَنَّمٍ

وَجَرْجَرَةٌ [٣] مِنْ ذَوْدِ [٤] إِبْلٍ [٥] مُذَوَّدِ [٦]

وَفِيهِمْ عَمِيــدٌ جَاثِمٌ فِى تَلَهُّبٍ

لَدَى طَلَلٍ [٧] مِنْ سَاعِرِ النَّسْجِ [٨] مُوتَدِ

---

(١) عكرها : مذهبها الردىء وأهوالها السيئة .

(٢) الطنب : حبل الخباء أو السرادق ، وتد .

(٣) الجرجرة : صوت يردده البعير من حنجرته .

(٤) الذود : من الإبل ما بين الثلاث إلى العشر ، وقيل إلى خمس عشرة ، وقيل إلى عشرين أو ثلاثين ، وقيل ما بين الاثنتين والتسع . مؤنث لا يكون إلا من الاناث .

(٥) الإبْل : لغة فى الأبل .

(٦) مذود : مُساق ومطرود . وذاد الإبل : ساقها وطردها .

(٧) الطلل : من الدار الدكانة يُجلس عليها ،ومن السفينة جلالها وهو غطاء تغشى به كالسقف للبيت .

(٨) ساعر النسج : ملتهبه : كأنما نسجوا له خيوطاً من اللهب . وموتد : من أوتدت الوتد فهو موتد وموتود لغة .

فَهَلْ فِيكِ يا زَوْجَ النَّبِيءِ بَقِيَّةٌ
تُجَاهِدُ مَا هَمَّتْ بِهِ الْبِيدُ فِي غَدِ ؟

زَمْزَم

عَلَى ظَرِبٍ[1] قُرْبَ الصَّفَا ثُمَّ مَرْوَةٍ
وَشَمْسُ الفَــلَا تَرْمِي بِوَقْدٍ مُطَرَّدِ[2]
٤٥ تَهَاوَى عَلَى البَطْحَاءِ[3] حَتَّى كَأَنَّهُ
سِيَاطٌ أُعِدَّتْ مِنْ لَهِيبٍ مُقَــدَّدِ[4]
شَجَاهَا الشَّجَى[5] لَمَّا أَنَى[6] الدَّمْعُ وَاكِفاً[7]
وَأَسْبَلَتِ العَيْنَانِ جَفْنَ التَّسَهُّدِ

---

(١) الظرِب : الرابية الصغيرة .
(٢) المطرد : تقول أطرده وطرّده بالتثقيل بمعنى أخرجه . فالوقد المطرّد معناه المخرج من الشمس .
(٣) البطحاء والأبطح : مسيل واسع فيه دِقاق الحَصَى .
(٤) المقدد : الذى شُوى على النار حتى أوشك على اليبس .
(٥) شجاها : حزنها . والشجى : الهم والحزن .
(٦) أنى : حان .
(٧) وكفَ الدمعُ : سال قليلا قليلا .

فَرَاحَتْ تَهِيلُ الارْضَ مَا بَيْنَ مَرْوَةٍ

وَبَيْنَ الصَّفَا عِنْـــدَ السَّبِيلِ المُعَبَّدِ

وَتُطْلِقُ إِعْوَالاً عَصِيباً[1] سَمَاعُهُ

فَقَدْ يَبِسَتْ أَطْرَافُهَا مِنْ تَجَمُّدِ

رُوَيْدَكِ يا أُخْتَاهُ ! كُفِّي وَكَفْكِفِي[2]

وَمُدِّي بَنَانَ[3] الشُّكْرِ لِلهِ وَاسْجُدِي

٥٠ فَهذَا أَمِينُ اللهِ جِبْرِيلُ وَاقِفٌ

وَفِي يَدِهِ قَارُورَةٌ مِنْ مُبَرَّدِ[4]

يَمُدُّ جَنَاحاً مِنْ عَقِيقٍ مُقَــوَّسٍ

وَيَضْرِبُ فِي الرَّمْضَاءِ ضَرْبَةَ مُنْجِدِ[5]

---

(١) عصيبا : شديداً على النفس .

(٢) أى كفى عن هذا الصياح وكفكفى من دمعك .

(٣) البنان : الأصابع أو أطرافها . جعلها هنا فى موضع الكف لأنها هى التى ترتفع فى الدعاء .

(٤) مبرّد : مبالغ فى تبريده .

(٥) ضربة منجد : أى ضربة من جاء خصيصاً لنجدة الأم المعذبة ، فهى لذلك ضربة قوية .

فَيَبْلُجُ[1] مَاءٌ ... إنَّه مَاءُ زَمْزَمٍ

بِحِرْمٍ[2] الفَلاَ يَنْسَابُ فِى ظِلٍّ أَكْتَدِ[3]

تَحُطُّ[4] عَلَيْــهِ قُبَّرَاتٌ وَدِيعَةٌ

وَتَضْحَكُ فِيــهِ صَفْحَةٌ مِنْ زَبَرْجَدِ[5]

كُلِي وَاشْرَبِى فِى القَاعِ[6] وَاسْتَلْهِمِى الرُّبَا

نَشِيـــــداً بِتَسْبِيحِ الإلَهِ المُمَجَّدِ

٥٥ فَهَذَا مَثَابُ[7] البَيْتِ مِنْ عَهْدِ آدَمٍ

وَلَيْسَ يَضِيرُ البَيْتَ إطْعَامُ مُغْتَدِ

---

(١) بلج : أضاء . أى فينبع ماء وضىء .

(٢) الحرم لغة فى الحرام .

(٣) الكتد: جبل بمكة بطرف المُغَمَّس ويجىء أيضا بمعنى مجتمع الكتفين من الانسان . والأكتد : المشرف الكتد . وقد سمى الشاعر الجبل بالصفة المشتقة من اسمه .

(٤) تحط : تنزل .

(٥) كناية عن نمو العشب فى المكان فهو صفحة ضاحكة من خضرة كالزبرجد .

(٦) القاع : كل مستو من الأرض .

(٧) مثاب الحوض : وسطه الذى يثوب إليه الماء — أى يرجع ؟ ومثاب البيت : وسطه الذى يثوب إليه الحجاج والعاكفون والركع السجود .

وَجُوبِى بِإِسْمَاعِيلَ فِى الحَزْنِ[1] إِنَّهُ

عنانٌ[2] وَكِيعٌ[3] العِيسِ، فِى خَطْوِ عَجْرَدِ[4]

لَهُ شَعَرٌ لَمْ تُرْسِلِ الشَّمْسُ مِثْلَهُ

شُعَاعًا عَلَى لُجٍّ مِنَ البَحْرِ مُزْبِدِ

وَعَيْنَانِ زَرْقَاوَانِ فِي هُدْبٍ عَسْجَدِ

وَجَبْهَةُ رِئْبَالٍ[5] وَإِقْبَالُ سَيِّدِ

مِنَ الخَيْلِ[6] يُدْعَى-وَهُوَ مِنْهُمْ بِزُبْيَةٍ[7]

رَهَا[8] ثَمَّ فِى دَهْيٍ[9] مِنَ العَقْلِ مُوَحَدِ[10]

٦٠ يُرَوِّضُ وَحْشِىَّ الجِيَادِ وَقَبْلَهُ

عَدَوْنَ وُحُوشًا بَيْنَ أَثْلٍ وَإِجْرِدِ[11]

---

(١) الحزن : ما غلظ من الأرض .

(٢) العنان : السحاب أو الذى يمسك الماء منه واحدته عنانة . و« إنه عنان» أى يسخو كما يسخو السحاب . (٣) الوكيع : الشديد المتين .

(٤) العجرد : الخفيف السريع . (٥) الرئبال الأسد .

(٦) الخيل هنا : الفرسان . فهو يدعى فارساً . قال تعالى : « واجلب عليهم بخيلك ورجلك » .

(٧) الزبية : الرابية لايعلوها الماء . أى وهو منهم عالى المكانة .

(٨) رها : سكن من (السكون) والسكون من شيم الأفذاذ .

(٩) الدهى كالدهاء : جودة الرأى .

(١٠) الموحد : واحد زمانه من قولك أوحده الله .

(١١) الأثل : شجر . وهو نوع من الطرفاء . والاجرد : نبت يدل على =

وَغَنٍّ(١) بِأَصْــــداءِ لِبِيدٍ وَأَنْجُدِ

يُرَدِّدُها ما بَيْنَ حَلْقٍ وَحِرْقِدِ(٢)

بَيَانٌ بِهِ العَرْبَاءُ أَزْهَتْ فَصَاحَةً

وَصَاغَتْهُ أَوْزَانًا بِصَوْتٍ مُجَسَّدِ(٣)

وَبِالقَوْسِ مِنْ صُنْعِ الخَلِيلِ(٤) لَهُ دَدٌ(٥)

فَرَمْيٌ بِأَنْبَالٍ(٦) عَلَى ظَهْرِ حَيِّــدِ(٧)

= الكمأة . وقد ورد فى المأثور أن اسماعيل عليه السلام كان أول من ركب الخيل وكانت قبله من الحيوانات المتوحشة ، ومن ثم قيل لها « العراب » . وورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اركبوا الخيل فانها ميراث أبيكم اسماعيل عليه السلام » . وكان ترويضه لها بأجياد من أحياء مكة المكرمة .

(١) الغُنَّة :جريان الكلام فى اللهاة — أعنى الهنة المطبقة فى أقصى سقف الفم . والفعل منها غن يغن بالفتح .

(٢) الحِرقِد : أصل اللسان . وفى الحديث : «أول من فتق لسانه بالعربية البينة اسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة » .

(٣) الصوت المجسد : المرقوم على نغمات .

(٤) ذلك أن إبراهيم عليه السلام صنع لولده إسماعيل قوساً للصيد ، وكان أول قوس يستعمل فى البادية . ثم تعلم إسماعيل عليه السلام صنع القسى بيده وعنه أخذت العرب وفى الحديث : « ارموا بنى إسماعيل فان أباكم كان رامياً » .

(٥) الدد : اللعب .

(٦) الأنبال : جمع نبل أو نبلة وهى السهام .

(٧) الحيد من الدواب والخيل هو الذى يحيد عن ظله نشاطاً .

وَيَضْرِبُ فِي الأَرْجَاءِ فَرْساً[1] فَيَنْثَنِي
بِصَيْدٍ مِنَ الغِزْلَانِ جَمٍّ مرجّـدِ[2]

٦٥ يُؤَكْرِمُ[3] ما شاءَ القِرَى مِنْ مَحَافِلٍ
وَسَابِلَةٍ عُرْبٍ وَكَيْسٍ مُوَكَّدِ[4]

رُءُوسٍ وَأَقْيَالٍ عَلَيْهِمْ مَهَابَةٌ
وَبَضْعَةِ فَخْذٍ مِنْ قَبِيلٍ عَمَرَّدِ[5]

بِقَلْبِ نَبِيٍّ وَانْبِعَاثَاتِ مُلْهَمٍ
وَمِنْحَةِ ذِي تَاجٍ وَآلاءِ مُنْفِدِ[6]

---

(١) الفرس : كل قتل . والفرّاس : الأسد . وفرس فريسته يفرسها : دق عنقها . فالفرس أيضا دق العنق .

(٢) رجّد ترجيدا : ارتعش . فالمرجد : المرتعش . أى أن صيده من الغزلان آت لساعته فلا يزال لحمه يرتعش .

(٣) يؤكرم : يكرم .

(٤) الكيس : العقل والرجاحة . والموكد : مثل مؤكد .

(٥) العمرد : الشرس الخلق القوى والخبيث الداهية .

(٦) أنفد : أفنى . وآلاء منفد أى نعم من يفنى ماله إفناء .

رَفعُ القواعِدِ منَ البيت

وَإذْ يرْفعانِ[1] البيْتَ : هذا خليلُهُ
وذاكَ ابْنُهُ يَشْدُو بِذِكْرٍ[2] مُرَدَّدِ

قواعِدَ جَبَّ الأَخْشَبانِ[3] صِلابَها
وما لَبِثا أَنْ أَخْلدَا أَىَّ مُخْلَدِ

٧٠ وأَسْنِمَةً[4] خُضْرًا أَجاءَا[5] لِأُسِّهِ
إذَا قُدِحَتْ نارَتْ[6] بِنارٍ وَأَزْيَدِ[7]

---

(١) أى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام مصداقا لقوله تعالى (وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسمعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم .) وذلك عندعودة إبراهيم عليه السلام لزيارة ابنه وقد بلغ مبلغ الرجال .

(٢) الذكر هنا : القرآن أو كتاب الله . أى يترنم بدعاء أورده الله تعالى فى القرآن المجيد .

(٣) الأخشبان : جبلا مكة « أبو قبيس » و « قُعَيْقِعان » .

(٤) ورد فى تواريخ الكعبة ما نصه : وفى أساس الكعبة وضع إبراهيم حجارة خضراً كالأسمنة ــ أى أسنمة الابل » . وقيل فى رواية أخرى أنها حمر ، وذلك عندما كشف عن أساسها حين اعادة بناء الكعبة فى عهد عبد الله بن الزبير .

(٥) أجاءه : جاء به .   (٦) نارت : أضاءت .

(٧) وأزيد : من الزيادة أى إذا قدحت تلك الحجارة أضاءت بمثل ما تضىء النار أو أكثر . وقد جاء فى السير أنها عند ما أزيل عنها البناء عند إعادة بناء الكعبة قبل الوحى واصطكت بها المعاول صدر عنها ما ارتعدت له الفرائص فَرَقاً وهولاً .

وَدِدْتُ لَوَ أُنِّى كُنْتُ إذْ ذَاكَ شَاهِدًا

تَأَلُّقَها لَمَّاحَةً فِى المُجَـــــرَّدِ[1]

زَبَرْجَدُ جَنَّاتٍ لِآسَاسِ[2] جَنَّـــةٍ

وَيَنْعُ حِجَارٍ[3] عِنْـــدَ صَفْوَانَ أَجْرَدِ[4]

عَلاَ أَذْرُعًا تِسْعًا وَلاَ سَقْفَ فَوْقَهُ

فَلَيْسَ خَلِيلُ اللهِ يَعْـــلُو بِمَحْكِدِ[5]

وَلَـكِنْ يَرُصُّ الصَّخْرَ رَصًّا لِـكَعْبَةٍ[6]

وَيَسْعَى خَفِيفَ الحَاذِ[7] فِى حَفْدِ[8] جُرْهُدِ[9]

---

(١) تقول : إمرأة بضة الجردة والمجرَّد والمتجرد أى بضة عند التجرد من ثيابها .

(٢) آساس : جمع أسس ، والأسس جمع الأساس .

(٣) الحجار كالأحجار : جمع الحجر .

(٤) أجرد : لا نبات فيه .

(٥) المحكد : الملجأ : أى أنه لا يبنى ملجأ أو حصناً .

(٦) ذلك أن خليل الله لم يبن البيت بِمَدَر ولكن رصه رصاً .

(٧) الحاذ : الظهر .

(٨) الحفد : الخفة فى العمل .

(٩) الجرهد : السيار النشيط .

٧٥ وَمِنْ خَلْفِهِ نَجْلٌ هُوَ الشَّرْقُ[١] غُرَّةً
يُناوِلُهُ الأَحْجارَ مِنْ جَنْبِ جَمْعَدِ[٢]

عَلَى مائَةٍ أَرْبَى[٣] خَليلٌ مُحَبَّبٌ
وَلَمْ يَكُ مِنْ قَرْنٍ بِمَحْنِيٍّ أَجْرَدِ[٤]

عَلَى مائَةٍ أَرْبَى وَلِلْوَجْهِ نُورُهُ
وَلَيْسَ عَلَيْهِ ظِلَّةٌ مِنْ تَجَعُّدِ . .

وَأَبْلَقَ[٥] باباً شادَهُ بَعْدُ تُبَّعٌ
وَتُبَّعُ مَلْكٌ رافِهٌ فِى التَّرَأُّدِ[٦]

فَلَمْ يَبْنِهِ إلاَّ العَماليقُ بَعْدَهُ
وَجُرْهُمُ فِى لِينٍ مِنَ العَيْشِ أَخْضَدِ[٧]

---

(١) الشرق : الشمس .
(٢) الجمعد : الحجارة المصفوفة .
(٣) ورد فى بعض الروايات أن إبراهيم عليه السلام عند ما بنى الكعبة كانت سنه مائة عام وقيل أكثر من ذلك .
(٤) الأجرد : الظهر . تقول رمى على جرده وأجرده أى على ظهره .
(٥) أبلق : فتح . فان إبراهيم عليه السلام جعل للبيت باباً لاصقاً بالأرض غير مرتفع ولم ينصب عليه باباً يقفل وإنما جعله تبَّع الحِمْيرىّ بعد ذلك
(٦) ترأد : اهتز نعمة ومنه الترأد .
(٧) الأخضد : المتثنى .

٨٠ أَثَابَهُمُ الرَّحْمَنُ مُلْكاً وَأَنْعُماً

فَلَمَّا طَغَـــوْا ذَاقُوا وَبَالَ التَّخَدُّدِ (١)

بِذَرٍّ مَشَى فِيهِمْ (٢) ـ وللذَّرِّ بَأْسُهُ

فَمَزَّقَ مِنْهُمْ كُلَّ نَحْرٍ وَمَحْـــرِدِ (٣)

وَقَامَ خَلِيـــلُ اللهِ يُزْجِى دُعَاءَهُ

وَقَدْ وَسَلَتْ (٤) نَبْرَاتُهُ فِى تَوَأُّدِ (٥)

يقول : لَقَدْ أَنْسَلْتُ (٦) يَارَبِّ أُمَّةً

لَدَى الْبَيْتِ فَاكْلَأْهُمْ بِرَغْسٍ (٧) وَزَغْبَدِ (٨)

---

(١) تخدد لحمه : هزل ونقص ـ ومنه التخدد .

(٢) ورد فى تواريخ مكة أن العماليق هم الذين بنوا البيت بعد إبراهيم ، ومن بعد العماليق بنته جرهم . وكانوا ـ أى جرهم ـ فى أول أمرهم أهل ذهب وفضة وأنعام . فلما طغوا وتظاهروا بالآثم والمعاصى سلط الله عليهم الذر حتى أخرجهم من الحرم فتفرقوا وهلكوا والذر فى النمل كالزُّنبور فى النحل . ثم بناه قصى جد النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم البناء المعروف قبل بعثته .

(٣) المحرد : مفصل العتق . (٤) وسلت : رغبت وتقربت .

(٥) توأد توأداً مثل اتـَّأد . فالتوأد : التأنى والتثبت .

(٦) أنسلت : كان لى نسل .

(٧) الرغس . النماء والخير والنعمة .

(٨) الزغبد : الزُّبد .

وَدَارِى شَطُونٌ[1] فِى اخْضِرَارٍ وَدَارُهُمْ

جَدُوبٌ فَلاَ زَرْعٌ لَدَيْهَا وَلاَ وَدِى[2]

٨٥ فَذَرْهُمْ يُقِيمُوهَا صَـــلاَةً تَقِيَّةً

تُبَارِكُ فِى رِزْقٍ لَدَى الْبَيْتِ مُورَدِ !

تَرَامَى إِلَيْهِ الوَحْىُ : قُومَا[3] فَطَهِّرَا

مَكَانِىَ إِنَّ الْبَيْتَ رَمْزُ التَّعَبُّـــدِ

يَحِجُّ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ كُلِّ تَاهِمٍ[4]

مِنْ الأَرْضِ ذِى رَبْعٍ[5] وَمِنْ كُلِّ مُنْجِدِ

فَلِلْعُجْمِ مِنْ غِشْيَانِهِ بَعْضُ غَايَةٍ[6]

وَلِلْعُرْبِ فِيــهِ مَقْصِدٌ أَىُّ مَقْصِدِ

وَإِنْ تَــكُنِ الْحُسْنَى فَلِلنَّاسِ أَجْمَعٍ

حَجِيجٌ إِلَى هَـــذَا الْحَبِيبِ الْمُشَيَّدِ

---

(١) شطون : بعيدة .

(٢) الودى : صغار الفسيل (وهى خلائف النخل) الواحدة وديَّة .

(٣) الخطاب هنا والأمر لكل من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

(٤) تاهم : منخفض . ومنه تهامة لأنها انخفضت عن نجد .

(٥) الربع المنزل والمسكن . والمنجد : المرتفع الجبلى .

(٦) أى الحج فحسب .

٩٠ مَقامٌ لِإِبْرَاهِيمَ فِى بَعْضِ حِضْنِهِ[١]

وَكُسْوَتُهُ[٢] الرَّقْشَاءُ مِنْ وَشْيِ عَسْجَدِ

أَعَدَّ لهَا عَدْنَانُ[٣] مِنْ حُرِّ مالِهِ

وَمِنْ أُدَدٍ[٤] ثَوْبًا رَصِيعًا بِمَحْفِدِ[٥]

وَأَلبَسَــهُ مَلْكُ اليَمانِينَ تُبَّعٌ[٦]

مُسُوحًا وَأَنْطَاعًا[٧] وَأَشْبَاهَ مُجْسَدِ[٨]

---

(١) أى فى جانب منه ، لأن الحضن معناه هنا جانب الشيء وناحيته .

(٢) الكسوة بضم الكاف كالكسوة بكسرها — وهى واحدة الكسا أى ما يتكسَّى به .

(٣) قيل إن عدنان هو أول من كسا الكعبة منذ عهد إبراهيم عليه السلام .

(٤) أدد : والد عدنان . أراد الناظم أن يقول : ومما ورث عن أبيه أدد .

(٥) المحفد : وشى الثوب .

(٦) تبع : إما أن يكون إسماً لملك من ملوك اليمن . وإما أن يكون علماً على كل ملك يمنى كفرعون لمصر وكسرى لفارس والنجاشى للحبشة . وورد فى المحيط : « التبابعة ملوك اليمن ، الواحد كسكَّر ، ولا يسمى به إلا إذا كانت له حمير وحضرموت » . وتبع هذا الذى كسا الكعبة لابد أن يكون غير تبع الأول الذى كان ينوى هدمها كما ورد فى مكان آخر من هذه الملحمة .

(٧) الأنطاع . جمع النطع بكسر النون وفتحها وبالتحريك وكعِنَب وهو بساط من الأديم .

(٨) المجسد : المصبوغ .

وَصَـــائِلَ حُمْرًا حِمْيَرِيًّا نَسِيجُهَا

مُطَرَّزَةً فِي زِينَـــةٍ مِنْ حَفَنْدَدِ[1]

وَبِئْرٌ[2] لَهُ يُلْقُونَ فِيهَا نُذُورَهُمْ

وَقَدْ نَزَعُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَأَنْجُدِ

٩٥ ذُهُوبًا[3] وَطِيبًا لَيْسَ فِي الْعُرْبِ مِثْلُهُ

يُقَـــرِّبُهُ الْحُجَّاجُ مِنْ كُلِّ مَرْثَدِ[4]

---

(١) الحفندد : صاحب المال الحسن القيام عليه . وقد جاء فى كتب التاريخ أن كسوة الكعبة فى زمن الجاهلية كانت من المسوح والأنطاع . وكان أول من كساها تبع الحميرى — وقيل عدنان بن أدد — كساها الأنطاع ثم كساها الثياب الحميرية . وفى رواية كساها الوصائل ، وهى برود حمر موصولة فيها خطوط خضر تصنع باليمن . ثم كانت قريش تشترك فى كسوة الكعبة حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة فقال لقريش : أنا أكسو الكعبة سنة وحدى وجميع قريش سنة . وقيل كان يخرج نصف كسوة الكعبة كل سنة ففعل ذلك إلى أن مات فسمته قريش « العدل » لأنه عدل قريشاً وحده فى كسوتها . ويقال لبنيه « بنى العدل » واستمر ذلك إلى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فكساها الثياب اليمانية .

(٢) عن كتب السيرة : وكان الناس يلقون الحلى والمتاع كالطيب الذى يهدى إلى الكعبة فى بئر داخلها عند بابها على يمين الداخل منه أعدت لذلك يقال لها خزانة الكعبة . فأراد شخص فى أيام جرهم أن يسرق من ذلك شيئاً فوقع على رأسه وانهارت البئر عليه فهلك وفى رواية فسقط عليه حجر فحبسه فى تلك البئر حتى أخرج منها وانتزع المال منه .

(٣) الذهوب : جمع الذهب . (٤) المرثد : الرجل الكريم .

وَقَرْنَانِ[1] لِلْكَبْشِ الَّذِى كَانَ فِدْيَةً

مَضَى الْكَبْشُ وَاهْتَزَّا كَعُودٍ مُجَرَّدِ[2]

وَثَمَّ نَدِىٌّ لِلذَّبِيحِ[3] وَأَهْلِهِ

تَمِيلُ إِلَيْهِ الْعُرْبُ فِى وَلْىٍ[4] زُهَّدِ

فَتَقْمِشُ[5] مِنْهُ فِى قُنُوتٍ سَدَادَهَا

مُوَحَّدَةً فِى اللهِ بَعْدَ التَّبَدُّدِ

وَصَحْوَةَ يَوْمٍ كَانَ قُدْساً[6] دُعَاؤُهُ

وَنَاصِحَةً أَفْوَاجُهُ بِالتَّشَهُّدِ

١٠٠ أَفَادَ عَرَاهُ اللهُ فَيْدًا[7] فَرَاشَهُ[8]

بِقِطْعٍ مِنَ الصَّخْرِ السَّمَاوِىِّ أَسْوَدِ[9]

---

(١) كان هذان القرنان — وهما قرنا الكبش الذى فدى به إسماعيل عليه السلام — معلقين بسقف الكعبة . وظلا كذلك حتى احترقت الكعبة على عهد عبد الله بن الزبير . وقيل نزعا بأمر النبى صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة لئلا يكون فى البيت ما يشغل المصلين عن الصلاة . وهو الصواب فيما نعتقد .

(٢) المجرد : المقشور .

(٣) إسماعيل عليه السلام .

(٤) الولى : القرب والدنو .

(٥) تقمش : تجمع من هنا ومن هناك .

(٦) القدس . الطهر .

(٧) أفاده أعطاه . والفيد من قولك فأدت فائدة فيداً وهى الزيادة تحصل للانسان . والعرا مقصوراً بالألف : الفناء والساحه .

(٨) راشه ريشاً : أناله خيراً .

(٩) أراد الحجر الأسود .

يُقَبِّلُهُ السَّاعُـــونَ تَقْبِيلَ وَامِقٍ

إذَا هُمْ أَفَاضُوا مِنْ طَوَافٍ مُعَدَّدِ

بِهِ نِعَمٌ إنْ جِئْتَـــــهُ فِى مَزَارِهِ

لَدَى شَفَقٍ[1] شَامَ[2] الوَرَى فِى تَأَيُّدِ

وَيَشْفِى نُفُوسَ الطَّائِفِينَ بِنَفْحَةٍ

إلٰهِيَّةٍ تَسْرِى بِعَرْفٍ مُنَــــدَّدِ

عَلَيْكَ سَـــلَامُ اللهِ يَاخِلَّ رَبِّهِ

وَمِنِّى عِدَادُ الرَّمْلِ مِنْ قِيلِ بَدْبَدِ[3]

١٠٥ بَنَيْتَ لَنَا دِيناً وَأَعْلَيْتَ مَنْسَكاً

وَخَلَّدْتَ صَرْحًا مِنْ فَخَارٍ مُؤَطَّدِ[4]

بِهِ مَلَكُوتُ اللهِ إنْ قَالَ قَائِلٌ

أَرُونِى مَلِيحًا هَشَّ مِنْ تَحْتِ أَبْرُدِ[5]

---

(١) الشفق : الشفيق وهو الكعبـــة ، لأن الحجر الأسود مودع فى أحد أركانها .

(٢) شام : رقب .

(٣) بد بد : كلمة استحسان مثل بخ بخ .

(٤) أطد فهو مؤطد : مثل وطد .

(٥) أبرد : جمع البُرْد وهو ثوب مخطط ـــ أراد كسوة الكعبة .

وَيُغفَرُ ذَنْبٌ عِنْــدَهُ كَانَ آيِساً

وَتُفْتَحُ جَنَّــاتٌ لِإِقْبَالِ وُفَّدِ

وَمَدْخَلُهُ أَمْنٌ وَإِنْ كَانَ حَــوْلَهُ

دِمَاءٌ تَعَــالَى مَوْجُهَا بِالتَّحَقُّدِ (1)

وَمِنِّى إِلَى مَنْ مَدَّ لِلذَّبْحِ نَحْرَهُ (2)

وَلَمْ يَكُ تِلْقَاءَ الرَّدَى بِالمُسَخَّدِ (3)

١١٠ رِثَاءُ الَّذِى يَبْكِى وَيُبْكِى قَرِيضُهُ

وَحَسْبُكَ ظِلٌّ مِنْ عَتِيقٍ مُسَنِّدِ ! (4)

---

(١) التحقد : الحقد ،

(٢) يريد إسماعيل عليه السلام .

(٣) المسخد : الخاثر النفس والمصفر .

(٤) سند تسنيداً : لبس السند وهو ضرب من البرود . أى وحسبك فى رقدتك الأبدية ظل الكعبة ، لأن إسماعيل عليه السلام دفن فى الحجر وقيل فى غيره — ولكن فى حرم الكعبة على كل حال . وذكر المحب الطبرى أن البلاطة الخضراء التى رآها بالحجر هى قبر إسماعيل عليه السلام .

أَصْنَامُ إِبْلِيسَ

وَلَمَّا صَفَا الْإِيمَانُ فِى الْبِيدِ وَالنُّهَى
وَرَتَّلَ بِالذِّكْرِ الْحَكِيمِ الْمُرَدَّدِ
وَأَسْفَرَتِ الْحَالَانِ شَتَّانَ مَاهُمَا[1]
هَوَى صَعِقاً إِبْلِيسُ مِنْ رَجْمِ فَرْقَدِ!
وَلَكِنَّ قَدْرًا[2] سَابِقاً عِنْدَ رَبِّهِ
أَرَادَ لَهُ نَشْرًا بِأَجْبَالِ[3] ثَهْمَدِ
لِيَنْزَغَ بَيْنَ النَّاسِ نَزْغاً[4] مُضَلِّلاً
وَيَزْنَأَ[5] لِلْإِيمَانِ فِى كُلِّ مَصْعَدِ
١١٥ فَآوَتْهُ أَعْرَابٌ هَوَاءٌ قُلُوبُهُمْ
أَبَوْا هَوَجًا بَاحَاتِ رَبٍّ مُوَحَّدِ[6]

---

(١) أى انجلت حال الايمان وحال الكفر التى مضت . وقوله شتان ماهما أفصح من شتان ما بينهما .
(٢) القدر : لغة فى القدر بفتح الدال .
(٣) الأجبال : جمع جبل وثهمد : موضع من مواضع العرب .
(٤) نزغ الشيطان بين القوم : أفسد .
(٥) زنأ فى الجبل : صعد .
(٦) مؤحد : موصوف بأنه واحد . تقول أحّده وثنّاه الخ .

يُرِيدُونَ أَرْبَاباً مِنَ النَّضْرِ[1] وَالصَّفَا

تُطِلُّ عَلَيْهِمْ فِى دِمَقْسٍ مُعَضَّدِ[2]

وَتَقْضِى بِمَا يَقْضُونَ مِنْ غَضَبٍ حَقَّةٍ[3]

وَطَرْقِ سَبِيلٍ جَاحِدِ الْكُفْرِ مُعْصَدِ[4]

كَأَنَّ إلٰهاً فِى السَّمٰوَاتِ أَعْقَدُ

وَمَا صَنَعُوا مِنْ بَاطِلٍ غَيْرُ أَعْقَدِ[5] ..

كَأَنَّ إلٰهاً فِى السَّمٰوَاتِ مُقْعَدُ

وَمَا صَنَعُوا مِنْ بَاطِلٍ غَيْرُ مُقْعَدِ !

١٢٠ كَدَأْبِ يَهُودٍ أُشْرِبُوا الْعِجْلَ قَبْلَهُمْ

وَمَنْ عَبَدُوا بِالْعَجِّ[6] أَوْثَانَ عِلْكَدِ[7]

---

(١) النضر ؛ الذهب أو الفضة .

(٢) المعضد من الثياب . الذى له علم فى موضع العَضُد .

(٣) الحقة كالحق بل هى أخصّ منه فى المعنى .

(٤) معصد : مَلوى مُلتو . وأعصده : لواه كعصده .

(٥) الأعقد هو الذى به عقدة فى اللسان .

(٦) العج : رفع الأصوات بشدة .

(٧) العلكد : القصيرة اللحيمة الحقيرة القليلة الخير أو العجوز الداهية .

وَمَنْ نَحَتُوا صَخْرًا وَقَالُوا : إِلهُنَا . . !

وَمَنْ نَظَمُوا بِالدُّرِّ أَحْدَاقَ أَسْوَدِ [1]

وَكَانَ إِسَافٌ [2] فِي غَرَامٍ مُوَلَّهٍ

بِنَائِلَةٍ تَمْشِى ضُحًى فِى تَخَوُّدِ [3]

فَقَبَّلَهَا فِى الْبَيْتِ - بَلْ قِيلَ نَالَهَا

سِفَاحًا ، فَظَلَّا فِي مُقَامٍ مَعْلُودِ [4]

وَقَالَ إِلٰهُ الْعَرْشِ كُونَا حِجَارَةً

وَفِتْنَةَ ذِى قَرْنٍ مِنَ الْجِنِّ ثَوْهَدِ [5]

١٢٥ فَكُلُّ عُمُدٍّ [6] عَنْهُمَا آخِذٌ هَوًى

وَكُلُّ عُتُلٍّ مِنْ شَبَابٍ مُرَدَّدِ [7]

---

(١) الأسود : الحية العظيمة . وكانت تعبد فى مصر فى عهد الفراعنة ولدى قبائل كثيرة فى الحبشة وغيرها .

(٢) إساف بالكسر والفتح : كان رجلا فاجراً فى عهد جرهم ، ويدعى إساف بن يعلى والمرأة نائلة بنت زيد من جرهم . وكانا من أهل اليمن . فحجا وكان أحدهما يحب الآخر فوجدا خلوة فى البيت فأتاها .

(٣) التخود : التثنى من قولك تخوّد الغصن تخوُّداً .

(٤) علود فهو معلود : لزم مكانه فلم يقدر أحد على تحريكه .

(٥) الثوهد : السمين التام الخلق المراهق .

(٦) العمدّ : الشاب الممتلىء شباباً .

(٧) المردد : الجائر البائر .

وَلمَّا أُقِيمَا(1) عِنْدَ زَمْزَمَ مَعْلَمًا

وَصَلْدَحَ(2) كُفْرٍ مِنْ لَبَاةٍ وأَعْقَدِ(3)

صغَا لَهُمَا الحُجُاجُ حَتَّى تَمَسَّحُوا

بِوَجْهِهِمَا بَعْدَ الزَّكَا مِنْ تَطَوُّدِ(4)

وَإِنْ نَسَكُوا(5) لِلهِ فَالذَّبْحُ فِيهِمَا(6)

لَدَى حَبَشِيٍّ مُشْخَئِنٍّ(7) ضَفَنَّدِ(8)

---

(1) قيل الذى أقامهما عند زمزم بعد ما كانا منصوبين على الصفا والمروة ليكونا عبرة هو عمرو بن لحىّ وقد جُعلا فى وجه البئر.

(2) الصلدَح : الحجر العريض.

(3) الأعقد : الكلب والذئب الملتوى الذنب. فكأن نائلة أصبحت كاللبؤة وإسافاً كالكلب. وهو نعت للأهانة والتحقير.

(4) الزكا مقصوراً : الشفع من العدد. والتطود من قولك تطوّد أى طوّف كطود فقد صار من يطوف بالبيت الحرام يتمسح بهما، فيبدأ بأساف ويختم بنائلة. وذلك قبل أن يجىء عمرو بهبَل وغيره من الأصنام كما سيأتى. ولما ظهر الاسلام وكسرت الأصنام، كره المسلمون الطواف أى السعى بين الصفا والمروة، وقالوا : يارسول الله، هذا كان شعارنا فى الجاهلية لأجل التمسح بالصنمين. فأنزل الله تعالى : « إن الصفا والمروة من شعائر الله. » الآية،

(5) نسك لله : ذبح نسيكة — وهى الذبيحة — تقرباً إلى الله أو إلى أحد الآلهة فى زمن الكفر والجاهلية.

(6) أى فى معبدهما أو حريمهما.

(7) المشخئن : المتغضب. (8) الضفنّد : الرّخو البطين.

وَلأبْنِ لُحَيّ - وَاسْمُهُ عَمْرُو[1] - زَوْرَةٌ
لِجِيلٍ مِنَ البَوْشِ العَمَالِيقِ[2] قَمْهَدِ[3]

١٣٠ تَفَرَّقَ فِي الأَرْضَاتِ[4] مِنْهُمْ قَبَائِلٌ
طِوَالٌ ، وَفِيهِمْ مِنْ قَمِيءٍ وَأَسْجَدِ[5]

طِوَالٌ كَأَنَّ النَّخْلَ فَخْذٌ لِشَعْبِهِمْ[6]
وَيَمْشُونَ فِي ضَرْبٍ مِنَ الخَطْوِ مُعْمَدِ[7]

وَأُخْرَى[8] لإِخْوَانٍ لَهُمْ عِنْدَ سَبْسَبٍ
بِجُدَّةَ نَدُّوا مِنْ قَبِيلٍ مُعَبِّدِ[9]

---

(١) هو أول من نصب الأوثان فى الكعبة كما سيأتى .

(٢) البوش : الجماعة من الناس المختلطين . والعماليق أو العمالقة : قوم تفرقوا فى البلاد من ولد عمليق أو عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام ابن نوح .

(٣) القمهد : اللئيم الأصل والقبيح الوجه .

(٤) الأرضات : جمع للأرض .

(٥) الأسجد : المنتفخ الرجل .

(٦) الأصل فى الشعب أنه القبيلة العظيمة .

(٧) المعمد : الطويل .

(٨) أى وزورة أخرى .

(٩) المتعبد : الشارد . وعبَّد تعبيداً . ذهب شارداً .

وَكَانُوا اسْتَعَارُوا جِنَّهُمْ بَعْدَ كُفْرِهِمْ
تَمَاثِيلَ مِنْ قِطْرٍ لِنَجْدٍ أَلَنْدَدِ[1]

وَمِنْ آنُكٍ[2] جَوْنٍ وَصَخْرٍ مُبَرْقَشٍ
عَلَى صُوَرِ الأَعْلَاجِ[3] مِنْ كُلِّ جَلْسَدِ[4]

١٣٥ وَعَمْرُو شَحَا[5] فِي الجُودِ فَتْحًا مِنَ التَّوَى[6]
وَأَطْعَمَ مِنْ أَمْتٍ[7] النَّدَى كُلَّ مَزْرَدِ[8]

---

(١) ألنْدد : بين الخصومة شديد اللدد . قال ابن قتيبة : ولم يأت على أفنعل الاحرفان قالوا ألنجح وألنْدَد من ألدّ .

(٢) الآنك : لغة فى الرصاص . والجون : الأسود .

(٣) الأعلاج : عظماء الرجال . والظاهر أن منشأ الأصنام أنها كانت تماثيل لعُبّاد أو ملوك أونحوهم. كما كانت تمثل بعض مظاهر القوة والحياة الطبيعية .

(٤) جلسد : اسم صنم .

(٥) شحا : فتح .

(٦) التَّوى مقصوراً : هلاك المال ، وبابه صَدِىَ.كان عمرو بن لحى كبير خزاعة التى أجلت جرهما عن ولاية البيت . وهو ابن بنت عمرو بن الحرث الجرهمى آخر ملوك جرهم . وقد ظل هو وذريته فى ولاية البيت خمسمائة سنة . وكان آخرهم « حليل » الذى تزوج قصىّ ابنته .

(٧) الأمت : المكان المرتفع .

(٨) المزْرد : الحلق : ذلك أن عمرو بن لحى هذا قد بلغ فى العرب من الشرف مالم يبلغه عربى قبله ولا بعده فى الجاهلية . وهو أول من أطعم الحج بمكة سدائف الأبل ولحماتها على الثريد . وذهب شرفه فى =

وَلَبَّى بِأَصْنَامٍ (١) نُهَاقٌ (٢) دُعَاؤُهَا
وَأَفْتَى بِأَكْلِ المَيْتِ (٣) إِفْتَاءَ مُفْسِدِ

= العرب كل مذهب حتى صار قوله ديناً متبعاً لا يخالف وفى كلام بعضهم : صار عمرو للعرب رباً لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة ، لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم فى الموسم ، وربما نحر لهم فى الموسم الواحد عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة .

(١) كان عمرو بن لحى أول من أدخل الشرك فى التلبية . فأنه كان يلبى بتلبية إبراهيم الخليل عليه السلام : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك » فتمثل له الشيطان فى صورة شيخ يلبى معه ، فلما قال عمرو لبيك لا شريك لك قال ذلك الشيخ : إلا شريكاً هو لك ... فأنكر عمرو ذلك . فقال له الشيخ : تملكه وما ملك ، وهذا لا بأس به . . . فقال ذلك عمرو وتبعته العرب على ذلك ، فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده . قال تعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » . وهو أيضاً — أى عمرو — أول من وصل الوصيلة وحمى الحامى .

(٢) النهاق كالنهيق .

(٣) قيل أن عمرو بن لحى هذا هو أيضاً أول من أحل أكل الميتة ، فان كل القبائل من ولد إسماعيل لم تزل تحرم أكل الميتة حتى جاء عمرو فزعم أن الله تعالى لا يرضى بتحريم أكل الميتة ، وقال : كيف لا تأكلون ما قتل الله وتأكلون ما قتلتم ؟ . وروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال « رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً ورأيت عمرو يجر قُصْبَه فى النار . » والقصب لغة الظهر والمعى . وقال صلى الله عليه وسلم لأكثم بن الجون الخزاعى : « يا أكثم ، رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار فما رأيت رجلا أشبه من رجل منك به ولا بك منه . . . » فقال أكثم : فعسى أن يضرنى شبهه يارسول الله . قال : « لا . إنك مؤمن وهو كافر » .

فَسَالَ[1] : وَمَا تِلْكَ الأَهَاوِيلُ وَيحَكُم ؟

فَقَالُوا : هُمُ الأَرْبَابُ يَا عَمْرُو فَاعْبُدِ[2] !

تَأَمَّلْ تَرَ العُزَّى عَزِيزًا مَكَانُهَا

وَقَدْ نَهَضَتْ تُعْطِى عَطَاءَ التَّوَحُّدِ

وَتِلْكَ مَنَاةٌ . . كَمْ لَهَا مِنْ فَضَائِلٍ !

وَقَاصِدُهَا يَرْنُو إِلَيْهَا كَأَنْ قَدِ[3] . .

---

(١) سال : لغة فى سأل .

(٢) تخبط الرواة فى شأن رحلة عمرو إلى أرض العماليق وغيرهم وما اكتنفها من شئون تتعلق بادخال عبادة الأصنام إلى مكة . وخلاصة الرأى أن العماليق — وكان منهم فريق بأرض البلقاء فى طريق قريش إلى الشام — رأى عندهم عمرو بن لحى أصناما كثيرة منها هُبَل الذى أعطوه إياه فقدم به مكة فنصبه فى بطن الكعبة . وقيل أيضاً أنه أتى به من أرض الجزيرة . كما قيل أنه كان له تابع من الجن — وما الجن إلا هو — فقال له: إذهب إلى جُدَّة وأت منها بالآلهة التى كانت تعبد فى زمن نوح وإدريس عليهما السلام وهى : ود وسُواع ويغوث ويعوق ونسر ، وقد ذهب وأتى بها إلى مكة ودعا إلى عبادتها ، فانتشرت عبادة الأصنام فى العرب ، فكان وَدٌّ لكلب . وسُواع لهمدان — وقيل لهذيل — . ويغوث لمذحج أبى قبيلة من اليمن ، ويعوق لمراد — وقيل لهمدان — ، ونسر لِحِمْيَر ، ويقال أن عمرو بن لحى هو الذى نصب مناة على ساحل البحر مما يلى قديد ، وكان الأزد يحجون إليه ويعظمونه وكذلك الأوس والخزرج وغسان .

(٣) أى كأن قد تشبث نظره بها ، أو كأن قد نال منها كل ما يريد .

١٤٠ فَإِنْ وَهِلَ[(١)] الإِنْسَانُ فاللاَّتُ نُغْبَةٌ[(٢)]

مِنَ الأَمْنِ فَاخْلَعْ ثَوْبَكَ الشَّعْرَ وَاهْجُدِ

وَوَدٌّ المُعَلَّى رَبُّ كَلْبٍ وَجِرْمُهَا[(٣)]

وَذَا هُبَلُ المَكْحُولُ مِنْ غَيْرِ إِثْمِدِ[(٤)]

عَقِيقٌ لَهُ وَجْــــهٌ سَنِيٌّ وَأَذْرُعٌ

وَقَدْ أَنْطَقَتْهُ صَنْعَــــةُ المُتَعَتِّدِ[(٥)]

وَنَسْرًا قَدَدْنَا مِنْ لُجَيْنٍ لِحِمْيَرٍ

قَوَادِمُهُ شِيزَى[(٦)] .. وَإِنْ شِئْتَ فَازْدَدِ

فَهَذَا يَغُوثُ الغَوْثِ تَدْعُوهُ مَذْحِجٌ[(٧)]

بِجَهْشٍ[(٨)] فَيَمْضِي فِي حَدِيدٍ مُعَقَّدِ

---

(١) وهل : فزع ،

(٢) النغبة : الجرعة .

(٣) الجرم بالكسر : الجسد واللون .

(٤) الاثمد : الكحل .

(٥) المتعتد : المتأنق من تعتَّدَ أى تأنق .

(٦) الشيزى : خشب أسود يستعمل للأثاث وغيره .

(٧) مذحج : قبيلة كانت تسكن أعمال اليمن .

(٨) الجهش : أن يفزع الإنسان إلى غيره وهو يريد البكاء .

١٤٥ وَسَرْوُ[١] سُوَاعٍ يُسْمِنُ المَالَ[٢] سُؤْلُهُ

وَمِنْ غَيْثِهِ نُغْــذَى بِبُرٍّ مُسَمَّدِ!

فَقَالَ لَهُمْ عَمْرٌو: ذَرُونِي أَكُنْ لَكُمْ

رَسُولاً لَدَى قَوْمِي وَأَخْدَانِ مَوْلِدِي

فَإِنِّي أَرَاهُمْ فِي ضَلَالٍ وَجِنَّــةٍ

يُنَادُونَ بَيْتاً مِنْ قَدِيدٍ[٣] مُصَعَّدِ

أَبَنَّ بِهِ العَصْرَانِ[٤] لاَ يَبْرَحَانِهِ

وَبَادَ بُيُوداً مِنْ طَوَافٍ وَعُوَّدِ

فَمَا ضَرُّهُ إِنْ جِئْتُهُ بِابْنِ إِثْمِدِ[٥]

وَمِنْ بَعْدِهِ الأَصْنَامُ مِنْ كُلِّ جَلْعَدِ[٦]

١٥٠ يُوَثِّقُهَا الأَسْرُبُ[٧] حَتَّى كَأَنَّهَا

تَهَاوِيلُ قَامَتْ حَــوْلَهُ فِي تَجَسُّدِ

---

(١) السرْوُ: السخاء فى مروءة.

(٢) المال عند أهل البادية: النَّعَم أو الماشية.

(٣) أراد بالقديد هنا صفة الحجر المشقوق طولا.

(٤) أبن به: استقر به. والعصران: الغداة والعشى.

(٥) هو هُبَل الذى نعته الشاعر بأنه مكحول من غير إثمد.

(٦) الجلعد: الصلب الشديد.

(٧) الأسربُ: لغة فى الرصاص.

وَيَعْبُدُهَا الأعْرَابُ فِي عَقْرِ[1] دَارِنَا

وَفِي ذَلِكُمْ سُودٌ[2] لِقَوْمِي وَمَعْبَدِي!

* * *

أَيَا رَبِّ! هَلْ تَرْضَى لِبَيْتِكَ آيَةً

مِنَ الكُفْرِ تَمْحُو آيَةً مِنْ مُوَحِّدِ؟

أَيُصْبِحُ بَيْتُ اللهِ فِي لَوْذِ[3] أَحْجُرٍ

تُقَامُ لَدَى أَظْلَالِهِ كَالمُعَنْجِدِ[4]!

لَقَدْ ظَفِرَتْ تِلْكَ التَّصَاوِيرُ والدُّمَى

بِلُبِّ فِئِينٍ[5] العُرْبِ مِنْ غَيْرِ مُرْشِدِ

١٥٥ فَقَدُّوا لَهَا الأثْوَابَ وَاسْتَنْبَطُوا الحِلَى[6]

وَقَامُوا لَهَا بِالحَمْدِ فِي كُلِّ مَقْعَدِ

---

(١) عقر الدار بفتح العين وضمها فى لغة أهل الحجاز: أصلها أو أساسها أو عتبتها

(٢) السود كالسؤدد: السيادة والعلاء والرفعة.

(٣) فى لوذه: فى صحبته وكنفه. والأحجر: الأحجار.

(٤) الأظلال: جمع الظل كالظلال. والمعنجد: الغضوب الحديد أى الحاد فى غضبه

(٥) الفئون: جمع الفئة وهى الطائفة والجمع من الناس.

(٦) الحلية بكسر الحاء: الصفة. وتجمع على حُلى بكسر الحاء وضمها وهى الصفات.

فَمِنْ طَائِفٍ يَمْشِي سَبَهْلَا[1] مُرَدِّداً

تَرَانِيمَ شَيْطَانٍ وَبَلْبَالَ صَرْخَدِ[2]

وَمِنْ آيِبٍ مِنْ بَعْدِ إيلاَفِ رِحْلَةٍ[3]

يَرُشُّ دَماً مِنْ ضَيْوَنٍ[4] فَوْقَ مِقْلَدِ

وَيَشْذِبُ[5] رَأْساً نَالَهَا الوَعْثُ وَالسُّرَى[6]

لَدَى هُبَلٍ شُكراً لِمَا مَدَّ مِنْ يَدِ

وَرَبُّهُمُ يَشْتُو لَدَى اللاَّتِ إنْ شَتَا[7]

وَلِلصَّيْفِ عُزَّى عِنْدَهَا عُشْبُ جِلْمِدِ[8]

---

(١) يمشي سبهلا : يجيء ويذهب فى غير شيء .

(٢) البلبال : وسواس الصدر والهم . والصرخد : اسم للخمر .

(٣) من قوله تعالى : (لأيلف قريش إيلفهم رحلة الشتاء والصيف) .

(٤) الضيونة : القِط . والمقلد : مفتاح كالمنجل والجمع مقاليد ، فكأن القط المذبوح مغروز فى المقلد وهذا من خيال الشاعر وتصويره جهلهم وإيمانهم بالخرافات وفسوق الكهان

(٥) كل شيء هذَّبته بتنحية ما زاد عن المطلوب منه فقد شَذَبْتَه من باب ضرب وشذَّبته بالتشديد . فقوله يشذب رأساً أى يحلقها .

(٦) الوعث : الطريق الوعر . والسُّرى جمع سُرية بالضم والفتح وهى سير الليل .   (٧) شتا : أقام فصل الشتاء .

(٨) الجِلْمِد : أتان الضحل أى مقام المستقى على فم البئر من الصخر يركبه الطُّحْلُبُ فيصير أملس. هكذا زعم لهم عمرو بن لحى . ولذا كانوا يعظمون هذين الصنمين ويهدون إلى العُزَّى كما يهدون إلى الكعبة .

١٦٠ كَمَا بَحَرُوا[١] عِيساً وَقَالُوا بَحِيرَة[٢] .. !
مَقَالَةَ خَرَّاص جَهُولٍ ضَفَنْدَدِ[٣]

وَسَائِبَةً[٤] فِي لَاحِبِ[٥] الطُّرْقِ أَطْلَقُوا
نَجَتْ أَبَدًا مِنْ دِرَّةِ الْمُتَعَيِّدِ[٦]

---

(١) البحر : شقُّ الأذن . ومنه البَحيرة . كانوا إذا نُتِجت الناقة أو الشاة عشرة أبطن بَحَروها وتركوها حرَّة ترعى وحرَّموا لحمها - إذا ماتت - على نسائهم وأكلها الرجال . أو التى خُلِّيت بلا راع . أو التى إذا نُتِجت خمسة أبطن والخامس ذكر نحروه فأكله الرجال والنساء . وإن كانت أنثى بحروا أذنها فكان حراماً عليهم لحمها ولبنها وركوبها ، فاذا ماتت حلّت للنساء . أو هى ابنة السائبة وحكمها حكم أمها . أو هى فى الشاء خاصة إذا نُتِجت خمسة أبطن نحرت . وهى الغزيرة أيضاً

(٢) قيل أن أول من بَحَرَ البحيرة رجل من بنى مُدْلِجْ — وهم قبيلة من كنانة — كانت له ناقتان ، فجدع أذنيهما وحرّم ألبانهما . قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيته فى النار يخبطانه بأخفافهما ويعضّانه بأفواههما » .

(٣) الضفندد : الضخم الأحمق .

(٤) السائبة : البعير يُدرِك نتاج نتاجه فيُسَيَّب أى يُترك لا يركب . والناقة كانت تسيَّب فى الجاهلية لنذر أو نحوه ، أو كانت إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سُيبت ، أو كان الرجل إذا قدم من سفر بعيد أو نجت دابته من مشقة أو حرب قال هى سائبة . أو كان ينزع من ظهرها فقارة أو عظماً . وكانت لا تُمنع عن كلأ ولا ماء ولا تُركب .

(٥) اللاحب : الطريق الممهّد .

(٦) الدرّة : التى يضرب بها كالسوط ونحوه . والمتعيد : الظلوم والغضبان والمتجنى والمهدِّد .

فَإِنْ قَطَعَتْ وَجْنَاءُ[1] أَشْطَانَ مِرْبَدٍ

أُعِيدَتْ كَمَا كَانَتْ بِأَشْطَانِ مِرْبَدِ[2]

وَإِنْ طَارَتِ الغِدْفَانُ[3] عَنْ أَشْمُلٍ لَهُمْ

وَقَدْ نَهَضُوا فَالحَظْرُ فِي كُلِّ مَرْصَدِ[4]

وَتُوهَبُ لِلأَصْنَامِ مِنْهُمْ أَجِنَّـــةٌ

يَرُومُونَ مِنْهَـــا بِدَّةَ[5] المُتَعَهِّدِ

١٦٥ وَفِيهِمْ قِدَاحٌ[6] عِنْدَهَا الأَمْرُ كُلُّهُ

تَقُولُ : نَعَمْ ! إِنْ صَادَفَتْ بَعْضَ مَقْصَدِ

---

(١) الوجناء : الناقة الشديدة . وقيل العظيمة الوجنتين . والأشطان : الحبال . والمِرْبَد : من مرابط الأبل ،

(٢) أى أن الناقة إذا قطعت حبالها وضلّت فى الصحراء ، تعود برحمة الأصنام وبركتها إلى موضعها .

(٣) الغدفان : جمع غُداف وهو الغراب . وقيل هو غراب القيظ أو الغراب الكبير . والأشمل جمع الشمال . وهذا الاعتقاد هو المسمى بالطِّيَرَة .

(٤) المرصد : طريق الارتقاب والانتظار .

(٥) كانوا يهبون الطفل أو يجعلونه خادماً للصنم . والبِدَّة : النصيب

(٦) كان عند هُبل مثلا سبع قداح : قدحٌ مكتوب فيه « العقل » (لعله الدية) إذا اختلفوا فيمن يحمله منهم ضربوا به ، فعلى من خرج حمله . وقدح مكتوب فيه « نعم » . وقدح مكتوب فيه « لا » وذلك للأمر الذى يريدونه . وقدح مكتوب فيه « منكم » . وقدح مكتوب فيه « مُلصق بكم من غيركم » ، وذلك إذا اختلفوا فى ولد هل هو منهم أم لا . . الخ الخ . . .

وَكَائِنْ مِنَ الكُهَّانِ حَمُّوا[1] عُقولَهُمْ

بِرَوْعٍ مِنَ الأصْنامِ بَاغٍ مُعَرْبِدِ

وَما نُهْيَةٌ[2] قامَتْ لَدَيْهِمْ تَذُودُهُمْ

عَنِ الهُجْرِ[3] فِيما زَيَّنُوا كالتَّعَبُّدِ

فَقَدْ قَصَلُوا[4] بالكُفْرِ والجَهْلِ دِينَهُمْ

وَمَا وَسِعُوا إيمَانَهُمْ مِنْ تَقَعُّدِ[5]

وَمَكَّةُ تُؤْوِي مِنْ حَجِيجٍ وَسَامِرٍ

فَمَا نَقَضَتْ بِالزَّادِ عَهْداً لِمُلْحِدِ

١٧٠ سَقَى اللهُ أَرْضًا أَشْبَعَتْ كُلَّ كافِرٍ

وَأَوْلَتْ جِنَانًا لِلنَّدِي غَيْرَ مُرْجَدِ[6]

---

(١) حمّ الماء وغيره : سخّنه .

(٢) النُّهية : العقل لأنها تنهى عن كل فعل قبيح .

(٣) الهُجر : الفحش من القول .

(٤) قصلوا : قطعوا وداسوا .

(٥) التقعُّد : عدم طلب الشيء والتوانى فيه .

(٦) أُرجِد فهو مُرْجَد : أرعد . يريد أن يقول إن مكة ظلت تقرى ساكنيها ولم ترتعد فرَقاً من الله أن يسألها لمَ أشبعتِ الكافرين !

دُعَاءُ لِإِبْرَاهِيمَ بَيَّاهُ[1] رَبُّـــهُ

مُقِيمٌ لَدَى هَـــذَا البَقِيعِ[2] المُؤَيَّدِ

عبد المطّلب وإعادة حفر زمزم

وَزَمْزَمُ ... مَاءُ اللهِ . . والحَفْرُ حَفْرُهُ

عَلَى يَدِ جِبْرِيلٍ مِنَ الرُّسْـــلِ أَيِّدِ[3]

وَكَوْثَرُ بَيْتِ اللهِ ... جَفَّتْ شُئُونُهَا

كَضَرْعٍ حَبِيسٍ دَرُّهُ[4] مِنْ تَجَدُّدِ[5]

بَكَتْ حَزَنًا فِى ذَاتِ يَوْمٍ وَلَمْ تَزَلْ

تَبُثُّ شَكَاةً لِلْعَهِيـــدِ[6] المُخَلَّدِ

---

(١) بيَّاه : اعتمده بالتحية . قاله الأصمعى . وقال الأحمر إن معناه بَوَّأَهُ منزلا . وله معان أخرى لا تخرج عما أوردنا .

(٢) البقيع : كل مكان متسع .

(٣) الأيِّد : القوىّ .

(٤) الدَّرُّ : اللبن

(٥) تجدَّد الضرع : ذهب لبنه .

(٦) العهيد : المعاهد والقديم ، أراد البيت العتيق .

١٧٥ أَلَمْ يَكُ إِسْمَاعِيلُ أَوَّلَ شَارِبٍ ؟

فَمَا بَالُ قَوْمٍ مِنْ قَبِيلٍ مُرَهِّدِ [١]

يَلِجُّونَ فِي كُفْرٍ كَمَا لَجَّ قَبْلَهُمْ

أُنَاسٌ كَثِيرٌ بَيْنَ بَادٍ وَمُصْعِدِ [٢]

وَهَلْ زَمْزَمٌ تَسْقِي مِنَ النَّاسِ فَاجِراً

وَمُتَّهَماً فِي دِينِهِ وَابْنَ مِسْرَدِ [٣] ؟

لَقَدْ غَاضَ مِنْهَا المَاءُ حَتَّى كَأَنَّهَا

خَرَابَةُ شَيْطَانٍ وَجُحْرَانُ [٤] أَرْبَدِ

وَجُرْهُمُ طَمَّتْهَا وَكَانُوا جَبَابِرًا

وَكَانُوا جِسَامًا فِي مَطِيٍّ سَمَهْدَدِ [٥]

---

(١) رهَّد فهو مُرهِّد : أتى بالحماقة العظيمة . يقصد جُرْهما لما طغت في حرم الله وكعبته .

(٢) البادى : الخارج إلى البادية . والمصْعد : القادم إلى مكة :

(٣) ابن مسْرد : ابن أمة أو قَيْنة وهو شتم

(٤) الجحران كالجحر وهو كل شيء تحتفره الهوام لأنفسها ، والأربد : الحيَّة الخبيثة

(٥) السمهْدد : الجسيم من الإبل

١٨٠ بَغَوْا[١] أَشَرًا فِي الْبَيْتِ مِنْ كُلِّ قَارِحٍ
وَمِنْ كُلِّ كَفَّارٍ وَمِنْ كُلِّ حِقْلِدِ[٢]

فَقَالَ مِضَاضُ[٣] : أَيُّهَا النَّاسُ أَخْبِتُوا
لِرَبٍّ غَفُورٍ عَامِرِ الْبَيْتِ مُشْكِدِ[٤]

أَلَا أَيُّهَا الْكُفَّارُ حُورُوا[٥] لِبَارِئٍ
مَخَافَةَ أُخْرَى مِنْ حَمِيمٍ مُصَخَّدِ[٦]

أَلَا أَيُّهَا الْفُجَّارُ كُفُّوا فُجُورَكُمْ
فَإِنِّي أَرَاهَا لَعْنَـــــــةً فِي التَّشَوُّدِ[٧]

---

(١) ذلك أنهم ظلموا من يدخل مكة من غير أهلها . وأكلوا مال الكعبة الذى يهدى إليها .

(٢) الحقلد : السيء الخلق الثقيل الروح .

(٣) هو مِضاض بن عمرو ـــ وقيل مُضاض ـ شيخ جُرهم وكبيرهم إذ ذاك . وقيل فى رواية أخرى أن الذى فعل ذلك هو عمرو بن الحرث الجرهمى .

(٤) أشكد فهو مشكد : أعطى .

(٥) حوروا : ارجعوا

(٦) مخافة أخرى أى حياة أخرى فى الآخرة . وصَخَدَهُ : أحرقه . وصخّد فهو مصخّد مبالغة وتكثير .

(٧) التشوُّد كالتشويد : طلوع الشمس وارتفاعها .

فلمّا عتَوْا وَاسْتَكْبَرُوا سَارَ فِي دُجًى

مِنَ اللَّيْلِ فِي خَطْوٍ كَكَنْزِ حَافِ أَبْرَدِ[1]

١٨٥ يَدِبُّ إِلَى حَيْثُ الخِزَانَةُ[2] ثَرَّةٌ[3]

لِـكُلِّ سَنِيٍّ عَسْجَدِيٍّ صَلَوْدَدِ[4]

وَفِيهَا ظِبَاءٌ مِنْ نُضَـــارٍ وَأَدْرُعٌ[5]

ثِقَالٌ لِصَوْنِ البَيْتِ مِنْ شَرٍّ مُؤْيِدِ[6]

مُثَفَّدَةٌ بِالخَزِّ وَالخَمْلِ زِينَـــــــةً

وَمِنْ بَيْنِهَا لِلْحَرْبِ غَيْرُ المُثَفَّدِ[7]

وَأَسْيَافُ عِقْيَانٍ هِيَ الضِّحُّ[8] ضَحْوَةً

مُرَصَّعَـــــــةٌ أَغْمَادُهَا بِالزُّمُرُّدِ...

---

(١) الأبرد : النَّمِر .

(٢) يريد خزانة الكعبة أى بئرها التى كانت تلقى فيها النذور .

(٣) ثرَّة هنا بمعنى واسعة ومكثار .

(٤) الصَّلودد : الصُّلب الأملس .

(٥) ورد فى المأثور أن خزانة الكعبة كانت تحوى غزالتين من ذهب وأموالا وسيوفاً ودروعاً كانت تهدى إلى البيت الحرام . وفى مرآة الزمان أن هاتين الغزالتين والسيوف أهداها للكعبة ساسان أول ملوك دولة الفرس الثانية .

(٦) المؤيد : الأمر العظيم والداهية .

(٧) ثفَّدَ درعه : بطَّنها . والدرع مؤنثة وقال أبو عبيدة يُذكر ويؤنث .

(٨) الضِّحُّ : الشمس وضوءُها .

تأمّلها والليْلُ مرخٍ حِتارَهُ[1]

وَقدْ خفَــدتْ[2] ساعَاتُهُ فِي تربُّدِ[3]

١٩٠ أليْسَ مِضَاضٌ يَعْلمُ البيْتَ أنّهُ

مُحاطٌ بِجُنْدٍ جاثِمٍ حَــوْلَ مِحْفدِ[4] !

فلمّا سَجَا[5] نفْسًا وَحَيّتْــهُ أنْجُمٌ

لهُنّ إرَاتٌ[6] بيْنَ هاوٍ ومُسْنِــدِ[7]

مَشَى جَذِلاً بِالـكَنْزِ حَتّى أتَى بِهِ

رَكِيّةَ[8] إسْمَاعِيلَ فِي غَــيْرِ صُعْدُدِ

فأعْمَقَ فِيهَا الحَفْرَ حتّى بَدَتْ لهُ

أُصُولُ صُواحٍ[9] مِنْ مَشِيدٍ مُصَوْمِدِ[10]

---

(١) الحتار من كل شيء : حرفه وما استدار به .

(٢) خفدت : أسرعت فى مشيتها .

(٣) التربّد : التعبّس والتغيّر والتغيّم .

(٤) المِحفد : طرف الثوب . وأراد بالجند الملائكة الحرّاس .

(٥) سجا هنا بمعنى سكن .

(٦) الإرات جمع الإرة وهى النار .

(٧) أسند فهو مسنِد . صعد .

(٨) الركية : البئر ، أراد بئر زمزم . والصعـدد : المشقة .

(٩) الصواح : الجصّ .

(١٠) المصومِد : الغليظ .

تَهَلَّلَ وَجْـهٌ مِنْ مُضَاضٍ مُسَهَّدٍ

وَصَفَّقَ قَلْبٌ بَيْنَ أَضْلَاعِ صَلْخَدِ[1]

١٩٥ وَأَوْدَعَ كَنْزَ البَيْتِ أَعْطَافَ زَمْزَمٍ

كَمَا رَقَدَتْ فِي الرَّيْمِ أَعْطَافُ مُشْهَدِ[2]

وَأَوْدَعَهَا مِنْ أَقْدُسِ اللهِ أَسْوَدًا[3]

غَفَا أَسِفًا فِي فُسْحَـةٍ مِنْ تَعَقُّدِ[4]

وَطَمَّ تَوَاهَا[5] لَا سَمِيعٌ لِطَمِّهِ

وَلَا مُفْصِحٌ غِبَّ الصَّبَـاحِ بِمِذْوَدِ[6]

كَأَنِّى بِهِ فِي الشِّعْبِ وَالفَجْرُ بَالِجٌ

دُلُوكُ[7] مَنَارٍ أَوْ مُعَانَاةُ أَصْيَـدِ[8]

---

(١) الصلخد : الشهم الحازم ،

(٢) الرَّيم : القبر . وأُشهد مبنياً للمجهول فهو مُشهد : قُـتل فى سبيل الله كاستُشهد .

(٣) أى الحجر الأسود ، فمضاض دفنه فيما دفن من النفائس .

(٤) الفسحة : السعة والتعقُّد فى البئر أن يخرج أسفل الطَّىّ ويدخل أعلاه إلى اتساع البئر .

(٥) تواها : هلاكها .

(٦) المذود فى هذا الموضع : اللسان .

(٧) الدلوك : الزوال بعد الاستواء ، والغروب .

(٨) الأصيد : الملك والأسد .

مَضَى قُدُمًا فِى أَوْصَرٍ[1] غَيْرَ آيِبٍ

إِلَى كَنَفٍ ذِى حَرَّةٍ عِنْدَ ضَرْغَدِ[2]

٢٠٠ فَمَا عَرَفَتْهُ جُرْهُمٌ فِى عَرِينِهِ

وَمَا كَانَ فِى نَأْىٍ مِضَاضٌ بِأَبْعَدِ[3] !

وَأَطْلَقَ رَبُّ الْعَرْشِ مِنْ قَوْسِ بَطْشِهِ

طَوَائِفَ مِنْ أَزْدٍ[4] كَسَهْمٍ مُسَدَّدِ

فَلَمْ يَذَرُوا مِنْ جُرْهُمٍ قَطُّ آهِلاً

وَهَلْ يَذَرُ الْقَهَّارُ نَسْكاً[5] لِأَوْغَدِ!

خُزَاعَةُ ذَادَتْهُمْ إِلَى شَرِّ مَوْطِنٍ

وَأَهْلَكَهُمْ مِنْ بَغْيِهِمْ نَارُ صَيْهَدِ[6]

---

(١) مضى قدما : استمر فى سيره إلى الأمام دون التفات . والأوْصر : المرتفع من الأرض .

(٢) ضرغد : جبل أو حرة لغطفان

(٣) الأبعد : الخائن والخائف .

(٤) ذلك أن قبيلة خزاعة التى خلفت جرهما على البيت وأهلكتهم — كانوا حيًّا من الأزد سُمُّوا بذلك لأنهم تخزّعوا عن قومهم أى تخلفوا واقتطعوا أنفسهم وأقاموا بمكة .

(٥) النَّسك : العبادة وكل حق لله تعالى .

(٦) الصيْهد هنا : شدة الحر أو فلاة لا يُنال ماؤها . وذلك لدى خروج من بقى منهم إلى جهة اليمين .

وَدُودٌ[1] رَعَى مِنْهُمْ أُنُوفًا وَأَعْيُنًا

فَأَرْؤُسُهُمْ مِنْــــهُ كَعَظْمٍ مُجَلَّدِ[2]

* * *

٢٠٥ عَلَا رَهَجُ التَّيْرَابِ[3] مِنْ فَوْقِ زَمْزَمٍ

وَمَرَّتْ قُرُونٌ مِنَ زَمَانٍ مُبَــــدَّدِ

عَلَى كَثَمٍ[4] مِنْهَا يُطُوفُونَ جُهَّلاً

طَوَافَ مَطِيٍّ ظَاهِرِ الرَّنْحِ[5] مُسْئِدِ[6]

وَفِيهِمْ عُرَاةٌ[7] ضَلَّ عَنْهُمْ حُلُومُهُمْ

وَمَا يَقْبَلُ الخَــلَّاقُ مِنْ غَيْرِ مُخْرِدِ[8]

---

(١) كأنما يصر الشاعر على ايراد الروايتين عن هلاك جرهم . فقد ذكر قبلا أنهم هلكوا بالذَّر ، وها هو ذا يقول إن الله سبحانه وتعالى سلَّط عليهم دواباً تشبه النَّغف بالغين المعجمة وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم ، فهلك منهم ثمانون كهلا في ليلة واحدة سوى الشباب . وقيل سلط الله عليهم الرُّعاف فأفنى غالبهم وذهب من بقي منهم إلى اليمن مع آخر ملوكهم عمرو بن الحرث الجرهمي .

(٢) العظم المجلد : الذي لم يبق عليه غير الجلد :

(٣) الرهج : الغبار أو حركته . والتيراب : لغة في التراب .

(٤) على كثم : لغة في « من كَثَبٍ » أي من قرب .

(٥) الرنح : الدُّوار .

(٦) مسئد : مُسْغِذٌ في السير

(٧) أجل ... ورد في بعض المراجع أن فريقاً من الأعراب كانوا — في الجاهلية — يطوفون بالبيت وهم عراة .

(٨) أخرد فهو مُخرد : استحيا .

يُرِيدُ مَعِينُ المــــاءِ أَنْ يَسْقِىَ الحِمَى

فَيَذْهَبُ فِي سَخْدٍ[1] مِنَ الطَّمِّ مُصْلِدِ[2]

يُرِيدُ مَعِينُ الماءِ إِحْيَاءَ رَسْمِــــهِ

وَتَفْجِــيرَ سَلْسَالٍ وَضِىءِ التَّزَبُّدِ

٢١٠ أَيَعْلَمُ ماءُ اللهِ أَنَّ رَسُــولَهُ

سَيُبْعَثُ فِي أَوْجٍ[3] وَدِينٍ وَسُودَدِ ؟

وَهَلْ عَــلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّ مُحَمَّدًا

دَنَا وَتَجَلَّى فِي فُحُولٍ وَحُمَّــدِ ؟

قُصَىٌّ سَدِينُ[4] البَيْتِ لاجُودَ بَعْدَهُ

وَلَيْثُ قُرَيْشٍ مِنْ عَشِيرٍ مُحَسَّــدِ[5]

---

(١) السَّخد : الحارّ .

(٢) مصلد هنا بمعنى صَلْب . وأصلدت الأرض : صَلُبت . فقد ظلت زمزم مطمومةً لا يعرف محلّها مدة خُزاعة ، ومـدة قُصَىّ من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن بعده إلى زمن عبد المطلب . وكان قصى احتفر بئراً فى الدار التى سكنتها فيما بعد أم هانىء أخت علىّ رضى الله عنهما ، وهى أول ساقية تحتفر بمكة .

(٣) الأوج : ضد الهبوط . أى فى سموق وعلا .

(٤) سدين هنا فعيل بمعنى فاعل . أى سادن الكعبة وخادمها والمتولى أمورها .

(٥) حسَّده فهو مُحسَّد : لغة فى حَسَده .

أزالَ[١] عنْ البيْتِ الحرامِ خُزاعةً
وَشيَّدَ داراً[٢] أمَّها كُلُّ أسْـوَدِ[٣]

وَفي طرُقاتِ الحجِّ ألقى جَزائِراً[٤]
وَأطْعَمَ لحْماً ثمَّ لمْ يتَخَـدَّدِ[٥]

---

(١) ذلك أن قصيا تزوج بنت حليل — بالحاء المهملة المضمومة — الخزاعى آخر من ولى الحكم بمكة من خزاعة. فلما مات تزعم قصى مكة وطرد خزاعة من البيت الحرام لأنهم كانوا قد بغوا فيـه كما فعلت جرهم من قبل، ولأن قريشاً أقرب إلى إسماعيل عليه السلام من خزاعة. واستعان فى ذلك بقريش وبنى كنانة وقضاعة وقيل غير ذلك فى رواية أخرى مما لا يخرج عن هذا المعنى.

(٢) هى المعروفة فى السِّيَر بدار الندوة وكانت قريش تجتمع فيها للتشاور فكانت بمثابة البرلمان الحديث أو دار الحكم.

(٣) الأسود من الرجال: أجلُّهم.

(٤) الجزور: البعير أو خاص بالناقة المجزورة. والجزائر جمعها.

(٥) لم يتخدد: لم يتغضَّن أو يسترخى كناية عن حداثة عهده بالذبح. فأن قصيا — لما حضر الحج. قال لقريش: «قد حضر الحج، وقد سمعت العرب بما صنعتم — أى بما أخذتم الملك من خزاعة، وهم لكم معظمون. ولا أعلم مكرمة عند العرب أعظم من الطعام. فليخرج كل إنسان منكم من ماله خرجاً». ففعلوا، فجمع من ذلك شيئاً كثيراً. فلما جاء أوائل الحج نحر على كل طريق من طرق مكة جزوراً، ونحر بمكة، وجعل الثَّريد واللحم، وسقى الماء المُحَـلّى بالزبيب، وسقى اللبن.

٢١٥ وَأوْقَدَ نَارَ النَّفْرِ[١] فِى رَأْسِ أَيْهَمٍ[٢]

فَكَانَ لهَــا فِى النَّاسِ سِحْرُ المُعَقِّدِ[٣]

وَعَبْــدِ مَنَافٍ ثُمَّ عَمْرٍو[٤] فَشَيْبَةٍ

لِعَامِرَ[٥] تَعْلُو كُلَّ نَدْبٍ[٦] وَأرْشَدِ

يَقُولُ لَهُ مِنْ مَكْنِسِ[٧] الُحلْمِ هَاتِفٌ

لدَى الِحجْرِ فِى لَيْــلٍ مُصِيفٍ مُطَرَّدِ[٨] :

لِطَيْبَةَ[٩] قُمْ وَالْحفِرِ إنْ كُنْتَ فَاعِلاً

لِتَنْعَمَ فِى خَفْضٍ مِنَ العِــزِّ صَهْوَدِ[١٠] !

---

(١) النفْر أو يوم النفْر والنَّفَر هو يوم ينفر الحاج من عرفه . فان قصياً كان أول من أوقد النار بمزدلفة ليراها الناس من عرفة ليلة النفر .

(٢) الأيهم : الجبل العالى. (٣) المُعَقِّد : الساحر.

(٤) هو هاشم الجد الثانى للمصطفى صلى الله عليه وسلم واسمه عمرو العلا لعلو مرتبته .

(٥) عامر : اسم آخر لعبد المطلب كشيبة الحمد .

(٦) النَّدْبُ : الشهم الكريم الخفيف إلى قضاء حاجات الناس.

(٧) المكْنِس : مكان نوم الظبى جعله هنا مكاناً لنوم الُحلم .

(٨) اليوم المطرد والليل المطرد : الطويل . والمصيف الداخل فى الصيف .

(٩) طِيبة : من أسماء زمزم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال عبد المطلب : « إنى لنائم فى الحِجْر إذ أتانى آت فقال : احفر طيبة . فقلت : وما طيبة ؟ فذهب وتركنى . . . » .

(١٠) الصهود : الجسيم.

وَبرَّةُ[1] تدْعُو عامِرًا أنْ يَشِيــدَهَا

وَغَامِدَةٌ[2] طَافَتْ بِحُلْمِ العَجَــرَّدِ[3] ..

٢٢٠ وَمَضْنُونَةٌ[4] فِى الجَوْفِ تَنْهَلُّ كَوْثرًا

فَهَــلْ حَنَّ قَلْبٌ مِنْ قُرَيْشٍ لِعُبْرُدِ[5] ؟

« ألاَ أيُّهَا السَّالِي ! تُنَاجِيكَ زَمْزَمُ[6]

لَدَى الفَرْثِ[7] مِنْ صَوْبِ الذَّبِيحِ المُسَرْهَدِ[8]

---

(١) برَّة : من أسماء زمزم أيضاً . قال عبد المطلب : « فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال : احفر برَّة . .فقلت : وما برَّة ؟ فذهب وتركنى . . » .

(٢) الغامدة : البئر المندفنة .

(٣) العجرَّد : الجرىء والمتجرد .

(٤) المضنونة : من أسماء زمزم كذلك . قال عبد المطلب : « فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال : احفر المضنونة . . . فقلت : وما المضنونة ؟ فذهب وتركنى . . » .

(٥) العبرد : الجارية البيضاء الناعمة ترتج من نعمتها .

(٦) قال عبد المطلب : « فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال : احفر زمزم . . ! فقلت : ومازمزم؟قال : لاتنزف ولا تُذَمّ تسقى الحجيج الأعظم ، وهى بين الفرث والدم ، عند نقرة الغراب الأعصم ، عند قرية النمل . . » .

(٧) الفرث : السِّرجين ما دام فى الكَرِش ، والجمع فروث.

(٨) المسرهد : الحسنُ الغِـذاء .

«لَدَى الفَرْثِ يَأْتِيهِ مِنَ الطَّيْرِ أَعْصَمُ[1]

غُدَافٌ[2] ، وَحَوْلَ الذِّبْحِ أَشْبَاهُ صِفْرِدِ[3]

«وَقَرْيَةُ نَمْلٍ شَاقَهَا الدِّفْءُ فِي اللِّوَى[4]

فَسَارَتْ خِفَافًا بَيْنَ جُحْرٍ وَعُرْجُدِ[5]..»

يُنَادِيهِ هٰذَا الطَّيْفُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ

وَيَأْوِى إِلَى كَهْفٍ مِنَ الصَّمْتِ مُخْمِدِ[6]

٢٢٥ فَيَصْحُو مُصِيخاً شَيْبَةُ الحَمْدِ قَلْبُهُ

وَأَعْطَافُهُ مِنْ هَيْبَةٍ فِي تَخَدُّدِ[7]

فَلَمَّا رَأَى أَنَّ الذى جَاءَ صَادِقٌ

وَلَيْسَ طَوَافًا مِنْ شَيَاطِينِ أَدْعُدِ[8]

---

(١) الأعصم لغةً : ما فى ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر . أما الغراب الأعصم فقيل انه الأحمر المنقار والرجلين ، وقيل الأبيض البطن ، وقيل الأبيض الجناحين .

(٢) الغداف هنا : غراب القيظ .

(٣) الصفْرد : « أبو المليح » وهو طائر جبان .

(٤) لِوَى الرمل : مُنْقَطَعُه وهو الجَدَد بعد الرَّملة .

(٥) العرجد : عرجون النخل .

(٦) أخمد فهو مخمد : سكن وسكت .

(٧) فى تخدّد أى فى تشنج .

(٨) أدعد : جمع دَعْد . أى لما رأى أن الذى يجيئه فى الحُلم له هيئة الصدق وليس شيطاناً من شياطين نساء الهوى .

دَعَا الحَرْثَ[1] لَمْ يُرْزَقْ سِوَاهُ وَأَقْبَلَا
عَلَى البَيْتِ فِي عَزْمٍ دَرُوبٍ وَأَعْتُدِ[2]

فَأَلْفَى جُيُوشَ النَّمْلِ صُفْـــراً جِبَاهُهَا
عَلَى قَابِ قَوْسٍ مِنْ جَزُورٍ مُجَــلَّدِ[3]

وَأَلْفَى غُدَافاً يَنْقُرُ الفَــرْثَ تَارَةً
وَيَفْزَعُ أُخْرَى مِنْ نِمَالٍ وَخُدْخُــدِ[4]

٢٣٠ أَلَيْسَ إِسَافٌ لِلذَّبَائِحِ هَيْـكَلَا
وَنَائِلَةٌ فِي بُهْرِ[5] حُسْنٍ مُعَجْرَدِ[6]

تَبَسَّمَ ثَغْـــرٌ كَانَ جَهْماً لِعَامِرٍ
وَأَشْرَقَتِ الآمَالُ مِنْ صَوْبِ عِرْبِدِ[7]

---

(١) هو ولده الوحيد إذ ذاك .
(٢) أعتد : جمع العتاد وهو العدّة كالفأس وغيرها من أدوات الحفر ،
(٣) المجلد : الذي سُلخ جلده بعد ذبحه .
(٤) النمال : جمع النمل . والخدخد : دويبة .
(٥) البهر : تتابع النَّفَس من جهد ومشقة .
(٦) المعجرد : العريان ، وقد تقدم أن قريشاً كانت تذبح ذبائحها التى تتقرب بها إلى الآلهة عند صنمها إساف ونائلة .
(٧) العِربد هنا : الأرض الخشنة . أراد المكان حول زمزم وكان متروكا مهملا منذ الطمّ .

وَرَنَّمتِ الأَجْبَـــالُ مَا شَاءَ حُبُّهَا
لِزَمْزَمَ وَانْهَلَّتْ أَغَارِيدُ صِنْـــدِدِ[1]

وَكَبَّرَ بَيْتُ اللهِ تَـكْبِيرَ شَاكِرٍ
وَأَمْعَنَ فِي الوِجْـدَانِ هَيْمًا بِعَهْدِ[2]

فَقَــدْ شَاقَ بَيْتَ اللهِ أَيَّامُ زَمْزَمٍ
وَلَمْ يَكُ يَرْوِى مِنْ شَرَابٍ مُصَعَّـــدِ[3]

٢٣٥ يُصَفُّ حِيَاضًا مِنْ أَدِيمٍ[4] سِقَايَةً[5]
وَيُقْذَفُ فِيهَا مِنْ تُمورٍ وَعَنْجَـــدِ[6]

---

(١) صنْدد . جبل بتهامة ،

(٢) أى شوقاً لما كان يَعهد من قيام زمزم إلجواره تسقى الحجيجوتروىالظماء

(٣) الشراب المصعد : هو الذى عولج بالنار .

(٤) الأديم : الجلد أو أحمره أو مدبوغه .

(٥) السقاية : كانت حياضاً من أدُمٍ توضع بفناء الكعبة وينقل إليها الماء العذب من الآبار علىظهور الأبلٍ فى المزاود والقِرَب قبل حفر زمزم وربما وضعوا فيها الزبيب والتمر فى غالب الأحوال لسقى الحاج أيام الموسم حتى يتفرقوا . وكانت السقاية منأشرف الوظائف هى والرِّفادة أى طعام المحتاجين من الحجاج ـ والحجابة ـ أعنى سدانة الكعبة ـ والندوة ـ أى الدار التى تقطع فيها قريش أمورها ـ واللواء ـ وهو حمل لواء قريش للحرب ، والقيادة فى القتال وسائر الأمور ـ . وكان أشراف قريش ورجالات مكة يتوارثون هـذه الألقاب المشرفة كابراً عن كابر . فلما حفر عبد المطلب زمزم صار ينقل الماء منها إلى تلك الأحواض ويقذف فيها التمر والزبيب .

(٦) التمور : جمع التمر . والعنجد : الزبيب .

إِلَى الحَفْرِ هَيَّا إِنَّ فِي الحَفْرِ مَغْنَمًا

وَزَمْزَمُ أَجْدَى مِنْ تِلَادٍ وَصِمْرِدِ (١)

وَمَا لِقُرَيْشٍ إِذْ رَأَتْ ثَمَّ مِعْوَلاً

فَجَاشَتْ عَجَاجًا (٢) مِنْ جَهُولٍ وَضَهْيَدِ (٣) !

كَأَنَّ عَدُوًّا نَالَهُمْ إِثْرَ غِرَّةٍ

مِنَ اللَّيْلِ ، فَانْظُرْ يَا أَبَا الحَرْثِ وَاعْمَدِ (٤) !

يَقُولُونَ : كُفًّا عَنْ إِسَافٍ وَنَائِلٍ

فَإِنَّ إِسَافًا مِنْ قَبِيلِ عَلَنْكَدِ (٥)

٢٤٠ وَنَائِلَةً لِلنَّحْرِ عَزَّتْ قَدَاسَةً

وَمَنْ يَدْنُ مِنْهَا سَاعَةَ النَّحْرِ يُعْضَدِ (٦) !

كَأَنَّ إِسَافًا لَمْ يَكُنْ قَطُّ دَاعِراً

وَنَائِلَةً لَمْ تَفْتَرِشْ فِسْقَ عُسْقُدِ (٧) !

---

(١) التلاد : ما وُلد عندك من مالك أو نُتج . والصمرد : الناقة الغزيرة اللبن

(٢) العجاج : الغبار ،

(٣) الضهيد : الصلب الشديد .

(٤) اعمَدْ : تعجّبْ .

(٥) العلنكد : الشديد القوى ذو الصلابة .

(٦) يعضد : يقطع .

(٧) العسقد : الطويل الأحمق والتّارُّ الجافي الخُلُق .

أبَرَّ[1] عَلَيْهِمْ شَيْبَةُ الْحَمْدِ وَانْتَضَى
لِمَنْ نَضُوا بالصَّيْحِ[2] مِقْوَالَ مُسْوِدِ[3]

يَقُولُ لَهُ : «ياحَرْثُ ذُدْهُمْ لَعَلَّنى
أرَى الرَّسَّ[4] ، وَاجْعَلهمْ كَسَيْلٍ مُعَمَّدِ[5]

«فَإنِّى رَأيْتُ الْحُلْمَ كالبَوْسِ[6] بَهْجَةً
وَهَا أنَذَا مِنْ إمْرِهِ[7] كالمُعَمَّــــدِ[8]» ...

٢٤٥ «يَمِينًا بِمَنْ بَلَّ[9] الأَنَاسِىَّ رَحْمَــةً
لأَمْتَهِـنَنْ فَأْسِى وَقَلْسِى[10] وَمِعْضَدِى[11]

---

(١) أبَرَّ على الناس : علاهم .
(٢) الصيح : الصياح .
(٣) المقوال : المقول وهو الفم أو اللسان أو المنطق. والمُسْوِد : الذى ولد غلاما سيداً .
(٤) الرس : البئر الكبيرة وقيل المطوية بالحجارة .
(٥) كسيل معمد : أى مسدود مجراه بسدّ مُجمِّع للماء من خلفه .
(٦) البوس : التقبيل .
(٧) الإمر : العجب .
(٨) المعمد : الذى هدّه العشق .
(٩) بلّ هنا بمعنى وصل من الصلة .
(١٠) القلس : الحبل الضخم .عن الليث .
(١١) المعضد : سيف أو أداة تستخدم فى القطع .

« فَإِمَّا نَرَاهَا زَمْزَمًا بَعْدَ إِثْلِبٍ[1]

وَإِمَّا سَرَابًا عَاجَ[2] فِي أُفُقٍ أَبْلَدِ ! »

فَلَمَّا رَأَوْهُ الجَلْدَ[3] خَلَّوْا سَبِيلَه

وَفِي الجَوْشِ[4] مِنْهُ شَهْقَةُ المُتَعَيِّدِ[5]

وَلَمْ تَكَدِ التِّرْبَانُ[6] تَعْنُو لِفَأْسِهِ

وَيَحْمِلُ مِنْهَا الحَرْثُ قَدْرَ المُجَلَّدِ[7]

وَيَرْجِعُ حَتَّى شَاهَدَا طَيَّ[8] زَمْزَمٍ

كَمَا شَادَ إِسْمَاعِيلُ جُدْرَانَ عُنْدَدِ[9] !

---

(١) الأثلب : التراب .

(٢) عاج : أقام ووقف ورجع . والأبلد : البليد .

(٣) الجلد : الصلب .

(٤) الجوش : الصدر .

(٥) المتعيد : العائن الذى يتشهق على المعيون ويتشدد ليبالغ فى إصابته بعينه

(٦) التربان : جمع التراب.

(٧) المجلد : مقدار من الحمل معلوم الكيل والوزن . قيل هو ستة قناطير .

(٨) الطى هنا : بناء البئر .

(٩) العندَد كجُندَب فى هذا الصدد : القديم . أراد البناء القديم الذى بناه « اسماعيل عليه السلام أو بنى على عهده .

٢٥٠ تَضَوَّعَ مِنْ عَرْفِ النَّبِيئِينَ مِشْعَراً[١]

وَأَرْطَبَ مِنْ طَمٍّ كَبُسْرٍ مُعَضَّدِ[٢]

فَلِلنَّاسِ نَوْسٌ[٣] مِنْ قُرَيْشٍ وَمَحْشَرٌ

يَرُوحُ عَلَى الأَوْشَازِ[٤] طَوْراً وَيَغْتَدِى

حَرِيراً[٥] كَمَا الصِّنَّوْرُ[٦] يَبْغِى لِحَاجَةٍ

فَيَلْبَسُ زَيْفاً[٧] لِبْـــــدَةَ الْمُتَرَبِّدِ

وَقَالُوا : لَنَا فِيهَا كَمَا لَكَ غُـــدَّةٌ[٨]

وَلَسْتَ — إِذَا لَمْ تُعْطِنَا — بِالْمُغَدِّدِ[٩]

---

(١) المِشعر كالمشعر .

(٢) البسر المعضد : الذى بدا الترطيب فى أحد جانبيه .

(٣) النوس : التذبذب . والمحشر لغة فى المحشر .

(٤) الأوشاز : ما ارتفع من الأرض ، جمع وَشَز .

(٥) الحرير كالمحرور : من تداخلته حرارة القيظ .

(٦) الصنور : البخيل السيء الخلق .

(٧) زيفاً : إما أن تكون من التزييف ـ أى حالة كونه مزيفاً ، وإما أن تكون مصدر زاف يزيف زيفاً أى تبختر فى مشيته . واللبدة : شعر زُبرة الأسد ، أى الشعر المجتمع بين كتفيه . وكنية الأسد ذو لِبْدَهْ وأبو لِبَد أو لُبَد والمتربد : من أسماء الأسد .

(٨) الغدة هنا : القطعة من المال والنصيب منه .

(٩) غدَّد تغديداً فهو مُغَدِّد أخذ نصيبه .

فَإِنَّ أَبَانَا[1] وَاحِـــدٌ ، وَهْوَ شَادَهَا

وَدَعَّمَهَا أَجْـــدَادُنَا بِالتَّمَتُّدِ[2]

٢٥٥ فقَـــالَ : « يَمِينَ اللهِ لَسْتُ بِفَاعِلٍ

وَلَـكِنْ أَتَانِى طَيْفُ هَـــذَا الْمُجَدَّدِ[3] .. »

فَقَالُوا : « خِصَامٌ » .. قَالَ : « مَرْحَى وَإِنَّنِى

مُخَاصِمُـكُمْ فِى دَارِ سَعْدٍ[4] وَفِى دَدِ ...

« خُذِ الرَّحْلَ وَالأَزْوَادَ وَاحَرْثُ[5] وَأْتِنِى

بِفَحْلٍ لَدَى أَجْيَادَ فِى الْخَرْقِ[6] مُلْبِدِ[7] !

---

(١) يريدون اسماعيل عليه السلام .

(٢) تعتد فى صناعته : تأنق . فالتعتد : التأنق .

(٣) المجدد من النعم : الذى جدّ لبنه أى قطع، يقول : « ما أنا بفاعل ،فقد جاءنى هذا المقطوع الدّر - أى زمزم المطمومة - فى منامى يهيب بى أن أفعل ما فعلت .

(٤) ديار سعد : أرضها . ودَدُ : اسم واد . ذلك أنهم اتفقوا بعد التنازع على أن يجعلوا كاهنة بنىسعد بن هزيم حكماً بينهم وكانت بأعالى الشام ، ولعلها التى لما حضرتها الوفاة طلبت شقاً وسطيحاً وتفلت فى فمهما وذكرت أن سطيحاً يخلفها فى كهانتها ثم ماتت فى يومها ذلك .

(٥) واحرث أى ياحرث ينادى ولده . لأن « وا » من أدوات النداء .

(٦) الخرق : الأرض المستوية المتسعة البعيدة الأكناف والأطراف . عن الثعالبى . وأجياد : من أحياء مكة المكرمة .

(٧) الملبد من الإبل : ذو الوبَر المتلبد .

« خِفَافَاىَ[1] بِيدٌ لَاظُلُولٌ بِأُفْقِهَا

إِذَا ضَاقَتِ الأَفْيَاءُ مِنْ حَكْرٍ[2] أَصْيَدِ ! »

فَلَمَّاطَوَاهُمْ[3] صَمْعَرُ[4] الأَرْضِ أَصْفَرُوا[5]

مِنَ المَاءِ فِي غُفْلٍ مَخُوفٍ مُطَوَّدِ[6]

٢٦٠ وَأَحْدَمَتِ[7] البَيْدَاءِ مِنْ وُأْرَةِ[8] السَّمَا

وَرَاءَ كَثِيبٍ مِنْ فَمِ الرِّيعِ[9] مُرْعَدِ[10]

---

(١) قوله خفافاى أى جانباى - والظلول جمع الظل .

(٢) الحكر : الظلم وإساءة المعاشرة ، والأصيد هنا : المائل العنق فى كبر أو غيره .

(٣) أى عبد المطلب ومن ذهبوا فى رفقته من بنى عبد مناف .

(٤) الصمعر . ما غلظ من الأرض . يقول الرواة أن عبد المطلب ركب إذ ذاك ومعه نفر من بنى عبد مناف ، وركب من كل قبيلة من قريش نفر ، وكان ما بين الحجاز والشام مفازات لا ماء فيها .

(٥) أصفروا : نفد ما عندهم من الماء وافتقروا إليه .

(٦) الغفل من الأرض : ما ليس به أثر لشيء يذكّر بالحياة . والمطود : البعيد .

(٧) أحدمت النار والحرّ : اتقد .

(٨) الوأرة : النار أراد بها الشمس . يريد أن يقول : والتهبت الصحراء من شدة حرارة الشمس .

(٩) الرِّيع : المرتفع من الأرض دون الجبل أو الطريق المنفرج فى الجبل ، والجبل المرتفع أو مسيل الوادى من كل مكان مرتفع .

(١٠) كثيب مرعد : منهال .

وَجفت حُلوقٌ فارْتأى الموْتَ خُيَّفٌ[1]

وَضَنّتْ قُرَيْشٌ فِى الصَّدَى[2] ضَنَّ أصْلَدِ

يَقُولُونَ : « لاَ نَسْقِيكُمُ الماءَ إِنَّهُ

ذَوُوبُ[3] حياةٍ فى سِقاءٍ مُغَمَّدِ»[4]

فَكانُوا[5] لِشَبْحِ الموْتِ فى شَرِّ صَرْدَحٍ[6]

بِهِ اللَّبُواتُ نائِحاتٌ بِمِجْلَدِ[7] !

---

(١) الخيف مثل الخوَّف : جمع للخائف .

(٢) الصدى : العطش ، والأصلد : البخيل .

(٣) الذووب : السمين الذى يذوب .

(٤) السقاء المغمد : المملوء . والقصة أن عبد المطلب ورفاقه من بنى عبد مناف نفد ماؤهم فى تلك المفازة ، فظمئوا ظمأ شديداً حتى أيقنوا بالهلكة . فاستقوا ممن معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم .

(٥) كان له يكين كيناً : خضع . والشبح : الشخص . واستعمل لتلك الصورة المفزعة التى يتخيلها الناس للموت .

(٦) الصردح : الأرض المستوية مع الاتساع .

(٧) اللبوات : جمع لبوءة والمجلد : قطعة من جلد تمسكها النائحة وتلطم بها خدها . وتقول القصة أن عبد المطلب قال لأصحابه : ماترون ؟ قالوا : ما رأينا الا تبع لرأيك . قال : إنى أرى أن يحفر كل واحدمنكم حفيرة يكون فيها إلى أن يموت ، فكلما مات رجل دفعه أصحابه إلى حفرته ثم واروه حتى يكون آخرهم رجلا واحداً ، فضيعة رجل واحد ـ أى تركه بلا مواراة ـ أيسر من ضيعة ركب جميعاً . فقالوا : نعم ما أمرت به . فحفر كل حفرة لنفسه ثم قعدوا ينتظرون الموت .

عَسي فَرَجٌ يَأْتِي ... وَقَدْ جَاءَ نَاهِراً[1]

لِمُغْلَقِ مَاءٍ فِي ظَهَارٍ[2] مُصَمَّــــدِ

٢٦٥ فَقَدْ قَامَ فِيهِمْ شَيْبَةُ الحَمْدِ قَائِلاً :

« أَيَفْأَدُنَا[3] مَا نَالَنَا مِنْ تَفَــوُّدِ !

« أَنَدْفِنُ غَيْدَانَ[4] الشَّبَابِ ، فَإِنَّنَا

سَمِعْنَا إِذَنْ مِنْ جَاهِلِ الرَّأْيِ عَنْـكَدِ[5] ..

« هَلُمُّوا فَشَبْحَانُ[6] الحَيَاةِ أَمَامَنَا

وَإِنَّ سَرَابَ الصَّوْرِ[7] بُشْرَى بِمَوْرِدِ[8] ... »

وَكَالدَّهْبِ[9] قَامُوا مِنْ صَغَارٍ وَذِلَّةٍ

عُــرَاةً وَفِيهِمْ مِنْ سَتِيرٍ[10] وَمُرْتَدِ

---

(١) ناهراً أى مجرياً .

(٢) الظهار : ظاهر الحرّة . والمصمد : الصلب المصمت .

(٣) فأد كمنع هنا بمعنى جَبّنَ . والتفوّد : التحرق والتوقد .

(٤) غيدان الشباب : أوّله .

(٥) العنكد هنا بمعنى الأحمق والمعنى : فأننا إذا فعلنا ذلك نكون قد سمعنا من جاهل أحمق – مع أنه هو صاحب الرأى والظاهر أنه عدل عنه .

(٦) الشبحان : الطويل .

(٧) الصوْر : شط النهر كأنما رأوا سراباً لنهر له شاطىء .

(٨) المورد فى هذا الصدد الماء . (٩) الدهب : العسكر المنهزم .

(١٠) الستير فعيــل بمعنى مفعول أى مستور كأنهم لما اعتزموا الموت خلعوا ثيابهم .

فَلَمْ تَكَدِ الوَجْنَاءُ تَسْعَى بِعَامِرٍ
وَأَفْئِدَةٍ مِنْ رَهْطِهِ لَمْ تَشَدَّدِ

٢٧٠ إِذَا هِيَ فِي مَاءِ فِضَاءٍ[١] وَسَلْسَلٍ
يُدَاعِبُ دِعْصًا[٢] كَالرَّغَامِ[٣] الْمُعَهَّدِ

وَمَاوِيَةٍ[٤] جَلَّتْ وُجُوهًا كَأَنَّهَا
فَئِيدٌ[٥] عَلَيْهِ فَحْمَةٌ لَمْ تُخَضَّدِ[٦]

عَلاَ الهَتْفُ بِالتَّهْلِيلِ مِنْ صُدْرَةِ[٧] الفَلاَ
وَبُلِّلَ حَدْمٌ[٨] مِنْ عَشِيرٍ مُضَيَّدِ

---

(١) الفضاء الماء يجرى على وجه الأرض .
(٢) الدِّعص : ما استدار من الرمل .
(٣) الرَّغام : التراب أو تراب لين أو رمل مختلط بالتراب . والمعهد : الذى أصابته النُّفضة من المطر .
(٤) الماوية : المرآة . شَبَّهَ بصفائها عينَ الماء الصافية .
(٥) الفئيد : النار .
(٦) لم تخضد : لم تُثْنَ لتكسر .
(٧) الصُّدرة : الصدر أو ما أشرفَ من أعلاه .
(٨) الحدم للنار وغيرها : شدة احتراقها وحَميُها . وضيَّده فهو مُضيَّد : أذكره ما يغضبه .

وَنَادَوْا قُرَيْشًا أَنْ هَلُمُّوا مَسُوسَنَا[1]

فَلَيْسَ مَنَافٌ نَبْعُهُ بِالمُصَــــلِّدِ[2]

لَدَى ذَاكَ لَمْ تَذْكُرْ قُرَيْشٌ لَجَاجَهَا

وَخَلَّتْ حَيَاءً خَــلَّةَ المُتَشَدِّدِ

٢٧٥ وَوَلَّتْ لَدَيْهَــا عَامِرًا أَمْرَ عَاقِدٍ[3]

تَلَبَّثَ يَرْوِي ظِمْأَةَ[4] المُتَــوَرِّدِ

---

(١) المسوس : ما يمس الـغلة فيشفيها من المـاء . والتقدير أن هلموا فرِدوا مسوسنا .

(٢) ذلك لأنهم ـ أى جماعة عبد المطلب ـ كانوا من بنى عبد مناف . وصلد فهو مصلدٌ : بخل .

(٣) العاقد : حريم البئر وما حولها .

(٤) الظِمْء بالكسر كالظمأ . والظمأة جعلها الشاعر واحدته . والمتورِّد : الذى يطلب الماء ويريده . فقد انتهت قصة إعادة حفر زمزم بأن قالت قريش لعبد المطلب : قد والله قُضىَ لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك فى زمزم أبداً . . إن الذى سقاك الماء بهذه الفلاة لهو الذى سقاك زمزم . ، فارجع إلى سقايتك راشداً . فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنة . ولما حفر عبد المطلب زمزم بنى عليها حوضاً وصار هو وولده يملآنه فيكسره قوم من قريش ليلا حسداً ، فيصلحه نهاراً حين يصبح . فلما أكثروا من ذلك وجاء شخص واغتسل به غضب عبد المطلب غضباً شديداً فأرى فى المنام أن قل : اللهم إنى لا أحلها لمغتسل وهى لشارب حِلٌّ وبِلٌّ — اى حلال مباح . فقام حين اختلفت قريش فى المسجد ونادى بذلك ، فلم يكن يفسد حوضه أحد أو يغتسل فيه إلا رُمى فى جسده بداء .

ذَهَبُ الكَعْبَةِ وَالنَّذْرُ

وَإِنْ أَنْسَ لَمْ أَنْسَ الَّذِى فَدَّ(١) مِنْهُمُ
لَدَى رُؤْيَةِ الزِّرْيَابِ(٢) مِثْلَ الْمُفَدِّدِ(٣)

فَقَدْ عَلَنَ(٤) الكَنْزُ الَّذِى طَمَّ جُرْهُمُ
وَصَيِّرُ(٥) نَضْرٍ كَالسَّنَا الْمُتَوَقِّدِ

وَصَاحَتْ قُرَيْشٌ أَذْهَبَ البَهْرُ(٦) لُبَّهَا
كَمَا بَهَرَ الإِصْبَاحُ إِبْصَارَ خُفْدُدِ(٧) !

---

(١) فدّ : رفع صوته بشدة .

(٢) الزرياب : الذهب . يريد الغزالتين والأسياف والأدراع التى دفنتها جرهم

(٣) فدّدَ فهو مفدِّد : صاح منادياً ببضاعته .

(٤) علن : وضح وانكشف .

(٥) الصير : الحسن الصورة . والنضر : الذهب .

(٦) البهر : الإضاءة كالبهور .

(٧) الخفدد : الخفّاش .

تقولُ : لنا فيها نَصِيبٌ ، وَعامِرٌ

يَقُولُ : نُضارَ البِئْرِ مالِى وَمُتْلَدِى[1]

٢٨٠ فَلمَّا أَغَدُّوا[2] قالَ : نُلقِى قِداحَنَا

لَدَى هُبَلٍ فِى بَيْتِهِ المُتَسَعِّدِ[3]

فَكانَ لِبيْتِ اللهِ ظَبْيَاهُ بِدَّةً

وَلَيْسَ كَظَبْيٍ من نُضار مُفَرَّدِ[4]

وَكَانَتْ سُيُوفُ اللهِ مِنْ حَظِّ عامِرٍ

فَعلَّقَهَا بابًا لِبَيْتٍ مُعَقَّدِ[5]

---

(١) متلدى : مالى القديم الموروث .

(٢) أغدُّوا : غضبوا .

(٣) المتسعد : المتفائل من الفأل .

(٤) المفرَّد : المفصل بالفرائد من اللؤلؤ أو الجواهر النفيسة .

(٥) عقدتُ البيتَ فهو معقد : جعلت له عقوداً . وتفصيل القصة أنهم لما اختلفوا قال عبد المطلب : « لا ولكن هلموا إلى أمر نِصْف بينى وبينكم ، نضرب عليها بالقداح » ، قالوا : « وكيف نصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قدحين ، ولى قدحين ، ولكم قدحين ، فمن خرج قدحاه على شىء كان له ، ومن تخلف قدحاه فلا شىء له . . قالوا : أنصفتَ . فجعل قدْحين أصفرين للكعبة ، وقدحين أسودين لعبد المطلب ، وقدحين أبيضين لقريش ، ثم أعطوها لصاحب القداح الذى يضرب بها عند هبَل . وجعلوا الغزالتين قسما ، والأسياف والأدراع قسما =

وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ النَّـــذْرُ قَدْ كَانَ غَافِياً

فَحَالَ[1] إِلَى صَحْوٍ كَنَصْلٍ مُعَرَّدٍ[2]...

يُهِيبُ بِهِ : « قَرَّبْتَ أَمْ كُنْتَ حَانِثاً ؟ »

فَقَامَ إِلَى غَضٍّ مِنَ النَّجْلِ[3] سَخْوَدِ[4]

٢٨٥ سَتَبْلُجُ مِنْهُ شَرْقَةُ[5] الْكَوْنِ .. آبَهُ[6] !

أَيَكْسِفُ شَمْساً فَذَّةَ الْمُتَجَــرِّدِ ؟

أَيَذْبَحُ عَبْدَ اللهِ مِنْ أَجْلِ غَضْبَةٍ[7]

وَيَصْمُدُ عَبْـــدُ اللهِ كَالْمُتَجَلِّدِ !

= آخر . وقام عبد المطلب يدعو ربه شعراً . فضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزالتين ، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع ، وتخلف قِدْحا قريش . فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للكعبة ، وضرب فى الباب الغزالتين . . فكان أولَ ذهب حُليت به الكعبة المشرفة .

(١) حال هنا بمعنى تحوَّل .

(٢) النصل المعرد : النافذ من الرمِيَّة .

(٣) النجل : النسل .

(٤) سخود كجعفر : ناعم .

(٥) الشرقة : الشمس . أراد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لأن الذبيح كان أباه عبد الله .

(٦) آبهُ : ويله . . أى ويل عبد المطلب يذبح مَن ستبلج منه شمس الهداية.

(٧) القصة أن عبد المطلب لما قال لولده الحرث: ذُدْ عنى حتى أحفر زمزم=

فَعِنْدَ إِسَافٍ صَيِّرُ[1] رَأْسِ نَجِيبَةٍ
وَمَهْلِكُ إِرْسٍ[2] فِى عَرَا الحَمْوِ مُصْفَدِ[3] . .

تَحَرَّكَ بَالُ[4] مِنْ قُرَيْشٍ وَأَبْطَحٌ
وَجَاشُوا لَدَى البُؤْسَى بِصَوْتٍ مُنَدَّدِ[5]

= وعلم أنه لا قدرة له على ذلك ، نذر إن رُزق عشرة من الولد الذكور يمنعونه ممن يتعالى عليه ليذبحن أحدهم عند الكعبة . وقيل إن سبب ذلك أن عدىّ بن نوفل بن عبد مناف قال له : ياعبد المطلب ! تستطيل علينا وأنت فذٌّ لا ولد لك ولا مال ، وما أنت إلا واحد من قومك فقال له عبد المطلب: أتقول هذا وإنما كان نوفل أبوك فى حجر هاشم؟ فقال له عدىّ: وأنت أيضاً قد كنت فى يثرب عند غير أبيك ... كنت عند أخوالك من بنى النجار حتى ردك عمك المطلب . فقال له عبد المطلب : أوَ بالقلة تعيّرنى ؟ فلله علىَّ النذر لئن آتانى الله عشرة من الأولاد الذكور لأنحرن أحدهم عند الكعبة . . ! فلما صاروا عشرة وحفر زمزم أُمر فى النوم بالوفاء بنذره . فذبح كبشاً وأطعمه الفقراء فقيل له فى النوم قرِّب ما هو أكبر من ذلك . . فذبح ثوراً . فقيل له فى النوم قرّب ما هو أكبر من ذلك . . فذبح جملا . . فقيل قرب ما هو أكبر . . فقال : وما هو الأكبر من ذلك ؟ فقيل له : قرّب أحد أولادك الذى نذرت ذبحه . . فضرب القداح على أولاده فخرجت على عبد الله — وكان أصغر أولاده وأحبهم إليه .

(١) الصَّير : القطع . (٢) الإرس : الأصل الطيب .

(٣) العرا : الفناء والساحة . والحمو : حمو الشمس كحَمْيِها . وأصفده فهو مُصفد مثل صفّده : قيّده .

(٤) البال هنا : القلب والحال . (٥) الصوت المندد : الرفيع العالى .

وَقالوا: «أَتبْقَى شِرْعَةُ[1] الذَّبْحِ في الوَرَى

كَأَنيابِ سَمٍّ زَاعِفٍ[2] مُتَغَـــلِّدِ!

٢٩٠ لدَى قُطْبَـــةَ الثَّرْمَاءِ[3] فَسْرٌ وَإِنَّنا

بِصَيْدَانِنا[4] نَفْدِي الذَّبِيـحَ وَنفتَدِي..»

فَلمَّا أَتَوْهَا وَهْيَ في السَّحْلِ[5] دُجْيَةٌ

وَقَدْ رَكِبَتْ مَتْنَ الإِرَانِ المُفَشَّدِ[6]

يُطَالِعُهَا مِنْ أَثْرَمَيْهَا[7] تَوَابِعٌ

مِنَ الجِنِّ بالوَجْـــهِ المُبِيرِ[8] اليَلَنْدَدِ[9]

---

(١) الشرعة كالشريعة . فإن قريشاً قالت له : لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه ويكون ذبح الأولاد سنـة .

(٢) السم المتغلد : المتعتق الذى لا يُلبث شاربه . وزاعف أى قاتل مكانه .

(٣) قطبة الثرماء كاهنة كانت بخيبر . والثرَم : انكسار السن من أصلها أو سنٌّ من الثنـايا والرباعيات أو خاص بالثنيـة فهو أثرم وهى ثرماء . والفسر البيان والتفسير .

(٤) الصيدان : الذهب.

(٥) السحل : الثوب الأبيض . والدجية : الظُّلمة كناية عن سواد وجهها إذا قورن بما تلبس من ثياب بيض .

(٦) الإران : التابوت كانوا يحملون فيه سادتهم وكبراءهم . والمفشد : المبطَّن . فشد الشيء : بطنه .

(٧) الأثرمان : الليل والنهار .

(٨) المبير : المُهلك (٩) اليلندد : الخصم .

دَعَتْهُمْ إِلَى ابْنٍ [1] وَتَكْلِيمِ صَاحِبٍ

فَقَالَتْ [2]: «هَبِينُوا العقلَ [3] فِي رَهْطِ عُوَّدِي»

فَقَالُوا: «الدِّيَاتُ عَشْرَةٌ مِنْ جِمَالَةٍ [4]..»

فَقَالَتْ: بِهَا مَنْ يَلْزَمِ القَدْحَ يُعْضِدِ [5]

٢٩٥ فَفِي هُبَلَ القِسْطُ [6] الَّذِي كَانَ قَاسِطًا

وَمَنْ يَكُ ذَا دِينٍ مِنَ النَّاسِ يَنْقَدِ» !

فَلَمْ يَزَلِ المَفْؤُودُ يَرْمِي قِدَاحَــــهُ

بِعَشْرٍ فَعَشْرٍ مِنْ أَبِيلٍ مُعَـــدَّدِ [7]

---

(١) أى قالت لهم : ارجعوا عنى اليوم حتى يأتى تابعى فأسأله .

(٢) المضمر فى هذا الصدد وجاءها صاحبها وشاورته فى هذا الموضوع فقالت

(٣) هبينوا أى أبينوا بأحدى لهجات العرب . والعقـل هنا بمعنى الدية . وعُـوَّدى أى الذين اعتادوا المجىء إلىَّ للشورة فى مختلف الأمور — من انتياب الشىء واعتياده .

(٤) من جمالة أى من جمال .

(٥) رمى فأعضدو لزم القِداح . فأعضد كعضّد أى ذهب يميناً وشمالا أثناء الضرب عليها عنـد هبل . فأن الكاهنـة قالت له : تخرج عشرة من الإبل وتقدح ، وكلما وقعت عليه — أى على ابنه عبد الله — يزاد الإبل حتى تخرج القداح عليها .

(٦) القسط : العدل .

(٧) عدّده فهو معدد : جعله عُدةً للدهر .

وَلَيْسَ يَجِيءُ القَدْحُ إلاَّ عَلَى ابْنِهِ

إلَى مِائَةٍ مِنْ عَيْسَجُورٍ[1] وَعَلْكَدا!..

فَقَالَ : « وَرَبٌّ العَرْشِ أُطْعِمُ مَكَّةً

ثَلاثَ مِئِينٍ .. إِنَّنِى مُهْلِكٌ غَدِي[2]

« لِيُسْمِنَ مِنْهَا النَّسْرُ أفْرَاخَ وَكْرِهِ

وَيَشْبَعَ مِنْهَا كُلُّ وَحْشٍ وَأرْبَدِ[3] »!

---

(١) العيسجور : الناقة الشديدة القوية . والعلكد : الغليظ — أى من الإبل .

(٢) أى مهلك غده بالكرم والمبالغة فى الفدية لأنه لم يفكر فى غده . وتقول القصة أن عبد المطلب ضرب على عشرة فخرجت القداح على ابنه ، فلم يزل يزيد عشرة حتى بلغت مائة . فخرجت القداج عليها . فقالت قريش ومن حضره : قد انتهى رضا ربك . فقال عبد المطلب : لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات . ففعل ذلك وذبح الإبل عند الكعبة لا يصد عنها أحداً من آدمى ووحش وطير . قال الزهرى : فكان عبد المطلب أول من سن دية النفس مائة من الإبل بعد ما كانت عشرة كما تقدم .

(٣) الأربد هنا : الأسد . وقد عرف عبد المطلب فى حياته بأنه مطعم الوحوش فى قنن الجبال .

العروبة في جاهليتها

٣٠٠ جرى الغيلُ مدًّا في تلاعٍ مشيبةٍ[١]

فأنبتَ نجمًا كالكتابِ المقيَّدِ[٢]

ردا جُلُّه والذَّوْبُ في بعض دفِّهِ[٣]

يُذيبُ عليهِ ذائدٌ بعدَ ذوَّدِ[٤]

ولكنَّها أمواهُ دشتٍ[٥] شحيحةٌ

يُعاني بها الأعرابُ عيشَ التَّهدُّدِ[٦]

---

(١) الغيل : الماء الذى يجرى على وجه الأرض . والمد : السيل . والتلاع جمع تلعة وهى مجرى الماء من أعلى الوادى . ومشيبة : مشوبة بشوائب الصخور وغيرها .

(٢) النجم : ما لم يكن على ساق من النبات . والكتاب المقيد : المُشكل .

(٣) ردا : صار رديئاً . الذوب : العسل أو ما خلص من شمعه . والدفّ من كل شيء : جنبه أو صفحته .

(٤) يذيب : يُغير والذائد : سائق الإبل وطاردها ودافعها .

(٥) الدشت : الصحراء .

(٦) التهدد والتهديد : التخويف .

أَلَيْسَتْ فِجَاجُ الأَرْضِ نَعْلاً وَحَرَّةً[1]

وَأَعْشَـــابَ رُعَّى[2] تُرْتَجَى بِالتَّفَقُّدِ ؟

إِذَا انْـكَلَّ[3] بَرْقٌ فَوْقَهَا خِلْتَ أَنَّهُ

عَمَاءٌ[4] - وَيَمْضِي مُطْرَدًا شَرَّ مُطْرَدِ

٣٠٥ فَإِنْ وَرَدُوا خَضْرَاءَ يَوْمًا وَخُـــلَّةً[5]

فَدَارَتُهَا[6] لَيْسَتْ سِوَى دَارِ مُـكْسِدِ

تَبِينُ مَعَ الهَطْلَاءِ إِنْ بَانَ سِرْبُهَـــا

وَتُقْبِلُ فِي زَحْفٍ عَنِيـــدٍ عَطَرَّدِ[7]

---

(١) النعل : الأرض الصلبة الغليظة . والحرة : أرض ذات حجارة سود .

(٢) الرعَّى : لغة فى الرعاة عن ابن قيتبة .

(٣) انـكل البرق : برق كأنه يبتسم ، وذلك بقدر ما يريك سواد الغيم من بياضه .

(٤) العماء : السحاب إذا ارتفع وحمل الماء وكثف وأطبق .

(٥) الخلة : ما خلا من النبت والـكلأ .

(٦) الدارة : أخص من الدار . ومن المعلوم أن البدو لا دار لهم إلا حيث ينبت الـكلأ . وتقول أكسد الرجل إذا كسدت سوقه .

(٧) تبين : تذهب بعيداً فيحس من فراقها لاعج البعـاد . والعطرد هنا : الشاق الشديد الجاف الجو .

وَخَيْفٌ لَهَا خَافٌ[1] ، فَفِي اللَّيْلِ صَافِرٌ[2]

وَلِلضِّحِّ تَقْـــرِيدٌ وَتَبْرَاقُ فَرْدَدِ[3]

لَكِ اللّٰهُ يَا عَرْبَاءُ فِي تِلْـكُمُ الرَّحَى

تُحَطِّمُ فِي تَطْحَانِهَـــا كُلَّ عَصْلَدِ[4] !

وَتَصْبِرُ[5] لَذَّ الْعَيْشِ فِي عَاقِرِ الْفَلَا

كَمَا صَبَرَ الْإِنْفَاقَ سُنْدُوقُ أَحْرَدِ[6]

٣١٠ لَكِ اللّٰهُ فِي تَيْهَاءَ وَيْلٌ جَمِيشُهَا[7]

وَإِنْ بَرَّدَتْ أَجْبَالُهَا لَمْ تُبَرِّدِ ..

---

(١) الخيف : الناحية ، وخافٌ أى شديد الخوف.

(٢) الصافر : اللص .

(٣) الضح من الأرض : ما أصابته الشمس . والتقريد : الخداع . والمراد أهل المكان . والفردد من صفات السيف ، تقول سيف فردد أى لا نظير له . والمعنى أن هذه الأرض الخضراء تظل خائفة ليلا من اللصوص ونهاراً من الغزاة .

(٤) العصلد : الصلب الشديد .

(٥) تصبر : تحبس . بابه ضرب . والعاقر : الرمل العظيم .

(٦) السندوق : لغة فى الصندوق ، والأحرد : البخيل اللئيم

(٧) الجميش : المكان الذى لا نبت فيه .

فَفِي مِثْلِ هَذَا المَحْلِ تُسْتَنْفَدُ القُوَى

وَيَضْوَى مَجَالُ العَيْشِ إلاَّ لِمُوجَـــدِ[1]

أَبَابٌ[2] كَرِيقِ النَّارِ تَعْلُوهُ غُصَّةٌ

وَعُشْبٌ كَظَهْرِ الأُفْعُوَانِ المُمَدَّدِ[3]

وَفُرْدَاتُ[4] صَخْرٍ جُنَّتِ الرِّيحُ عِنْدَهَا

فَتَلْتَلَتِ[5] الدُّنْيَا بِتَرْجِيعِ غِـــزْيَدِ

وَسَارَتْ[6] أُنَاسًا مِنْ عَدِيٍّ[7] بِمِسْهَجٍ

وَخَيْلاً[8] بِإِغْذَادِ الجَـــوَادِ المُسَقَّدِ

٣١٥ أَلَمْ يُوغِـــلُوا فِي مَذْهَبٍ مِنْ بَدَاوَةٍ

يُجَنْدِلُ فِي شَعْـــوَائِهِ كُلَّ قَثْرَدِ[9]

---

(١) الموجد : الذى أوجده الله أى أغناه .

(٢) الأباب : الماء .

(٣) الممدد هنا : المطول

(٤) الفردات : الآكام .

(٥) تلتلت : زعزعت وأقلقت وزلزلت . والغزْيد : الشديد الصوت . أراد الرياح العاتية .

(٦) سارتهم أى حملتهم على السير . تقول سار الدابة وغيرها أى سيَّرها .

(٧) العدى : المشاة الذين يعدون أى يركضون . والمسهج : ممر الريح

(٨) أى وخيالة . والجواد المسقد : المضمر

(٩) القثرد بالثاء وليس بالتاء : الرجل الكثير الغنم والسخال أو الكثير قماش البيت كناية عن الغنى

أَلَمْ يُشْكِرُوا حَقًّا إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ

جَحَافِلُ مِنْ جِنٍّ[1] لَدَى المَاءِ أَلْوَدِ[2] ؟

أَلَمْ يَفْخَرُوا بِالنَّبْزِ[3] وَالنَّبْزُ بَاطِلٌ

كَمَا فَخَرَ الجِبْسُ[4] الأَهَدُّ بِمِعْضَدِ...

أَلَمْ يَضْبَحُوا[5] فِي غَفْلَةِ السَّكْنِ وَالحِمَى

بِأَلْفِ مُغِيرٍ مِنْ كَمِيٍّ وَسُقْدُدِ

---

(١) أى من محاربين كالجن سرعة وقوة وخبثاً

(٢) الألود : من لا يميل إلى عدل ولا ينقاد لأمر.

(٣) النبز : اللمز ومصدر نبزه أى لقبه . أى ألم يفخروا بألقابهم بأن يقول الواحد منهم : أنا فلان بن فلان الذى كان كذا وكيت من نعوت الفخر والنكاية . وقد قال تعالى : « ولا تنابزوا بالألقاب » .

(٤) الجبس : الجامد الثقيل الروح . والفاسق والردىء والجبان واللئيم . والأهد : الجبان والمعضد : السيف الردىء أو الصدىء الذى أصبح يمتهن فى قطع الأخشاب ونحوها .

(٥) ضبحت الخيل من باب قطع مثل ضبعت ، وهو أن تمد أضباعها فى سيرها وهى أعضدها . وقيل الضبح صوت أنفاسها . والسكن : أهل الدار . والسُّقدُد : الفرس المضمر ، وهو من أجود الخيل عدواً .

فَمَزَّقَ طِغْيَانٌ كُبَيْدَاءَ عَفْـوَةٍ

وَأَهْبَطَ مِنْ صَرْحِ العُلاَ كُلَّ قُعْدُدِ[1] !

٣٢٠ وَقَدْهُمْ[2] وَبَالاً ذَابُهُمْ فِي نِسَائِهِمْ

فَسُهْمَتُهُمْ[3] تَحْكِي وَخَامَةَ مُصْلِدِ

وَمَهْرُ بَغِيٍّ وَانْتِسَابُ لِفَاجِـرٍ

يُبَاكِرُ ثَدْيَاءَ الخَنَى المُتَمَـدِّدِ[4]

يُرَاوِدُ حَدْسِي أَنَّهُمْ فِي قَمَائِهِـمْ[5]

ضَحَايَا رِعَاءٍ هَمُّهُمْ فِي التَّصَيُّـدِ

---

(١) الطغيان بالكسر والضم . وكبيداء : تصغير مأثور للكبد على غير قياس والعفوة : الخيار من الشيء . والرجل القعدد : القريب الآباء إلى الجد الأكبر .

(٢) قدهم : يكفيهم . والذاب : العيب .

(٣) السهمة : القرابة . والمصلد : اللبن يحلب فى إناء قد أصابه الدسم فلا تكون له رغوة وتتغير رائحته .

(٤) كان مهر البغى والانتساب إلى فراش الرجل وغير ذلك من الأمور الشائعة فى مختلف الأوساط الجاهلية لا فى الفقراء وحدهم . والخنى : الفُحش .

(٥) القماء : الذل والصغار . والرعاء لغة فى الرعاة .

وَفخرٍ بِأَنْسَابٍ وَسَلْجٍ وَغُنْيَــةٍ[1]

وَتِخْلِئٍ بَطْنٍ مُطْرَهِفٍّ بِأَغْيَدِ[2]

وَقَتْوٍ[3] لِمَا فِى القَتْوِ مِنْ عِزِّ حَيْقَرٍ[4]

إِذَا لَمْ يُصِبْ دِفْءاً[5] لَدَى الْمُلْكِ يَجْهَدِ

٣٢٥ وَفِيهِمْ سَفَاهَاتُ الغِــنَى وَاقْتِدَارُهُ

وَتَصْخِيرُ فَقْرٍ فِى صَنَادِيدِ مُجْمِــدِ[6]

أَلَمْ تَرَ شَرْزَ[7] الأَمْرِ مِنْ حَرْبِ دَاحِسٍ

وَغَبْرَاءَ تَرْدِى كَالخَشَاشِ الْمُفْرَئِدِ[8] !

---

(١) السلج : العطاء . والغنية : الغنى .

(٢) التخلىء ويفتح : الدنيا أو الطعام والشراب . والبطن المطرهف : الرافه المتنعم . والأغيد هنا : المكان الكثير النبات .

(٣) القتو : حسن خدمة الملوك كما كان يفعل بعض سادة العرب لما يعود عليهم من ذلك من فخر ومصالح تجارية كالتى كانت سبباً فى حرب الفجار .

(٤) الحيقر وقد تضم القاف : الذليل أو الضعيف .

(٥) الدفء : العطية .

(٦) التصخير : التسخير . والصناديد : الدواهى . ومنه قول الحسن : نعوذ بالله من شر صناديد القدر . والمجمد : المتشدد والقليل الخير .

(٧) الشرز : الغلظ والشدة والقوة .

(٨) ردى الفرس كرمى : رجم الأرض بحوافره . أو هو بين العدو والمشى . والخشاش : الخفيف فى غير طيش . والمفرئد : الكثير اللحم والممتلىء الوجه .

عَدَا بِهِمَا قَيْسٌ[1] ، وَأَجْرَى حُذَيْفَة
سَبِيباً[2] لِحَنْفَاءِ وَخَطَّارَ مُخْــرِدِ[3]
عَلَى مِائَةٍ قَدْرَ الغِــلاءِ[4] رِهَانُهَا
فَطَارَتْ بِسُهْمَانٍ[5] وَلَمْ تَتَبَــلَّدِ

---

(١) كانت داحس فرساً لقيس بن زهير ، ومنها حرب داحس ، إذ تراهن قيس وحذيفة بن بدر على عشرين بعيراً وجعلا الغاية مائة غلوة والمضمار أربعين ليلة . فأجرى قيس داحساً والغبراء ،وحذيفة الخطار والحنفاء . فوضعت بنو فزارة رهط حذيفة كميناً فى الطريق ، فردوا الغبراء ولطموها ، وكانت سابقة . . . فهاجت الحرب بين عبس وذبيان أربعين سنة . وسمى داحساً لأن أمه جلوى الكبرى مرت بذى العقال « اسمُ لجواد » ، وكان ذو العقال مع جاريتين من الحى ، فلما رأى جلوى ودى . . فضحك شباب من الحى . . . فاستحيت الجاريتان فأرسلتا الجواد فنزا عليها ، فوافق قبولها . فعرف حوط صاحب ذى العقال ذلك حين رأى عين جواده — وكان شريراً فطلب منهم ماء فحله . . . فلما عظم الخطب بينهم قالوا له : دونك ماء فرسك فسطا عليها حوْط وجعل يده فى ماء وتراب فأدخل يده فى رحمها حتى ظن أنه قد أخرج الماء . واشتملت الرحم على ما فيها فنتجت مهراً فسمى داحساً ، وخرج كأنه أبوه ذو العقال ، وضرب به المثل فقيل : أشأم من داحس .

(٢) السبيب من الفرس : شعر الذنب . والحنفاء والخطار فرساً حذيفة .

(٣) المخرد هنا : الميال إلى اللهو .

(٤) الـغلاء كالغَلوات جمع الغَلوة وهى مرماة السهم إذا جاوز مداه .

(٥) السهمان : الحظوظ .

فَلمَّا رَأَى الغَبْرَاءَ رَهطُ حُذَيْفَــةٍ[1]

وَقَدْ سَبَقَتْ قَالَ الَّذِى شَامَهَا[2] : قَدِى !

٢٣٠ وَسَدَّ عَلَيْهَا بِالكَمِينِ مَحجَّــةً[3]

فَمَا أَزَأَتْ[4] عَبْسٌ وَلَمْ تَــتَرَدَّدِ

وَشَامَتْ[5] لَهمْ ذُبيَانُ حَرْباً وَصَاخِراً[6]

تَجَدَّلَ فِيهَا كُلُّ شَيْخٍ وَفَرْهَــدِ[7]

ثَلَاثِينَ عَاماً ثُمَّ آبَتْ بِعَشْرَةٍ

شَمَارِيخَ[8] مِنْ وَسِّ الزَّمَانِ المُفَسَّدِ . .

---

(١) الذين هم بنو فزارة .

(٢) شامها : نظر إليها ، كالذى يشيم البرق أى ينظر إليه أين يقصد وأين يمطر . وقدى أى حسبى.

(٣) المحجة : معظم الطريق .

(٤) أزأتْ :جَبُنت ونكصت.

(٥) شامت فى هذا الصدد : استلَّتْ . وأصل استعمال الفعل للسيف .

(٦) الصاخر : صوت الحديد بعضه على بعض .

(٧) تجدلَ : ُصرِع على الجدالة وهى الأرض ذات الرمل الدقيق . والفرهدُ فى هذا الموضع : الغلام الممتلىء الحسن .

(٨) الشماريخ : رءوس الجبال . أى كأنها رءوس الجبال . والوسّ : الوسواس . وفسَّده فهو ُمفسَّد : أفسده .

بَلَى ... إِنَّهُمْ كَانُوا خِفَافًا إِلَى الأَذَى

وَكُلُّهُمُ فِي الشَّرِّ يَلْهُو بِمِفْصَدِ[1]

وَلَيْسَ لَهمْ فِي الكُفْرِ عُذْرٌ وَإِنَّمَا

يُعَذِّرُهُمْ إِمْحَالُ عَيْشٍ وَجَدْجَدِ[2]

٣٣٥ فَقَدْ أَكَلُوا فِي الْجَدْبِ أَوْبَارَ عِيرِهِمْ

وَخَرُّوا سِرَاعًا مَوْحَدًا إِثْرَ مَوْحَدِ[3]

وَقَدْ وَأَدُوا مَظْلُومَةً خِيفَةَ الْخَنَى

وَخِيفَةَ إِمْلَاقٍ دَهَاهُمْ كَمِجْلَدِ[4]

فَمَا كَانَتِ الأَيَّامُ إِلَّا مَصَارِعًا

وَمَا كَانَتِ الْبَيْدَاءُ إِلَّا كَمِحْصَدِ[5]

***

---

(١) المفصدة آلة الفصاد وهو شق العرق لسيلان الدم . والمراد دماء الحرب والقتلى ،

(٢) الجدجد : الأرض الصلبة الغليظة .

(٣) تقول دخل القوم مَوْحَد موحد كما يقال أُحاد أحاد .

(٤) المجلدُ : السَّوط .

(٥) المِحْصد : أداة الحصاد .

تَبارَكْتَ رَبَّ العَرْشِ ! هَاتَاكَ مَكَّةٌ

كَغَانِيَةٍ ذَالَتْ[1] بِوَشْيٍ مُعَمَّدِ[2] !

وَفِيهَا يَزِيدُ البَشِّ[3] يَبْنِي لِرَهْطِهِ

أَبَابِيتَ[4] حَوْلَ البَيْتِ كَسْباً لِمَحْمِدِ[5]

٣٤٠ أَطَلَّتْ بِأَبْوَابٍ عَلَى كَعْبَةِ الهُدَى

تُسَائِلُهَا أَظْلَالَ سِتْرٍ مُقَدَّدِ[6]

---

(١) الغانية: التى استغنت بجمالها عن الزينة . وذالت أى تبخترت وماست .

(٢) الوشى المعمدُ : ضرب من الوشى جميل .

(٣) يزيد اسم آخر لقصى من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه أن اسمه يزيد . والبش : طلاقة الوجه كالبشاشة .

(٤) الأبابيت جمع للبيت . وحول البيت أى حول الكعبة ، فهو الذى أمر قريشاً أن يبنوا بيوتهم داخل الحرم وحول البيت ، وقال لهم : إن فعلتم ذلك هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم . فبنوا حول البيت من جهاته الأربع .

(٥) المحمدُ كالحمد تسمية بالمصدر. حمده كسمعه حمداً و محمداً.

(٦) المقددُ : المفصلُ والمشقق . فان قريشاً جعلوا أبواب بيوتهم جهة البيت الحرام لكل بطن منهم باب نسب إليه فيما بعد ، كباب بنى شيبة وباب بنى سهم وباب بنى مخزوم وباب بنى جمح ، وتركوا قدر الطواف بالبيت . واستمر الأمر على أنه ليس حول الكعبة إلا قدر المطاف وليس حوله جدار زمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمن ولاية الصدّيق =

وَتَحْتَضِنُ الأُمَّانَ[1] ضَنًّا بِأَمْنِهِ
وَأَشْجَارُهُ ما بَيْنَ غُفْلٍ وَمُفْصِدِ[2]

يُحَذِّرُهُمْ شَيْخُ القَرِيشِينَ[3] قَطْعَهَا
فَتَسْكُنُهَا الأَطْيَارُ مِنْ كُلِّ مُغْرِدِ[4]

وَيُنْزِلُهُمْ بَطْحَاءَ مَكَّةَ وَالقَرَا[5]
وَمَنْ يَنْزِلِ البَطْحَاءَ وَاللَّوْذَ يَزْدَدِ

= فلما كان زمن ولاية عمر بن الخطاب رضى الله عنه اشترى تلك الدور من أهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها . وتكرر ذلك فى زمن عثمان وتتابعت الزيادات والمبانى بعد ذلك حتى صارت الحال إلى ما هى عليه الآن .

(١) الأمان : الأمين المأمون الذى به ثقة .

(٢) أفصد الشجرُ فهو مفصد : انشقت عيون ورقه .

(٣) القريشون : جمع القريش وهو الشديد . ومما ذكر فى صدد سبب تسمية قريش بهذا الاسم أن النضر بن كنانة جاء إلى قومه يوماً فقالوا : كأنه جمل قريش أى شديد . وقد حذرهم قصى قطع هذه الأشجار وخوفهم العقوبة فى ذلك — ولا شك أنها كانت تحدق بالبيت الحرام فى منظر بهيج . فكان أحدهم يحدق بالبنيان حول الشجرة حتى تكون فى منزله .

(٤) أغرد فهو مُغرِد . مثل غرّد .

(٥) القرا : الظهر . فقصى أنزل القبائل من قريش أرض مكة وجعلها اثنتى عشرة قبيلة . فقيل لمن سكن البطاح بين أخشى مكة : « قريش البطاح » . ولمن سكن الظواهر : «قريش الظواهر» ، والأولى أشرف من الثانية ، ومنها بنو هاشم .

فَكُنْتَ تَرَى مِنْهُمْ رَفِيدًا[1] وَسَاقِيًا[2]

وَصَاحِبَ حَرْبٍ فِي رَعِيلٍ مُفَنَّدِ[3]

٣٤٥ وَحَاجِبَ[4] بَيْتٍ فَادَ[5] فِيهِمْ بِمِفْتَحٍ

أَبَانَ تَلِيلاً[6] مِنْ نُضَارٍ مُقَلَّدِ[7]

وَذَا عَلَمٍ مِنْ مَضْرَحِيٍّ[8] دِمَقْسُهُ

يَقُولُ : أَلاَ يَالَيْتَ فِي النَّقْعِ[9] مَوْعِدِي !

---

(١) الرَّفيد : فَعيل بمعنى فاعل . أى رافد من الرِّفد والرِّفادة وهى شىء كانت تترافد به قريش فى الجاهلية فتخرج فيما بينها مالاً تشترى به للحجاج طعاماً وزبيباً .

(٢) الساقى هنا : صاحب السقاية وقد مر الكلام عنها .

(٣) صاحب الحرب هو الذى كانت له القيادة فى قريش . والرعيل القطعة من الخيل القليلة أو مقدمتها أو قدر العشرين أو الخمسة والعشرين من الخيل . والمفند : المضمَّر .

(٤) هو الذى كانت له الحجابة أى حمل مفتاح الكعبة المعظمة .

(٥) فادَ : تبختر . والمفتح لغة فى المفتاح .

(٦) التَّليل : العُنُق .

(٧) النُّضار المقلد : الذهب الذى قُلد الحلىَّ . تصور الشاعر أن المفتاح كان هكذا .

(٨) ذو العلم : صاحب اللواء الذى كان يحمل العَلَم فى الحروب . والمضرحى : الأبيض أو الأحمر يضرب إلى البياض .

(٩) النقْع : الغبار . أراد غبار الحرب . وموعدى أى منيَّتى .

وَظَائِفُ جِذْمٍ[1] سَارَ فِي العُرْبِ شَأْوُهَا

وَظَلَّتْ كَعُلْوَانٍ[2] عَلَى بَنْدِ مُسْنَدِ[3]

وَدَارٌ لَهُمْ كَانَتْ فَوَاداً[4] لِأَمْرِهِمْ

بِهَا سُهُمٌ[5] مِنْ كُلِّ فَطْنٍ وَمُؤْيَدِ[6]

أَرِيضَةُ[7] حُكْمٍ مِنْ رِجَالٍ عَلَيْهِمُ

مَهَابَةُ سِنٍّ[8] لَيْسَ تُرْجَى لِأَمْرَدِ

---

(١) الجذم كالمحتد والأرومة بمعنى الأصل الشريف السامى .

(٢) العُلوان : العُنوان . والبَنْدُ : العَلم الكبير .

(٣) المُسْنَدُ : الدّهر . كانت هذه الوظائف فى قريش بمثابة الوزارات فى العصر الحديث . وقد امتد سلطانها إلى سائر العرب ، وظلت متوارثة فى بنى عبد مناف — ولهم السقاية والرفادة والقيادة — وبنى عبد الدار ولهم الحجابة واللواء . وكانت دار الندوة بينهم بالاشتراك ثم انتقلت إلى بنى عبد الدار ومنهم إلى حكيم بن حزام . ثم انتقلت السقاية إلى بنى العباس فى زمن أبى طالب .

(٤) الفواد كسحاب : الفؤاد . أراد دار الندوة . وشبهها بالفؤاد لأنه هو المحرّك للجسد كشأنها فى قريش .

(٥) السُّهُمُ : العقلاء .

(٦) آيده وهو مُؤيد : قواه . والفطن : الفطِن .

(٧) الأريضَة : الكريمة الخليقة للخير .

(٨) كان لا يدخل دار الندوة من قريش إلا من بلغ الأربعين من عمره .

٣٥٠ وَيُعْقَـــدُ فِيهَا لِلْقِتَالِ لِوَاؤُهُ

يَطِـــيرُ بِهِ سَهْمٌ عَلَى حَاذِ أَقْوَدِ[١]

فَإِنْ نـكَحُوا سَارُوا إِلَيْهَا بِعُرْسِهِمْ[٢]

وَفِي جِيــدِهِ الْحَسْنَاءُ تَنْزُو بِمُعْمَدِ[٣]

يُشَـــقُّ لَهَا دِرْعٌ[٤] تُدَرَّعُ غَيْرَهُ

عَلَى مَرْمَرٍ غَضٍّ الثَّنِيَّاتِ أَجْـــرَدِ[٥]

وَكَعْبٌ .. بِهِ يَوْمُ الْعُرُوبَةِ[٦] فِي الْمَلَا

أَرُونٌ ، وَآيَاىٌ لَهُ فَوْقَ أَقْحُدِ[٧]

---

(١) شبه الفارس صاحب العلم بالسهم على ظهر الجواد . فالحاذ : الظهر . والأقود : الفرس الذى ينقاد بسرعة .

(٢) جرت العادة فى ذاك الزمان بألا ينكح رجل امرأة من قريش إلا فى دار الندوة .

(٣) أراد بالمعمد : الهودج الذى له عمد . أعمدت السقف وغيره جعلت تحته عمداً . وتنزو أى تثب تبعاً لحركة سير الجمل الذى يحمل الهودج .

(٤) درع المرأةَ : ألبسها الدرع وهو القميص . فقد كانت الجارية من قريش لا تدرع إلا فى تلك الدار ، فيشق عنها درعها ويدرعها ولى الأمر بيده .

(٥) الأجرد : المنجرد الأملس .

(٦) كان يوم العروبة فى الجاهلية مرادفاً ليوم الجمعة فى الإسلام . والملا : الصحراء .

(٧) أرون : نشيط والآياى : جمع آية ، والمراد آيات البلاغة. والأقحد=

يُبَشِّرُ بِالْمُخْتَارِ حُرِّيَّةَ الإِلَى[1]

قُرَيْشًا مَتَى مَا يَأْذَنِ اللهُ يَشْهَدِ[2]

٣٥٥ وَلِلنَّضْرِ كَالتِّجْبَابِ فِي الْحُمْسِ زِبْرِجٌ[3]

تُبَارِكُهُ الْحَمْسَاءُ رَفَّتْ بِقُشْرُدِ[4]

= جمع القحدة وهى أصل السنام أو ما بين المأنتين منه . فان كعباً من أجداد النبى صلى الله عليه وسلم كانت تجتمع إليه قريش فى يوم العروبة فيعظهم ويذكرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم ويقول : سيأتى لحرمكم نبأ عظيم وسيخرج منه كريم . وهو أول من قال أما بعد . وقد أرّخوا بموته لعلوّ مكانته . وكان يبشر بقدومه أيضاً كنانة من أجداده صلى الله عليه وسلم فيقول : قد آن خروج نبى من مكة يدعى أحمد يدعو إلى الله وإلى البرّ والإحسان ومكارم الأخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفاً وعزاً إلى عزكم ولا تعتدوا ــ أى تكذبوا ــ ما جاء به فهو الحق .

(١) الحرية من العرب : أشرافهم . والإلى : واحدة الآلاء وهى النعم .

(٢) يَشْهَد : يحضر .

(٣) النضر من أجداده صلى الله عليه وسلم . والتِّجباب : الخط من الفضة فى حجر المعدن . والحُمْسُ : لقب لقريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم فى الجاهلية لتحمسهم فى دينهم أو لالتجائهم بالحمساء وهى الكعبة ، والنضر هو جماع قريش عند الفقهاء فلا يقال لأحد من فوقه قرشىّ . وقد سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قريش ؟ فقال : « مَن وَلد النَّضْر » .

(٤) الحمساءُ : الكعبة لأن حجرها أبيض إلى السواد ، أو من الحمسة وهى الحرمة . والقشرد : قماش البيت كناية عن الكسوة . ورفت : برقت وتلألأت .

وَإِلْيَاسُ[1] ـ لُقْمَانُ العُرُوبَةِ ـ لَمْ يَزَلْ

رَشِيدًا ، وَمَنْ يَنْهَلْ مِنَ الرُّءْدِ[2] يَرْشُدِ

تُذِيبُ عَلَيْهِ خِنْدِفٌ[3] ضِئْبَ جِيدِهَا

دُمُوعًا كَتَهْتَانِ الحَيَـــا المُتَسَرِّدِ

كَذَا مُضَرُ الغِرِّيدُ أَوَّلُ مَنْ حَــدَا

وَهَيَّتَ صُبْحًا : يَا يَدَاهُ ! وَوَايَدِى[4] !

فَأَطْرَبَ بَكْرًا مِنْ فُحُولٍ وَمُطْفِلاً[5]

لَهَا بَهَجٌ[6] فِى بَنَّـــةِ المُتَغَرِّدِ

---

(١) هو أيضاً من أجداده صلى الله عليه وسلم . وكان فى العرب مثل لقمان الحكيم فى قومه .

(٢) الرءد بالضم : التؤدة .

(٣) خندف هى ليلى بنت حلوان بن عمران زوجة إلياس . وهى التى لما مات بالسل حزنت عليه حزناً شديداً فلم يظلها سقف بعد موته حتى قضت نحبها . ومن ثم قيل : أحزن من خندف . والضئب : حب اللؤلؤ .

(٤) هيت : صاح . كان مضر من أحسن الناس صوتاً . وهو ـ كما يقول الشاعر ـ أول من حدا للإبل . فانه وقع ذات يوم فانكسرت يده ، فصار يقول يا يداه ! يا يداه ! فجاءت إليه الإبل من المرعى . فلما صح وركب حدا

(٥) البكر : الفتىّ من الإبل . والمطفل : الناقة إذا مشى معها ولدها .

(٦) البهج : السرور . وبنة المتغرد : الريح الطيبة تسرى بصوت الحادى وتغريده .

٣٦٠ وَمُبْدِعُ أَشْكَالِ الْحُرُوفِ وَأَطْرِهَا[١]

نِزَارٌ ، فَكُلٌّ بِالأَبِ الفَذِّ مُقْتَدِ

فَإِنْ جِئْتَ عَدْنَانًا وَقَحْطَانَ لَمْ تَجِدْ

لِغَيْرِهِمَا مِنْ غَاىِ نَجْرٍ وَفِرْنِدِ[٢]

لِعَدْنَانَ قَيْسٌ ، وَالْيَمَانُونَ دَوْحَةٌ

لِقَحْطَانَ[٣] فِي تَيْهُورِهِ[٤] الْمُتَوَحِّدِ

فَذَلِكَ عَهْدُ الْجَاهِلِيَّةِ جُلُّهُ

ضَلَالٌ ، وَفِيهِ مِنْ رَشَادٍ كَقَرْصَدِ[٥]

---

(١) الأطر : العطف والحنى واللىّ . فقد تعددت النصوص على أن نزاراً كان أول من كتب الكتابة العربية على الصحيح .

(٢) الغاى : جمع الغاية . والنجر : الأصل والحسب . والفرند: الأبزار . فما من عربى يخرج فى الأنساب عن عدنان وقحطان . وكان عدنان فى زمن موسى عليه السلام على الأصح .

(٣) يقول علماء الأنساب أن ولد عدنان يقال لهم قيس . وولد قحطان يقال لهم يمن .

(٤) التيهور : ما اطمأن من الرمل .

(٥) القرصد : القِصرى أى ما يبقى فى السنبل من الحب بعدما يداس .كناية عن قلة الرشاد وتفاهته إذا قيس بالضلال .

أَرَبَّ[1] بِهِ الكُهَّانُ فَسْدَى وَأَهْلُهُ

تَبَاغَوْا وَأَفْنَوْا عُمْرَهُمْ فِي التَّقَدُّدِ[2]

٣٦٥ وَمَا بَعْدَ إِسْمَاعِيلَ حَتَّى مُحَمَّدٍ

نَبِيٌّ وَلَكِنْ مِثْلُ عَمْرِو بْنِ مَرْثَدِ[3]

وَخَالِدَ رَاسَتْ[4] حَوْلَهُ النَّارُ أَكْلُبًا

فَقَالَ بَدَا كُلُّ هُدًى غَيْرَ مُفْنَدِ[5]

وَصَرَّحَ عَنْهَا وَهْيَ فِي البِئْرِ شَرْزَةٌ[6]

وَإِنْ تَرْمِ نَارًا فِي العَشِيَّاتِ تُقْصَدِ[7]

---

(١) أرب : أقام ولزم . وفسدى : فاسدون.

(٢) تباغوا : بغى بعضهم على بعض . والتقدد : التفرق تسمية بالمصدر .

(٣) أى وليس بين إسماعيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام نبي ولكن رجال عظماء أو صالحون كعمرو بن مرثد ابن عم طرفة بن العبد وكان سيداً فى قومه حسيباً نسيباً وافر المال نجيب الولد مسموع الكلمة ، وخالد بن سنان المذكور فى البيتين التاليين .

(٤) راست : مشت متبخترة . والأكلب : الكلاب .

(٥) غير مفند أى غير مكذب .

(٦) صرح عنها : أبان عنها . والشرزة : الهلكة .

(٧) تقصد هنا بمعنى تقتل . ومجمل قصة خالد بن سنان أنه هو الذى أطفأ النار التى خرجت بالبادية بين مكة والمدينة وكادت العرب تعبدها كالمجوس . كان يرى ضوؤها من مسافة ثمان ليال . وربما كان يخرج =

المُعَلَّقَاتُ عَلَى الكَعْبَة

وَدَى [1] مَدْمَعِي لَمَّا تَذَكَّرْتُ مَحْفَلاً
حَوَى غُرَرًا مِنْ كُلِّ فَحْلٍ وَجَرْهَدِ [2]

= منها العنق فيذهب فى الأرض فلا يجد شيئاً إلا أكله . وكانت هذه النار تخرج من بئر ثم تنتشر فلما خرجت ذات يوم وانتشرت أخذ خالد بن سنان — إن صحت الرواية — يضربها ويقول : بدا كل هدى — وهى تتأخر . حتى تنزل إلى البئر : فنزل خلفها فوجد كلاباً تحتها . . فضربها وضرب النار حتى أطفأها . وقيل انه كان السبب فى خروجها لأنه دعا قومه فكذبوه وقالوا : لا نؤمن بك حتى تسيل علينا التى تخوفنا إياها . فدعا ربه أن يسيلها عليهم . فلما خرجت قالوا يا خالد ارددها فانا بك مؤمنون . فردها . . والأصح عندنا أنه كان رجلا صالحاً ، أو كاهناً بارعا استغل مسألة النار ليروج لنفسه . قيل وكان خالد إذا استسقى يدخل رأسه فى جيبه فيجىء المطر ، ولا يقلع إلا إذا رفع رأسه ! وكان قريب عهد بالنبي صلى الله عليه وسلم بدليل قدوم ابنته وهى عجوز عليه صلى الله عليه وسلم وإسلامها . وكذا الحكم فى حنظلة بن صفوان وغيره . والدليل على عدم صحة نبوة أمثال هؤلاء حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم فى صحيح البخارى : «أنا أولى الناس بابن مريم فى الدنيا وفى الآخرة ، وليس بينى وبينه نبى » . ومن ثم فلا عبرة بورود أسمائهم فى بعض المراجع وكتب السيرة .

(١) ودى : سال وجرى .   (٢) الجرهد : السيار النشيط

كَهَمِّكَ أَنْجَامًا لِشِعْـــرٍ وَغُنْوَةٍ[1]

وَيَلْمَعَ بَرْقٍ مِنْ إِرَانٍ مُفَيِّدِ[2]

٣٧٠ يُوَافِي عُـكَاظًا فَالمَجَنَّةَ مُقْعِــدًا[3]

فَذَاتَ المَجَازِ فِي جَمَــالٍ مُعَقَّدِ[4]

عَلَى أَيْنُقٍ صُهْبٍ وَآبَالِ نُجْعَـةٍ[5]

أَحَبَّتْ وُرُودَ المُنْتَدَى مِنْ تَعَــوُّدِ

هُمُو حُـكَمَاءُ العُرْبِ فِي عَهْدِ فَتْرَةٍ

خَلَتْ مِنْ نَبِيءٍ صَــابِيءٍ أَوْ مُهَوِّدِ

---

(١) كهمك : كما تريد . والأنجام : جمع نجم . والغنوة : الغنى .

(٢) اليلمع من البروق : الخُلَّب . والإران : السيف . والمفيد : المتبختر .

(٣) عكاظ سوق من أعظم أسواق الجاهلية وراء قرن المنازل بمرحلة من عمل الطائف على طريق اليمن. وكانت تقام به السوق فى ذى القعدة نحواً من نصف شهر وسوق مَجَنَّة وهى ثانية الأسواق: وكانت العرب تقصدها بعد عكاظ فتمكث فيها إلى آخر ذى القعدة . ومقعداً أى فى شهر ذى القعدة .

(٤) ذو المجاز ـ جعله الشاعر ذات المجاز لأن السوق يذكر ويؤنث ـ موضع أقرب إلى مكة كانت تقام فيه السوق إلى وشك الحج ثم يصدرون منه إلى منى . والجمال المعقد من قولك عقدت الحلو ونحوه أى جعلته غليظاً معقوداً :

(٥) الأينق جمع الناقة . وصهب أى حمر . والآبال : جمع الإبل . والنجعة طلب الكلأ فى موضعه .

وَمَا أَنَّ[1] مَا قَالُوا مِنَ الشِّعْرِ زَائِلاً

وَلَكِنْ لَهُ يُتْمٌ كَيُتْمِ الْمُفْــرَدِ[2]

تَشُولُ بِهِمْ شَوْلاً[3] سُوَيْدَاءُ عَبْقَرٍ

وَأَطْــلَالُ آرَامٍ وَتَحْنَانُ فَرْقَدِ[4]

٣٧٥ هَمَالِيجُ[5] فِي نَظْمِ الْقَصِيدِ حُلُومُهُمْ

تُعَالِجُ أَبْرَ الشِّعْرِ[6] فِي ظِلِّ غَرْقَدِ

شَعَبْتُهُمْ[7] لَمَّا دَهَــانِي شَظِيفُهُمْ

بِمَا دَغَرَ النُّعْمَانُ[8] مِنْ ثَغْرِ مُعْنِــدِ

---

(١) ما أن : ما كان .

(٢) اليتم هنا بمعنى الانفراد . لعدم إقبال القراء والحفاظ عليه اقبالهم على السهل من الشعر جهلا منهم لمعانيه وعجزاً عن فهم نصوصه المحبوكة . والمفرد : الذى هلكت لداته وبقى هو .

(٣) شلتُ به شولا من باب قال : رفعته .

(٤) الفرقد . ولد البقرة الوحشية ما دام يرضع .

(٥) هماليج : يمشون مشيةسهلة فى سرعة . وحلومهم أى عقولهم .

(٦) أبر الشعر : لقحه . كالنخل يؤبر بطلع الإبار ليجود ثمره . والغرقد: شجر جميل من أشجار البادية . وهو كالعوسج بل قيل إنه هو .

(٧) شعبتهم هنا بمعنى جمعتهم . والشظيف : السهم الذى رموا به الشاعر كناية عن الحب .

(٨) دغر : دفع . والنعمان : الدم والمعند : تقول عند العرق وأعند أى سال بالدم .

هُمُ الأَوْبُ[1] يَهْمِي ، وَالمُجِيدُونَ بَعْدَهُمْ

يَتِيهُونَ فِي الأَجْوَاءِ كالمُتَقَرِّدِ[2]

وَعَى القَلْبُ مِنْ أَسْمَائِهِمْ مُنْطَقَ الصَّفَا

لَبِيدًا[3] تَأَرَّى شِعْرُهُ فِي التَّمَعْدُدِ[4]

وَعَنْتَرَةَ الفَلْحَاءِ[5] يَلْقَى كَتِيبَةً

فَتُهْطِعُ إِهْطَاعَ الظَّلِيمِ الخَفَيْدَدِ[6]

٣٨٠ وَيَذْكُرُ وَالرَّدْنُ الرُّدَيْنِيُّ[7] صَاخِبٌ

مُلاحَةَ عَبْلٍ فِي الصِّدَارِ[8] المُعَضَّدِ

---

(١) الأوب : السحاب .

(٢) المتقرد : هَنات صغار تكون دون السحاب لم تلتئم .

(٣) هو لبيد بن ربيعة بن مالك أحد أصحاب المعلقات .

(٤) تأرى بالمكان : أقام به . والتمعدد : التشبه بعيش معد بن عدنان فى التقشف وغلظ المعاش . ولذلك جاء شعر لبيد غليظاً .

(٥) كان عنترة العبسى يلقب بعنترة الفلحاء لتشقق فى شفته السفلى .

(٦) الإهطاع فى السير : السرعة فى خوف . والظليم : ذكر النعام . والخفيدد كذلك . ويأتى أيضاً بمعنى السريع .

(٧) الردن : صوت وقع السلاح بعضه على بعض . والرديني اسم من أسماء الرمح : زعموا أنه منسوب إلى امرأة سَمهر وكانت تسمى رُدَينة . وكانا يُقوِّمان القَنَا بخطّ هَجَر . والشاعر هنا نسب الردن إلى زوجة سمهر لا إلى الرمح .

(٨) الصدار : قميص لطيف كانت تلبسه نساء العرب ، عديم الأكمام ، فى أوقات الخلوة وعند التبذل . والمعضد : المخطط .

وَنَابِغَةً[1] يُدْعَى زِيَادًا تَوَاضَعُـــوا
عَلَى قَصْدِهِ فِي قُبَّـــةٍ مِنْ مُقَرْمَدِ[2]

يُنَادِمُ نُعْمَانًا أَبَى اللَّعْنَ مُلْـكُهُ
وَيَنْغِضُ[3] فِي جَثْلٍ مِنَ الشِّعْرِ مُعْتَدِ

وَيُوسِقُ عَيَّاراً مِنَ العِيسِ صُفْنُهُ[4]
فَيَمْضِى إِلَى أَهْـــوَائِهِ غَيْرَ مُطْرَدِ[5]

وَأَعْشَى بَصِيرَ القَلْبِ خَـــلَّدَ مَهْدَدًا
وَمَا أَحَـــدٌ فِي النَّاسِ يُغْنَى بِمَهْدَدِ[6]

---

(١) هو النابغة الذبيانى واسمه زياد بن معاوية ويكنى أبا أمامة أو أبا ثمامة

(٢) كان يضرب للنابغة قبة من أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها . وقد تصور الشاعر أن هذه القبة من أدم مقرمد أى مطلى بطلاء أو زعفران لعلو مكانته .

(٣) ينغض : يتحرك . والجثل : الكث الغليظ . ومعتد أى معد من قبل تقول أعتده إعتاداً أى أعده ليوم .

(٤) العيار : الذى يعير أى ينفلت هاهنا وهاهنا من نشاطه . والصُّفْنُ : خريطة تكون للراعى فيها طعامه وما يحتاج إليه .

(٥) تقول أطرده فهو مطرد أى أمر باخراجه .

(٦) هو الأعشى الشاعر الجاهلى المطبوع أعشى قيس من « منفوحة » على مسافة ثلاثة كيلومترات من الرياض ولا تزال آثار قصره ظاهرة فيها . أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ومدحه بقصيدة صرفته قريش إبان كفرها عن اتيانه بها بمائتى ناقة حمراء أخذها وانصرف. ومهدد حبيبته، خلدها فى شعره ولولاه لما غنى بها أحد .

٣٨٥ وَيَضْفِنُ[١] فِى شَوْقٍ إِلَيْهِمْ أَخُوهُمُ
زُهَيْرٌ[٢] مَلِيحًا فِى قِيَامٍ وَمَقْعَـــدِ

تَأَلَّهَ فِى شِعْرٍ وَأَزْكَى تَعَفُّفًـــا
وَلَمْ تُنْسِـــهِ أَوْطَارُهُ أُمَّ مَعْبَدِ[٣]

مَدَائِحُهُ[٤] صِدْقٌ ، وَصِدْقٌ حَدِيثُهُ
وَحِكْمَتُهُ فِى بَاذِخٍ[٥] ثَمَّ مُسْنَـــدِ

وَعُرْوَةُ صُعْلُوكُ الفَـــلَا مَيْدَ أَنَّهُ[٦]
إِذَا وَفَدَ الضِّيفَانُ يَعْنُو كَمُعْبَدِ[٧]

---

(١) ضفَن إليهم يضفن : أتاهم يجلس إليهم ضيفاً .

(٢) هو زهير بن أبى سُلمَى ربيعة بن رياح بن قرّة أحد أصحاب المعلقات وشاعر أهل الجاهلية على حد قول جرير . وأحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء فى رأى صاحب الأغانى ، وشاعر الشعراء عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه . والمَقعَد هنا بمعنى الجلوس .

(٣) تألّه : ذكر الله كثيراً فى شعره أو آمن . وأزكى : زكا . وأم معبد : حبيبته .

(٤) عُرفت مدائح زهير بأنها أحسن المدح وبخاصة مدحه لهرم بن سنان وآله .

(٥) الباذخ من أسماء الجبال . والمسند هنا : المرتفع .

(٦) الصعاليك فى الجاهلية أعتى الناس وأفرسهم وأكثرهم غزواً ورفداً . وميد أنه : لغة فى بيد أنه .

(٧) أعبده فهو مُعبد : اتخذه عبداً .

يَقُولُ لهَاَ : لاَ تَبْخَلِي بِنْتَ مُنْذِرٍ[1]

وَجُودِي كَماَ جَادَ الصَّعَالِيكُ وَازْهَدِي

٣٩٠ وَحَيٍّ أَبَا عَمْرٍو[2] الَّذِي نَالَ عَقْوَةً

لَدَى الشِّعْرِ فِي صَدْرِ الشَّبَابِ المُصَرَّدِ[3]

وَحَاتِمَ طَيٍّ[4] مِنْ بَنِي ثُعَلَ لَمْ يَذَرْ

سِوَى الذِّكْرِ مِنْ إِرْثٍ قَشِيبٍ وَمُتْلَدِ[5]

يَقُولُ : أَمَاوِيَّ[6] اقْصِرِي مِنْ مَلاَمَةٍ

فَلَيْسَتْ مَحَالُ الكَفِّ إِلاَّ لِأَنْكَدِ

---

(١) هى صاحبته أو زوجته .

(٢) هو طرفة بن العبد البكرى واسمه عمرو وكنيته أبو عمرو . أحد أصحاب المعلقات فى الجاهلية . وكان شاعراً مجيداً جريئاً على الشعر . والعقوة : كاللوذ والكنف .

(٣) الشباب المصرد أراد به المقطوع قبل تمام العمر ، كالشرب المصرد وهو المقطوع قبل تمام الرى . فطرفة مات قتيلا فى نحو العشرين أو السادسة والعشرين من عمره ، وقبل أن يبلغ الثلاثين على كل حال . ولمقتله قصة معروفة فى الأدب .

(٤) هو حاتم الطائى ويكنى بأبى سفانة . واسمه هزومة بن عبد الله . واخباره فى الجود أكثر من أن تعرف .

(٥) المتلد من المال : المدخر من زمن قديم سابق على زمن الإنفاق .

(٦) هو اسم جاريته أو حبيبته .

أَمَاوِىَّ إِنِّى سَاعَةَ الغَــزْوِ غانِمٌ

فَلاَ تُعْضِلِينِى[1] مِنْ لِسَانٍ كَمِبْرَدِ

بَلَى وَامْرُؤَ القَيْسِ الَّذِى جَزَّ فَحْلَهُ

وَضَافَ العَذَارَى بِالسَّدِيفِ[2] المُتَرْمَدِ

٣٩٥ وَبِالخَائِلِ[3] الضَّبَّاحِ فَيَّدَ لِلْهَــوَى

عَلَى نَسَبٍ مِنْ مَوْرِقِ العُرْبِ أَقْعَدِ[4]

يَقُولُ : قِفَا[5] نَبْكِ الحَبِيبَ وَمَنْزِلاً

بِسِقْطِ اللِّوَى ، إِنَّ الهَوَى فِى التَّنَهُّدِ ..

---

(١) أعضلنى فلان : أعيانى أمره .

(٢) ضاف العذارى : نزل عليهن ضيفاً . والسَّديف : شحم السَّنام . والمترمد : الذى أسيء عمله ولم ينضج أو لطخ برماد النار . يشير الشاعر إلى قصة : فظلَّ العذارى يرتمين بلحمها .

(٣) الخائلُ : واحد الخيل فى رأى بعض أهل اللسان لأنه يختال . وكان امرؤ القيس فارساً وهو أبلغ من وصف الخيل . والضباح : الذى يُسمع من فمه صوت ليس بالصهيل ولا بالحمحمة ، أو الذى يعدو دون التقريب . وقيّدَ . تبختر .

(٤) النَّسب الأقعد : القريب الآباء من الجد الأكبر .

(٥) يعد امرؤ القيس فى رأى جمهور الأدباء أول من استوقف الصحب لبكاء الديار . وهو مما استحسنته العرب ونهجت على منواله . والسقط منقطع الرمل حيث يستدق من طرفه . واللوى حيث يلتوى ويدقّ .

نَجَابَةُ شِعْرٍ تَبَنَّنتُ[1] فِي حَيَاتِنَا
وَأَوْسَعَتِ الدُّنْيَا لِعَيْشٍ مُقَيَّدِ

وَمَا تَرِحَتْ[2] إِلَّا وَلِلْحُزْنِ أَدْمُعٌ
وَمَا رُعِدَتْ إِلَّا لِأَصْدَاءِ مُرْعَدِ

وَكَانَتْ تِرَاسًا[3] مِنْ بَيَانٍ وَجُنَّةً
لِشَوْطٍ عَلَى مَرِّ الْجَدِيدَيْنِ[4] مُجْهَدِ

٤٠٠ وَإِذْ نَبَرُوا سَبْعًا عَلَى الْبَيْتِ إِمَّةً[5]
حِسَانًا وَقَدْ رَفْرَفْنَ مِنْ فَوْقِ بُرْجُدِ[6]

هَدَيْنَ كَتَوْرَاةٍ[7] مِنَ الشِّعْرِ فَوْقَهُ
وَمِسْنَ عَلَى أَعْطَافِهِ مَيْسَ أَغْيَدِ

---

(١) تبنت : أدقت النظر .

(٢) ترحت : حزنت .

(٣) تراس : جمع تُرس . والجنة : ما استترتَ به من سلاح والسُّترة .

(٤) الجديدان : الليل والنهار . والمراد بالشوط شوط اللغة العربية الذى قطعته من عصرها الجاهلى إلى العصر الحاضر .

(٥) نبرو : رفعوا . والسَّبع : المعلقات السبع . وإمَّةً أى نعمةً .

(٦) البُرجُد : كساء مخطط . أراد كسوة الكعبة .

(٧) التوراة هنا بالمعنى الذى قصد إليه الفراء ، وهو أنها من وَرِيَ الزَّند فكأنها الضياء

أَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الشِّعْـــرَ غَيْثٌ وُرُودُهُ

وَلَيْسَ يَجُودُ الشِّعْـــرُ إِلَّا لِأَسْعَدِ!

وَقَدْ جَوَّدُوهَا فِي قَصِيدٍ مُخَـــلَّدٍ

فَهَلْ عَجَبٌ أَن تُجْتَبَى عِنْدَ مَسْجَدِ[1]؟

لِلْبَيْتِ رَبٌّ يَحْمِيهِ

مَدَحْتُ عَتِيقًا مُعْتَقًا مِنْ جَبَابِرٍ

وَمِنْ كُلِّ جَارُودٍ[2] مِنَ النَّاسِ أَجْحَدِ

٤٠٥ يُجَنْدِلُ مَنْ يَسْعَى إِلَيْـــهِ بِرِيبَةٍ

وَيَصْبِرُهُ[3] فِي ذِلَّةٍ كَالْمُقْعَـــدِ

وَلَوْ أَنَّ عِرْدَاداً[4] مِنَ الْـكُفْرِ جَاءَهُ

لَـكَانَ لَدَى أَعْتَابِهِ مِثْلَ جُدْجُـــدِ

---

(١) المسجد بكسر الجيم وفتحها : مكان السجود ومكان الصلاة ،

(٢) الجارود : المشئوم .

(٣) يصبره: يحبسه. والمقعد :النَّسر الذى قُشِبَ له فصيدَ وأخـذ ريشه .

(٤) العِرداد : الفيل . والجدجد : طُوَيْئر شبه الجراد .

أَشَدُّ[1] لَقَدْ كَانَ الإِلَهُ نَصِيرَهُ
وَبَكَّةُ بَكَّتْ[2] كُلَّ عَاتٍ وَقِسْوَدِ

وَمَا مِنْ رِجَامٍ[3] نَالَ مِنْهَا مَنَالَهُ
وَلاَ تُرَّهَاتٌ أَوْ صَغَارٌ لِمُفْنِدِ[4]

فَكَمْ خَالَ بُورٌ[5] أَنَّهُ قَدْ أَبَارَهَا
فَبَاءَ بِسَهْمٍ مِنْ يَدِ اللهِ مُقْصِدِ[6]

٤١٠ وَبَاقِعَةٍ[7] فَادَتْ وَكَانَتْ تَرُومُهَا
فَآبَ عَتِيقٌ مِنْ وَبَالٍ بِأَسْعُدِ

---

(١) أشدُّ هنا بمعنى أشهد .

(٢) بكت (للعنق) : دقت . ومنه بكة لدقها أعناق الجبابرة فى قول من جملة الأقوال . والقسود أصلها القسودُّ وهو الغليظ الرقبة القوى . خففت للضرورة .

(٣) الرِّجام : المراجمة والمراماة بالخصومة والقتال .

(٤) المفنِدُ : المكذِّب .

(٥) البور : الرجل الفاسد الهالك والذى لا يُرجى منه خير .

(٦) السهم المقصد : الذى يصيب فيقتل مكانه . وعن المشرف أن ثلاثة غير أبرهة قصدوا بمكة الأذى وأرادوا هدم بيت الله ، إثنان قاتلتهما خزاعة ومنعتهما ، والثالث كان فى أول زمان قريش وهو فى بعض الروايات تبع الأول الذى ذكره الشاعر فيما يلى من الأبيات .

(٧) الباقعة : الداهية . وفادت أى ماتت وهلكت .

وَمُلْكٍ شَدِيدٍ - عَمْرَكَ اللهَ[1] - بَطْشه

تَهَاوَى إِلَى دَرْكٍ مِنَ الذُّلِّ مُرْمِدِ[2]

فَإِنَّ لِبَيْتِ اللهِ فِى النَّاسِ هَيْبَةً

تَنَاهَتْ إِلَيْهَا هَيْبَةُ الْمُتَعَبِّدِ

وَإِنَّ لِرَبِّ الْبَيْتِ صَوْناً لِبَيْتِهِ

وَعِزًّا ، وَمَنْ يَسْدِنْ لَدَيْهِ يُسَوَّدِ

تَفَيَّدَ[3] مالاً تُبَّعٌ كَانَ قَصْرَهُ

وَلِلْمَالِ نَزْغٌ فِى يَدِ الْمُتَفَيِّدِ

٤١٥ وَفِى طَرِفٍ[4] أَرْخَى عِنَاناً لِنَفْسِهِ

وَمَنْ يَعْشُ فِى سُبْلِ الْغَوَايَةِ يُفْقَدِ

مَضَلَّةُ نَفْسٍ نَابَهَا الْكُفْرُ دُخْلَلاً[5]

وَسَعَّرَهَا إِبْلِيسُ نَاراً بِمِفْأَدِ[6]

---

(١) عمْرَكَ اللهَ : دعاء للمخاطب ، ومعناها سألتُ الله تعميرك .

(٢) مرمد . مفتقر ممحل هالكة أنعامه .

(٣) تفيّد مالا : اقتناه . وكان قصره أى كان هذا المال قصاراه وجهده وغايته . وتبع هذا هو تبع الأول فى بعض الروايات ، وكان ما كان منه فى حال كفره .

(٤) الطرف : الطريف .

(٥) الدخلل : المتداخل والخاصة .

(٦) المفأد : خشبة يحرك بها التنّور .

فقَالَ : لماذا الحجُّ في بَيْتِ مَكَّةٍ

وَتُفْـــرَدُ بَكٌّ بالقَبيلِ المُقْرِدِ[1] !

وَكَثَّفَ جَيْشًا لَمْ تَرَ السِّيُّ[2] مِثْـلَهُ

وَسَــارَ بِحَرْدِ[3] السَّمْهَرِيِّ المُقَصَّدِ

وَفِى يَدِهِ ، يا وَيْلَهُ مِنْ مُخَــانَةٍ[4]

تُغِـذُّ وَسِيجاً ، صَوْلَجَانٌ كَمِقْلَدِ[5] !

٤٢٠ إِذَا غَرَّ مَرْءًا لَمْ تَسَعْــهُ غُرُورُهُ[6]

وَثَوَّبَ[7] مِنْ طُغْيَانِهِ بالتَّفَنُّــــــدِ

غطَا[8] اللَّيْلُ لَمَّا قَارَبَ البَيْتَ تُبَّعٌ

وَخَرَّ[9] بِأَنْفٍ فَاحِمِ الجِـرْمِ مُقْعَدِ

---

(١) المقرد : الكثير الغنم والسخال أو كثير قماش البيت كناية عن الغنى.
(٢) السِّيّ : الفلاة .
(٣) الحرد : القصد . والسمهرى المقصَّد : الرمح الصلب المستقيم الذى لا ينثنى :
(٤) المخانة : الخيانة .
(٥) تغِذ : تسرع . والوسيج : سير سريع للإبل . والمقلد فى هذا الموضع عصى فى رأسها اعوجاج .
(٦) الغرور : الدنيا ،
(٧) ثوب كثاب : رجع . والتفند : التندم .
(٨) غطا الليل : سترت ظلمته كل شىء .
(٩) خرَّ عند النوم : صدرت عنه خرخرة وهى صوت النائم فى حالة النوم العميق . والأنف المقعد : الذى فى منخريه سعة . وذلك أن تبعاً وجيشه حصلت لهم عند ما زحفوا إلى البيت ظلمة شديدة .

وَهَبَّتْ رِيَاحٌ تَحْسَبُ الجِنَّ فَوْقَهَا

سَمَاءٍ .. وَسَالَتْ بِالرَّدَى المُتَفَصِّدِ[1]

فَرِيسٌ[2] لَدَيْهَا كُلُّ حَيٍّ وَجَامِدٍ

وَمُنْقَذِفٌ فِي هُوَّةٍ كَالمُلَهَّدِ[3]

فَكَتَّعَتِ[4] الأَطْرَافَ مِنْ جَيْشِ تُبَّعٍ

وَخَرَّ صَرِيعاً قَائِدٌ بَعْدَ قُوَّدِ

٤٢٥ وَكَانَتْ رَنَوْنَاةً[5] رُفَاعَةُ تُبَّعٍ

بِعَرْشٍ مِنَ النَّضْرِ[6] اليَمَانِيِّ مُسْنَدِ

صَدَائِرُهُ[7] مِنْ جَوْهَرٍ عَزَّ سِيُّهُ

تَأَلَّقَ مِنْهَا فِي الدُّجَى عِزُّ قِنْدِدِ[8]

---

(١) المتفصد : السائل الجارى .

(٢) فريس : قتيل .

(٣) الملهد : المدفوع بجمع الكفّ .

(٤) كتعت : قطعت .

(٥) رنوناة : معجبة تروق للناظرين . والرفاعة كالرّفاعة بمعنى العلُوّ .

(٦) النضر : الذهب . ومسند أى مسنود بدعائم .

(٧) صدائره : أعاليه ومقادمه . وسيه أى مثله وشبهه .

(٨) القندد :حال الرجل حسنة أو سيئة .

فَأَبْسَلَهُ[1] دَاءٌ يَشِجُّ صَدِيدُهُ
كَمَا بَجَّ قَيْحٌ مِنْ بَعِيرٍ مُعَبَّدِ[2]

وَلَمْ يَدْرِ طَبٌّ مَا بِهِ مِنْ رَزِيئَةٍ
وَيَا وَيْلَ سُقْمٍ مِنْ طَبِيبٍ مُقَرَّدِ[3] ..

فَآبَ إِلَى حَبْرٍ عَلِيمٍ مُجَرَّسٍ[4]
وَقَالَ لَهُ : هَلْ فِيكَ بُرْءٌ لِمُقْصَدِ[5] ؟

٤٣٠ فَقَالَ لَهُ الحَبْرُ اليَمَانِىُّ : إِنَّهَا
رَوَادِعُ بَيْتٍ كَالشِّهَابِ المُكَبِّدِ[6]

أَنَاسَكَ[7] مِنْهَا مَا هَمَمْتَ بِفِعْلِهِ
فَتُبْ أَسِفًا مِنْ جُرْأَةِ المُتَعَمِّدِ

---

(١) أبسله : أسلمه للهلكة . ويشج : يسيل .
(٢) البعير المعبد : المطلىّ بالقطران لجرب أصابه فأذهب وبره .
(٣) مقرد : ساكت عِيّا .
(٤) مجرس : مُجرِّب منجّذ .
(٥) المقصد : الذى يمرض ويموت سريعاً .
(٦) كبّد الشهاب فهو مكبِّد : صار فى كبيداء السماء .
(٧) أناسك : ذبذبك .

وَعَظِّمْ مَنَارَ اللهِ تَـــبْرَأْ وَتُدَّكَرْ

بِخَيْرٍ وَإِلَّا ظِلْتَ[1] كَالهَالِكِ الرَّدِى !

***

وَحَسَّان[2] فَاذْكُرْ عِنْدَمَا قَادَ حِمْيَرًا

وَسَـــارَ مُغِذًّا بِالجَوَادِ المُقَلَّدِ[3]

يُرِيدُ حِجَارَ البَيْتِ أُسًّا لِـكَعْبَةٍ

يُشَيِّـــدُهَا ... يَا وَيْحَهُ مِنْ مُفَنَّدِ[4] !

٤٣٥ وَيَزْمِـعُ صَرْفَ الحَجِّ عَنْ بَيْتِ مَـكَّةٍ

إِلَى دَدَنٍ[5] فِى سُقْعِهِ الغُسِّ مُقْعَـــدِ

---

(١) ظِلتَ لغة فى ظللت . وتقول القصة بعـد ذلك أن تبعاً تاب عن فعلته ونوى أن يكسو البيت وينحر عنده ، فبرأ من دائه وانجلت الظالمة .

(٢) هو حسّان بن عبد كلال من اليمن .

(٣) الجواد المقلد : السابق من الخيل .

(٤) المفند : المكذّب والمخطّأ الرأى.

(٥) الدَّدَنُ : اللعب . أراد بيت حسان الذى أزمع تشييده . والسقع : الصُّقع . والغُس : الضعيف أو اللئيم. ومقعـد هنا بمعنى قائم منتصب .

فلمّا دنَا مِنْ بُرْقَةٍ[1] عِنْدَ « نَخْلَةٍ »

وَفِيهَا شَجِيرٌ[2] مِنْ نَخِيـلٍ وَأَقْتُدِ

تَلَقَّاهُ فِهرٌ وَالقَبَائِلُ حَـوْلَهُ

كَقِمَّةِ إِعْجَـازٍ عَلَى رَأْسِ أَقْوَدِ[3]

وَفِي سَرَعَانِ[4] الْخَيْـلِ أَبْدَالُ أُمَّةٍ

مَتَى يَرَهُمْ بَرْكُ الفَـوَارِسِ يَرْعَدِ[5] ..

سَهَامٌ[6] إِذَا جَاشُوا ، مَرِيءٌ لِقَاؤُهُمْ

تُؤَدِّبُ أَسْيَـافٌ لَهُمْ كُلَّ قَهْمَدِ[7] !

---

(١) البرقة : كل غِـلَظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة . ونخلة الشامية واليمانية وأديان على ليلة من مكة شرفها الله تعالى .

(٢) الوادى الأشجر والشجير : الكثير الشجر . والأقتُدُ : جمع القتاد وهو شجر صلبٌ له شوكٌ كالإبر .

(٣) الأقود : الجبل الطويل . شبه وقفة فهر من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم على رأس جيشه من قبائل العرب بقمةٍ معجزةٍ فى ارتفاعها قائمة على رأس جبل طويل .

(٤) سرعان الخيل : أوائلها . والأبدال : قوم من الصالحين لا تخلوا الدنيا منهم ، إذا مات أحدهم أبدل الله تعالى مكانه بآخر .

(٥) البرْكُ : الصدر . ويرعد من الرّعدة .

(٦) السّهام : حرّ السَّموم ووهج الصيف . والمَرىء : ذو المروءة .

(٧) القهمد : اللئيم الأصل والدنىء :

٤٤٠ فَسَاقُوا بِقَيْدِ الأَسْرِ حَسَّانَ حِمْيَرٍ

وَحِمْيَرُ ذَاقَتْ ثُمَّ ذُلَّ المُكَدَّدِ(١)

ثَلاثَ سِنِينٍ ظَلَّهَا فِي إِسَارِهِ

كَمَا صِيدَ مِنْ أَمْوَاهِهِ حُوتُ كَنْعَدِ(٢)

فَلَمَّا افْتَدَى بِالمَالِ نَفْسًا أَثِيمَةً

قَضَى النَّحْبَ فِي مَرْتٍ(٣) مِنَ البِيدِ أَرْبَدِ

وَفِهْرٌ غَدَا صُيَّابَةَ(٤) العُرْبِ عَامَةً

يُهِلُّ(٥) عَلَى جَوْنٍ سَنِيِّ المُقَلَّدِ

***

وَإِذْ شَئِزَتْ(٦) لِلْبَيْتِ بِاللهِ حُرْمَةٌ

وَحُصِّنَ بِالأَبْطَالِ مِنْ كُلِّ مُفْتَدِ

---

(١) المكدد : المطرود طرداً شديداً .

(٢) الكنعدُ : سمك بحرىّ .

(٣) المرْتُ : الأرض ليس فيها شيء من النبت : والأربد : الذى لونه كالرماد فإن حسانا مات فى طريق العودة بين مكة واليمن .

(٤) الصيابة : السَّيِّد .

(٥) يهلُّ : يرفع صوته بالتكبير والحمد لله . والجون : الادهم من الخيل أو الأبيض والمقلد : موضع نجاد السيف على المنكبين .

(٦) شئِزت : ارتفعت وعلت .

٤٤٥ إِلَى غطفَانَ انحـازَ إِبليسُ آيسًا

يُضِلُّ لديْها قيدًا بَعْـدَ قيِّدِ[(١)]

رأى ظالِمٌ أنَّ الْحَجِيجَ بِمَكَّةٍ

أَظَلَّ قُرَيْشًا فِى نَعيمٍ مُقَعَّـدِ[(٢)]

فقاسَ علُوَّ البَيْتِ فِى ذَاتِ لَيْـلَةٍ

وَجُدْرَانَهُ تحْتَ الكِسَاءِ المُعَمَّـدِ[(٣)]

وَأَعْتَدَ جَهْلًا مَرْوَتَيْنِ[(٤)] مِنَ الصَّفَا

وَمَرْوَةَ فِى دَفِّ[(٥)] الهَيامِ المُكَلَّدِ

وَعَادَ إِلَى قَوْمٍ كَسِيدٍ[(٦)] خَلاقُهُمْ

عَلَى ظَهْرِ وَثَّابٍ مِنَ العِيسِ مُلْبِدِ[(٧)]

---

(١) القيِّد من الناس من ساهلك إذا قدته .

(٢) هو ظالم بن أسعد الغطفانى . وقعَّده فهو مُقعَّد : كفاه الكسب والسعى وراء الرزق .

(٣) الكساء المعمد : الذى به خطوط تشبه العمد .

(٤) المروة : واحدة المرو وهى حجارة بيض براقة تقدح منها النار . وبها سميت المروة بمكة .

(٥) الدف من كل شىء : صفحته وجنبه . والهيام : مالا يتماسك من الرمل ويسيل من اليد للينه . والمكلد : المجموع بعضه على بعض .

(٦) كسيد : دون . والخلاق : النصيب الوافر من الخير .

(٧) الملبد هنا : البعير الضارب فخذيه بذنبه .

٤٥٠ كَأَن بِهِ مَسًّا يُكَارِدُ[١] عَقْلَهُ

وَيَرْكَبُ رَأْسًا رُكِّبَتْ فَوْقَ أَقْمَدِ[٢]

فَشَيَّدَ « بُسًّا[٣] » كَعْبَةً فِي دِيَارِهِ

وَزَيَّنَهُ لِلْحَجِّ بَيْتًا كَمِصْيَدِ[٤] ..

وَأَرْسَى مِنَ الأَحْجَارِ مَرْوَةَ وَالصَّفَا

وَقَالَ : أَلَا فَاسْعَوْا بِخَطْوٍ مُقَرْمَدِ[٥] !

عَتِيٌّ هُوَ الإِنْسَانُ إِنْ كَانَ أَخْدَبًا[٦]

وَيُصْدِرُ عَنْ رَأْيٍ مِنَ الشَّرِّ مُحْصَدِ[٧]

---

(١) يكارد : يطارد ويدافع .

(٢) الأقمد : الطويل أو الضخم العنق فى طول .

(٣) بس هو البيت الذى بناه ظالم بن أسعد لغطعان ليكون لهم بمثابة الكعبة. بناه فوق شجرة هناك تدعى العُزَّى، وكان حى غطفان يسمعون لها صوتاً لعله من أثر الرياح فيها . وقد جدد بناء هذا البيت المزعوم فيما بعد على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فبعث إليه خالد بن الوليد فهدمه وأحرق الشجرة .

(٤) المصيد كالمصيدة : ما يصاد به .

(٥) الخطو المقرمد : المتقارب . قرمد خطوه وقرمطه : قاربه . فإن ظالماً لما بنى بيته وضع الحجرين اللذين أتى بهما من مكة وقال : هذان الصفا والمروة . . وأمر قومه أن يجتزئوا ببسٍ عن الحج

(٦) الأخدب : الذى يركب رأسه شططاً .

(٧) محصد الرى : سديده .

عَلاَ « بُسٌ » أَحْجَاراً ، وَأُهْبِطَ كَعْبَةً

وَلَمْ يَكُ فِي دَرْكِ السُّفُولِ بِمُحْمِدِ[1]

٤٥٥ وَحُرْمَتُهُ زالتْ كَمَا زَالَ هَوْزَنٌ[2]

تَجَمَّعَ فِي آفَاقِهِ كَالمُقَوَّدِ[3]

وَمَارَتْ[4] دِمَاءٌ عِنْدَهُ لِفَوَارِسٍ

وَجُدِّلَ أَجْدَاثَ الرَّدَى المُتَقَدِّدِ[5]

بِسَيْفِ زُهَيْرٍ[6] يُبْرِقُ التِّلْوُ بَعْدَهُ

وَأَيْدٍ لَهَا فِي الرَّوْعِ مِرَّةُ مُلْبِدِ[7]

وَظَالِمُ ذَاقَ المَوْتَ مُمْسَاهُ عَلْقَماً

وَدِيسَ بِأَفْرَاسِ المُغِيرِ المُكَرْبِدِ[8]

---

(١) أحمدَ فهو محمِد : صار أمره إلى الحمد ،أو فعل مايحمد عليه. والسُّفول نقيض العلُو .

(٢) الهوزن : الغبار .

(٣) المقود : الحبل الطويل .

(٤) مارت الدماء : جرت .

(٥) المتقدد : المقطوع قطعاً مستأصلا أو مستطيلا او المشقوق طولا .

(٦) هو زهير بن جباب الكلبى الذى انبرى لقتال ظالمٍ وهدْم بنائه. والتلو: الذى يتلو أى يجىء بعد .

(٧) المرة : القوة وشدة العقل . والملبد هنا : الأسد .

(٨) كربد فى عَدْوِه فهو مكربد : جد فيه.

وعَادَتْ حِجَاراً كَعْبَةُ الكُفْرِ وَالغَمى[1]

تَنَاثَرَ إيذانًا بِهُلْكِ مُلْحِـــــدِ

***

٤٦٠ أَفِي نُهْزَةِ[2] الأَيامِ يا كَعْبَةَ الهُدَى

تُعَانِينَ فِنْــــداً جَاثِماً مِنْ تَكَؤُّدِ[3] !

وَكَيْفَ -فَدَتْكِ النَّفْسُ- لَمْ تَبْرَحِي الحِمى ؟

لَقَدْ زَحَفَتْ فِي الوَخْشِ[4] أَجْنَادُ حَرْمَدِ

ذِئَابٌ مِنَ الحُبْشِ الدَّهَاقِينِ[5] أَقبلُوا

تُصَاحِبُهُمْ أَفْيَالُ غَابٍ مُلَبَّـــدِ

---

(١) الغمى : السقف أو ما فوقه من التراب وغيره .

(٢) النهزة : الفرصة .

(٣) الفند بالكسر ويفتح : الجبل العظيم أو قطعة منه طولا . والتكؤد : المشقة والمكابدة .

(٤) الوخش من الناس : رذالتهم . والحرمد : الطين الأسود والمتغير اللون والرائحة . وعين محرمدة أى كثيرة الحمأة . تمييزاً لبلاد الحبشة التى يتكاثر فيها المطر فيجعل الأرض طينة مائعة .

(٥) الدهاقين : الرءوس فى قبائلهم .

أَبَوْا حَسَدًا أَنْ تَظْفَرَ العُرْبُ دُونَهُمْ
بِسُلْطَانِ بَيْتٍ لَمْ يَزَلْ فِي تَأَسُّدِ[1]

وَأَنَّ لَهُمْ بَيْتًا أَقَامُوهُ مَنْسِكًا[2]
وَخَبْلًا[3] - وَمَنْ يَكْشَحْ لِمَكَّةَ يُطْرَدِ

٤٦٥ أَسَالُوا لَهُ نَضْرًا[4] وَصَاغُوا هَيَاكِلًا
وَلَمْ يَذَرُوا مِنْ شَيِّقٍ أَوْ مُنَضَّدِ

---

(١) تأسد فهو متأسد : جرىء كالأسد . ومنه التأسُّد . والواقع أن حملة أبرهة وجنوده على مكة بقصد سحق الإيمان وهدم الكعبة لم تكن إلا بدافع الحسد . فإن الأحباش كانوا مسيحيين . والمسيحية تأمر بالتسامح وبعدم الاعتداء . والعرب لم يعتدوا على الحبشة ولا على ايالتها اليمنيه . وإذا كان أعرابى قد أحدث فى كنيس الحبشة باليمن فان ذلك لا يحمل ملكا عاقلا على شن حرب شعواء على كعبة الله ، لأنها ليست للعرب وحدهم بل للناس كافة . ثم إن بناء كنيسة أو مكان للعبادة فى أعمال اليمن لا يستلزم هدم ما عداه من أمكنة العبادة . ولكن الذى حدث هو أن كنيسة الحبشة — وتدعى القليس — لم يحج إليها أحد من العرب بل ظلوا يحجون إلى البيت العتيق . فكَبُر على النجاشى هذا الأمر وأخذته العزة بالاثم . فأصدر أمره إلى أعوانه بتجريد حملة ساحقة على بيت الله الحرام . فمحقه الله وجنوده وجعلهم كعصف مأكول .

(٢) أى والحال أن لهم بيتاً . والمنسك : الموضع الذى تذبح فيه النسائك وهى القربان إلى الله .

(٣) الخبل : الفساد . ومن يكشح أى يضمر العداوة .

(٤) النضر الذهب .

فَكَزَّ[1] وَمِنْ شَأْنِ القُسُوطِ كَزَازَةٌ

وَظَلَّ بِتَجْرِيدِ الوَرَى فِي تَجَرُّدِ[2]

وَفِي شَطَطٍ آلَ النَّجَاشِيُّ قَوْمَهُ

فَأَكْدَوْا كَزَرْعٍ خَائِبِ الشَّطْءِ مُحْصَدِ[4]

وَلَمَّا رَأَي بَيْتًا بِبَكَّةَ نَابِهًا

يُلِيحُ وَيُولِي صَرْفَهُ[5] كُلَّ مُهْتَدِ

أَعَدَّ لَهُ هَذَا الخَمِيسَ[6] الَّذِي مَشَى

إِلَى مَكَّةٍ فِي جَنَّةٍ مِنْ تَصَدُّدِ[7]

---

(١) كزَّ : انقبض . والقُسوط : الجوْر والعدول عن الحق .

(٢) أى وظلَّ برغم تجريده النـاس من جانب كبير من أموالهم فى سبيل بنائه وتزيينه ، عارياً . . وهذا دائماً شأن المال إذا كان مصدره الاغتصاب والقهر .

(٣) آلَ : ساسَ .

(٤) أكدوا : قل خيرهم . وشطء الزرع : فِراخه وسنبله ، ومحصد أى جفَّ وهو قائم .

(٥) الصَّرْفُ : التوبة . يقال لا يُقبل منه صَرْف ولا عدل .

(٦) الخميس : الجيش .

(٧) التصدد : التعرض . وتبدل الدال ياءً فيقال التصدى .

٤٧٠ يُخَبِّلُهُمْ مَا جَيَّشُوا فِى غُيُولِهِمْ[١]

وَمَا حَسِبُوهُ يَقْهَرُ العُـــرْبَ عَنْ يَدِ[٢]

فَمِنْ كُلِّ سَيَّافٍ وَمِنْ كُلِّ رَامِـحٍ

وَمِنْ كُلِّ تَرَّاسٍ طُـــوَالٍ جَلَحْمَدِ[٣]

وَجُنْدٍ كَسَيْلِ المَوْتِ يَمْشِى مُزَلْزِلاً

مَفَاوِزَ لَمْ تَظْفَرْ بِجُنْدٍ مُجَنَّــــــدِ

وَجَاءُوا بِصَاقُورٍ وَرِبْقٍ[٤] وَأَفْؤُسٍ

وَأَلْفِ كَرَازِينٍ[٥] بِحَدٍّ مُحَـــدَّدِ

وَقَامُوا لَدَى مَوْقُوذَةٍ[٦] فِى فِنَائِهِمْ

فَطَلُّوا دَمًا لِلْبَيْتِ طَـــلَّ الجَلَنْدَدِ[٧]

---

(١) الغيل وجمعه غيول : الأجمة . ومن المعلوم أن بلاد الحبشة تكثر فيها الغابات الكثيفة .

(٢) أى عن قدرة عليهم وغلبة . واليد : القوة .

(٣) طوال : لغة فى طويل . والجلحمد : الغليظ .

(٤) الصاقور فأس عظيمة لها رأس تكسر بها الحجارة . والربق : حبل فيه عدة عراً تشد به البَهم .

(٥) الكرزين . نوع من الفؤوس الكبيرة لحطم الصخور . ومحدد أى مجعول حاداً وقاطعاً .

(٦) موقوذة : مضروبة حتى استرخت . والمقصود أنهم توعدوا البيت فى كنيستهم أمام مُطرَّقة من تماثيلهم أو قربان من قرابينهم قُتل ضرباً .

(٧) الجلندد : الفاجر الذى لا يرعى ذمة ولا عهداً .

٤٧٥ وَجاشُوا كَما جَاشَتْ بِحارٌ وَصَرْصَرٌ
وَقَدْ حَرَكُوا الأَحْقَافَ مِنْ كُلِّ خُنْجُدِ (١)

وَسَالُوا عَلَى الوِدْيَانِ وَالمَوْتُ دُونَهُمْ
مَهُوبٌ كَدُخٍّ (٢) حَانِكِ الجوِّ مُصْعِدِ

بِأَبْرَهَةَ الجَبَّارِ تَهْتَزُّ تَحْتَهُ
مَوَاطِئُ أَقْدَامٍ لِفِيلٍ مُمَرَّدِ

يَسِيرُ كَأَنَّ الأَرْضَ مِنْ بَعْضِ مُلْكِهِ
وَيَحْمِلُ جُثْمَانًا كَبُرْجٍ مُشَيَّدِ !

وَنَادَى مُنَادِي الجَيْشِ : هَاتُوا عَمِيدَكُمْ
إِذَا كَانَ فِيكُمْ مِنْ عَمِيدٍ قَفَعْدَدِ (٣)

٤٨٠ فَجَاوَبَ : مَرْحَى ! شَيْبَةُ الحَمْدِ (٤) إِنَّنِي
كَبِيرُهُمُ وَالبَيْتُ مِنْ بَعْضِ مَحْتِدِي

---

(١) حَرَكُوا مثل حرّكوا . والأحقاف : جمع حِقف وهو ما اعوجَّ من الرمل . والخنجد : الجبل الطويل من الرمل .

(٢) الدخ : الدُّخان وحانك : حالك . ومصعد : منحدر أو سائر فى الأرض .

(٣) القفعدد : الرجل القصير القامة . أرادوا الإهانة والتحقير .

(٤) هى كنية عبد المطلب جدّ نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام ، لكثرة حمد الناس له أو لأنه وُلد فى رأسه شيبة .

وَلِى طَلبٌ فِيكُمْ : أَبيلٌ[1] أَصَبْتُمو
فَخَلُّوا أَبِيلِى إِنَّهَا جُــلٌّ أَهْنُدِى[2]
وَدُونَكُمُ البَيْتُ العَتِيقُ فَإِنَّهُ
سَيَمْنَعُهُ إِنْ شَاءَ رَبٌّ التَّفَــرُّدِ !

***

عَجِبْتُ لِفِيلٍ كَالعَــلَاةِ[3] ضَخَامَةً
يَخِرُّ لِمَرْأَى عَامِرٍ كَالمُفَرْشِــدِ[4]

---

(١) أبيل : جمع إبل . فان جنود أبرهة كانوا أصابوا فيما أصابوا بحرم مكة وما حولها مائتى بعير لعبد المطلب .

(٢) أهند : جمع هند وهو اسم للمائة من الإبل كهنيدة . أو لما فوقها ودونها ، أو للمائتين .

(٣) العلاة : الصخرة العظيمة.

(٤) عامر كما أسلفنا : اسم آخر لعبد المطلب ، والمفرشد : المباعد ما بين رجليه . فإن أبرهة أمر سائس الفيلة أن يحضر فيله الأعظم - ويدعى محموداً - بين يديه ليرهب عبد المطلب ، فلما نظر الفيل إلى عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجداً . وكان أبرهة قبل ذلك أرسل رجلا من قومه إلى أهل مكة ليدخل الرعب فى قلوبهم ، فلما دخل مكة ورأى عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخرّ مغشياً عليه فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه . فلما أفاق خر ساجداً لعبد المطلب وقال : أشهد أنك سيد قريش حقاً . وكان هذا الرسول قد قال له أبرهة : اسأل عن سيد أهل البلد وشريفهم ثم قل له ان الملك يقول لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت ، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم . فان هو لم يرد حرباً فأتنى به. فدخل فسأل عن سيد أهل البلد وشريفهم =

وَسَيِّدُهُ الإِنْسَانُ يَنْهَكُ حُمْسَةً[1]

بِجَيْشٍ وَمَالٍ يُذْهِبُ اللُّبَّ لُبَّدِ[2]...

٤٨٥ أَقَالَ لَهُمْ عِيسَى عَلَيْكُمْ بِكَعْبَةٍ

بَنَاهَا خَلِيلُ اللهِ فِي ظِلِّ صُخَّدِ[3]؟!

= فقالوا له : عبد المطلب . فقال ما أمره به أبرهة بعد أن أفاق من غشيته فقال عبد المطلب : والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة . هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم ، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه ، وأن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه . ثم ذهب معه إلى أبرهة . فاستأذن الرسول أبرهة وقال : أيها الملك ! هذا سيد قريش يستأذن عليك وهو صاحب عزة مكة ويطعم الناسَ فى السهل والجبل والوحوشَ والطير فى رءوس الجبال . فأذن له أبرهة . وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم . فعظم فى عين أبرهة فأجله وأكرمه وكره أن يجلس تحته وأن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه ، فنزل عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه إلى جنبه . ثم قال لترجمانه : قل له ما حاجتك؟ فقال له : حاجتى أن يرد الملك علىَّ مائتى بعير أصابها .. فقال لترجمانه : قل له كنت أعجبتنى حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك . أتكلمنى فى مائتى بعير وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه؟ . فقال عبد المطلب : إنى أنا رب الإبل ، وإن للبيت رباً سيمنعه . ! قال : ما كان يمتنع منى . . قال : أنت وذاك !

(١) نهك كمنع : غلب أو بالغ فى الإهانة . والحمسة : الحرمة .

(٢) مال لُبَّد : لُبَد أى كثير . فان أبرهة استخدم ماله فى شراء الضمائر حتى وصل إلى حرم مكة .

(٣) الصخد : أراد بها الجبال التى تحف بمكة لأن الشمس الشديدة تصخِّدها أى تحرقها .

وَهَـــلْ كَانَ عِيسَى فِي النَّبِيِّينَ قَائِلاً

بِغَــيْرِ بَلاَغٍ مِنْ بِشَارَةِ أَحْمَدِ[١] !

وَقَدْ شَهِدَ الأَحْبَارُ أَنَّ مُحَمَّداً

سَيَبْلُجُ مِنْ بَيْتٍ لِذَا اليَوْمِ مُفْرَدِ

رَفَا[٢] العِيسَ بِرًّا شَيْبَةُ الحَمْدِ سَاعَةً

وَقَلَّدَهَا الأَجْلاَدَ فِي المُتَـــلَدَّدِ[٣]

وَأَشْعَـــرَهَا هَدْياً لِبَيْتٍ وَمَنْسِكٍ

فَظَلَّتْ لَدَي أَفْيَائِهِ لَمْ تُفَــدْفِدِ[٤]

٤٩٠ وَفِي رَازِقِيٍّ[٥] سَارَ يَبْغِي عَشِيرَهُ

قُرَيْشًا وَنَفْحُ[٦] الرِّيحِ فِي أَوْجِ قَرْدَدِ

---

(١) يشير الشاعر إلى قوله تعالى : « ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » .

(٢) رفا العيس : سكّنها من الرعب . وهى الإبل التى استعادها من أبرهة .

(٣) قلدها جعل فى اعناقها قطعاً من الجلد ونحوه ليعلم أنها هدى إلى الكعبة فيكف الناس عنها . والأجلاد جمع جلد كجلود: والمُتَلَدّد: العنق .

(٤) لم تفدفد : لم تعْدُ هاربة من سبع أو نحوه .

(٥) الرازقى : ثوب أبيض .

(٦) قال الأصمعى : ما كان من الرياح له لفح فهو حرّ ، وما كان له نفح فهو برد . والقردد من الشتاء : شدته وحدته .

فَنَبَّأَهُمْ ما كَانَ مِنْ أَمْرِ قِتْلِهِمْ[١]

وَفِي صَوْتِهِ الجَيَّاشِ بُحَّةُ كَوْهَدِ[٢]

بِرُوحِي قُرَيْشٌ ! نالَهَا الحُقْرُ[٣] يَوْمَهَا

وَمَنْ يَلْقَ مَالاَ حِيلَةٌ فِيهِ يَنْأَدِ[٤]...

إِذَا نَفَزَتْ[٥] حُدْثَى فَلِلأَيْسِ بَأْسُهُ

وَتُلْفِي أَشَدَّ النَّاسِ كَالمُتَلَدِّدِ[٦]

تَأَيَّسَتِ[٧] الأَصْوَاتُ كَادَتْ تَخُونُهُمْ

وَزَالَتْ دِرَاكاً حِدَّةُ المُتَلَفِّدِ[٨]

---

(١) القِتل : العدو والمقاتل .

(٢) الكوهد : المرتعش كبراً . فقد كان عبد المطلب إذ ذاك فى شيخوخته المعمرة .

(٣) الحقر : الذلة .

(٤) ينأد بمعنى ينثنى ويعوج من عدم التحمل .

(٥) نفزت : وثبت . والحدثى كالحادثة والحدثان . والأيس : القهر . وبأسه أي عذابه .

(٦) المتلدِّد : المتحير فى تبلّد والمتلفت يميناً وشمالا .

(٧) تأيست : لانت :

(٨) المتلفد : المتغيظ .

٤٩٥ وَشَيْبَةُ أَفْضَى بِالدُّعَاءِ(١) الَّذِي دَعَوْا

فَذَابَ لِدَمْعِ الشَّيْبِ أَكْبَادُ جَلْمَدِ..

وَسَارَ بِهِمْ فِي الشِّعْبِ مِنْ حَوْلِ مَكَّةٍ

حِفَاظًا عَلَيْهِمْ مِنْ مَعَرَّةِ مُعْتَدِ

***

حَنَانَكَ يَا رَبِّي ... أَتَقْضِي صُبَابَةٌ(٢)

مِنَ الْبَيْتِ لَمْ تَظْفَرْ بِنَعْشٍ وَمَشْهَدِ!

وَأَيْنَ قِوَامُ(٣) الْعُرْبِ مِنْ كُلِّ إِمَّرٍ

وَمِنْ كُلِّ أَزْدٍ(٤) مَاحِقِ اللَّدْمِ فُرْهُدِ؟

وَأَيْنَ قُرَيْشُ الطِّرْفِ(٥) بِيزَانُ مَكَّةٍ

وَنَافِجَةُ(٦) الأَعْرَاقِ فِي رَكْبِ مُتْلِدِ؟

---

(١) أراد الأبيات المعروفة التى دعا بها ربه أن يحفظ بيته .

(٢) الصبابة : البقية فى الإناء من الماء وغيره .

(٣) القوام : المقاومة . والإِمَّرُ : معتاد الأمر والنهى أو كثيرهما .

(٤) الأزد : لغة فى الأسد . واللدم : الضرب بشىء ثقيل يسمع صوته . والفُرْهُدُ هنا الحادر الغليظ .

(٥) الطرف : الكريم من الخيل . والبيزان : جمع باز وهو الصقر .

(٦) النافجة : العرف والرائحة الذكية . وهى أيضاً وعاء المسك والجلدة التى يحفظ فيها . والعرق وجمعه الأعراق : كل مصطفٍ من خيل وغيرها . وأتلد فهو متلد : اتخذ تلاداً من المال .

٥٠٠ وَزَافِرَةٌ[١] تَأتِي عُكَاظًا بِفَخْرِهَا
فَتُطْنِبُ مَا شَاءَتْ بِمَأْثُورِ مُنْشَدِ

وَتَحْمِشُ[٢] هِيمَ العِيسِ فِي لُمَّةِ الوَغَى
لِمَكْرُمَةٍ لَمْ تُدَّكَرْ عَنْ مُمَجَّدِ

بَلَى وَفُتُوٌّ[٣] فِي وِهَادٍ بَعِيدَةٍ
يَتِيهُونَ بِالمِقْحَادِ مِنْ مَاءِ مُقْحِدِ[٤]

ذَوُو قُضُبٍ حُمْرٍ وَبِيضٍ بَوَاتِرٍ
إِذَا جُرِّدَتْ حَبَّتْ[٥] لِبَاسَ التَّجَرُّدِ

لَهُمْ نَسَبٌ فِي البَيْتِ بَاءُوهُ خِيفَةً
وَلَاهُوا[٦] بِلَاءً مِنْ عَنًى أَوْ تَبَلُّدِ

---

(١) الزَّافِرة : العشيرة والجماعة .

(٢) تحمش: تسوق بغضب . وهيم العيس . عطاشها . واللُّمَّة : الأصحاب في السفر .

(٣) فتو : جمع فتى .

(٤) المِقحاد : الناقة العظيمة السَّنام .وأقحد الفحل فهو مقحد : عظم سنامه ومن ماء مقحد أى من صلبه .

(٥) حبت : أحبت .

(٦) لاهوا : تستروا وتغطوا . والبلاء : ما تحدث به نفسك من الهم . والعنى: الخضوع والحبس والأسر .

٥٠٥ فيارَبِّ إنَّ العُرْبَ فُلَّتْ قُوُوسُهُمْ[١]

وَذلُّوا ... فَمَنْ يُغْنِى بِبَيْتٍ مُهَدَّدِ ؟

وَلاهُمَّ[٢] ! هَلْ مِنْ آيَةٍ مِنْكَ أَوْ يَدٍ

تُمَدُّ إلَى هَـــذَا العَزِيزِ المُوَسَّدِ !

رُوَيْدَكَ لا تَأْخُـــذْ قُرَيْشًا بِذَنْبِهَا

فَإِنَّ لَهـــا يَوْمًا سَتَهْدِى وَتَهْتَدِى

وَتَيْدَكَ[٣] إِنَّ الذِّكْرَ مِنْ قَبْلُ قَائِلٌ

بِمَوْلِدِ « مَحْمُودٍ » وَبُشْرَى « مُحَمَّدِ »[٤] ...

فَصُنْ بَيْتَكَ المَعْمُورَ مِنْ بَغْيِ هِبْلَعٍ[٥]

وَإلَّا تَــكُنْ دَهْيَاءَ فِى مَشْرِقِ الغَدِ !

***

---

(١) قووس : جمع قوس .

(٢) لاهم مثل اللهم .

(٣) التيد : الرِّفق : يقال تيدك أى اتئد .

(٤) محمود اسم المصطفى صلى الله عليه وسلم فى السماء . وإشارة الشاعر إلى ما ورد فى القرآن الكريم من ذكر اسمه عليه الصلاة والسلام فى الإنجيل الصحيح قبل نسيانه وتحريفه على أنه سيبعث بعد عيسى عليه السلام نبياً .

(٥) الهبلع : الواسع البطن الشره . وهو أبرهة .

٥١٠ أرى كِسَفًا سُوداً سُخَاخِينَةَ[١] الحَشَى

تُذَادُ ذِيَادًا فِي فَضَاءٍ مُجَــرَّدِ...

هَلاَ مَثْلَةً[٢] ! إِنِّي أَرَى الطَّيْرَ فَوْقَهَا

أَبَابِيــلَ[٣] شَقَّتْ سَمْتَهَا شَقَّ مِطْرَدِ

مَنَاقِيرُهَا حُمْرٌ وَفِيهــاَ وَدَائِعٌ

تَسَاقَطُ أَشْيَاوَاتُهــــاَ[٤] فِي تَوَقُّدِ

فَلَمَّا رَآهَا الحُبْشُ دِيثَتْ[٥] قُلُوبُهُمْ

وَزُلْزِلَتِ الأَفْيَالُ مِنْ غَــيْرِ مِقْوَدِ

---

(١) سُخاخين على فُعاعيل : حارّ .

(٢) المثلة : العقوبة . وتضم الثاء . وهلا حرف استعجال وحث مع استفهام

(٣) الطير الأبابيل علمها عند الله . وقال الأخفش : يقال جاءت إبلك أبابيل أي فِرقاً . وطير أبابيل قال : وهذا يجيء في معنى التكثير . وهو من الجمع الذي لا واحد له . وقال بعضهم واحده إبّول مثل عِجّول . وقيل واحده إِبِّيل . قال ولم أجد العرب تعرف له واحداً . وقال الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي رحمه الله : نظيره وزناً ومعنى طير أبابيد ونظيره وزناً فقط عبابيد وعباديد وهم الفرق من الناس . قال سيبويه لا واحد له .. والمطرد : الرمح لأنه يطرد به العدو .

(٤) أشياوات كأشياء جمع شيء .

(٥) ديثت : ذلت .

فَرَاحَتْ تَدُوسُ الَقوْمَ ضِبًّا[1] وَنِقْمَةً

وَتَبْطِشُ بِالْجَيْشِ الْكَثِيفِ الْمُسَرَّدِ[2]

٥١٥ وَأَسْقِطَتِ الشُّهْبَانُ[3] وَيْبًا عَلَى الْعِدَى

فَمَا أَحَــــدٌ إِلاَّ أُصِيبَ بِسَمْهَدِ[4]

يُحَطِّمُ رَأْسًـــا ثُمَّ يُورِى تَلَهُّبًا

فَتَحْتَرِقُ الأَجْسَادُ فِى مِثْـــلِ مَوْقِدِ

وَبَعْـــدَ قَلِيلٍ هَبَّتِ الرِّيحُ حَاصِبًا

وَطَارَتْ بِعَصْفٍ[5] مِنْ ضُلُوعٍ وَأَعْضُدِ

وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ الأَبِيلَ تَكَأْكَأَتْ

لِتأْكُلَهُ فِى كُلِّ رِمْثٍ[6] وَمِرْبَدِ!

---

(١) الضب : الحقد .

(٢) المسرد : الكثير الثقوب . وصف الجيش بأنه مسرد لكثرة ما أحدثت فيه الفيلة الهائجة من فجوات .

(٣) الشهبان : جمع شهاب ، وهى شعلة نار ساطعة . وويب : كلمة مثل ويل .

(٤) السمهد : الشيء اليابس الصلب .

(٥) قال الحسن فى قوله تعالى : « كعصف مأكول » : كزرع قد أكل حبه وبقى تبنه .

(٦) الرِّمث : مرعى من مراعى الإبل ينبت فى السهل . وهو من الحمض . والمربد : موقف الإبل .

إعادة بناء الكعبة

وَذَكِّرْ بِتَهْمَامِ الحِمَى إذْ تَجَمَّعَتْ
قُرَيْشٌ بِأَطْلَالِ البِنَاءِ المُسَنَّــــدِ

٥٢٠ غَدَاةَ أَتَاهُ السَّيْلُ كَالبَحْرِ عَارِمًا
بِـكُلِّ عَنِيــدٍ جَاشَ فِي غَرْزٍ[1] عُنَّدِ

لَقَدْ وَجِلُوا أَنْ يَذْهَبَ البَيْتُ عَامَهُ
وَمَنْ غَيْرُهُ نَحْوٌ[2] لِهَدْيٍ مُقَلَّــدِ؟

وَهَلْ ثَمَّ فُتْيَا[3] تَرْتَضِي هَدْمَ كَعْبَةٍ
هِيَ الـكَوْثَرُ المِعْطَاءُ لِلْهَائِمِ الصَّدِي!

---

(١) الغرز : الركاب للجمل .

(٢) النحو : القصد والطريق . والهدى بُدْن — ومفردها بَدَنة — وهى الناقة أو البقرة تنحر بمكة . سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها ويعلقون فى عنقها قلادة أو نحوها ليعلم حال رعيها أو سوقها أنها هدى إلى الكعبة فلا يسرقها أو يؤذيها أحد . ولذلك سميت هدياً مقلداً

(٣) الفتيا كالإفتاء .

بِمُنْفَهِقٍ (١) مِنْ جَائِلِ الفِكْرِ مَحَّصُوا

مَدَى الرَّأْيِ حَتَّى أُبْرِئُوا مِنْ تَرَدُّدِ

فَمَا كَانَ هَدْمُ البَيْتِ ذَحْلاً (٢) وَإِنَّمَا

لِيَسْفِرَ فِي رَتْقٍ (٣) طَرِيفٍ مُجَدَّدِ

٥٢٥ وَفِي اللهِ مَا هَدُّوا وَفِي اللهِ مَا بَنَوْا

وَأَنْعِمْ بِبَيْتٍ قَائِمٍ فِي تَوَطُّدِ

وَصِفْ صَفْوَةَ الأَنْسَابِ لَمَّا تَبَتَّلُوا

إِلَى بَيْتِهِمْ فِي جَيْشَةٍ مِنْ تَهَوُّدِ (٤)

وَكَيْفَ أَحَلُّوا مَالَهُمْ مِنْ مُحَرَّمٍ

وَلَمْ يَذَرُوا فِيهِ سِوَى كِسْبَةِ (٥) اليَدِ

---

(١) المنفهق . الرحيب المفتوح الواسع .

(٢) الذحل بسكون الحاء أو بفتحها : الحقد والضغينة .

(٣) الرتق : ضد الفتق . وهو هنا الترميم .

(٤) الجيشة : ارتفاع الغليان . والتهود : التوبة والعمل الصالح .

(٥) الكسبة : الكسب . فقد ورد أنهم أبعدوا من مالهم الذى جعلوه لبناء الكعبة كل محرم أو مكروه كالربا ومهر البغىّ وما أخذ بظلم الخ الخ .

وَجَاءوا بِصَفْوَانٍ مِنَ النُّحْصِ[1] واشْتَرَوْا

شَرَائِفَ مِنْ سَرْوٍ[2] وَقِطْــرٍ مُجَعَّدِ

فَلَمَّا مَشَوْا لِلْهَدْمِ مَاهَتْ[3] عُيُونُهُمْ

رِثَاءً لِحَسْنَاءِ الْجَمَــالِ الْمُؤَبَّدِ

٥٣٠ يَقُولُونَ: مَهْ[4]! لاَ تُكْثِرِي العَوْلَ إِنَّنَا

سَنَبْنِيكِ فِي نَهْدٍ مِنَ الصَّخْرِ جَيِّدِ

بِمِسْكٍ إِذَا أَحْبَبْتِ أَوْ ذَوْبِ فِضَّةٍ

يُمَكِّنُ عِقْيَانًا إِلَى جَنْبِ قَرْمَـدِ[5]..

وَإِنَّكِ يَا صَرْحَ الْخَلِيــلِ رَجَاؤُنَا

فَلاَ تَهِنِي مِنْ هَدْمِنَا بَلْ تَجَلَّدِي..

---

(١) النحص: أصل الجبل.

(٢) السرو: شجر خشبي طيب الرائحة. ويقال أنهم سمعوا بسفينة غارقة قرب الشاطىء بها خشب لديار الروم فاشتروه.

(٣) ماهت: كثر ماؤها وهو الدمع.

(٤) مهْ: اسم لفعل الأمر. ومعناه اكفف. وهنا كنى. والعول: رفع الصوت بالبكاء. والنهد: المرتفع.

(٥) العقيان: الذهب الخالص. والقرمد: الخزف المطبوخ ونحوه من مواد البناء كالطوب.

وَسَارُوا فُرَادَى يَحْمِلُونَ حِجَارَةً

ضِخَامًا تَبَارَوْا تَحْتَهَا فِي تَشَدُّدِ

وَفِيهِمْ فَتِيٌّ أَكْثَرَ النَّفْلَ وَالْجَدَا[1]

يَقُولُ لَهُ جِبْرِيلُ : يَا صَاحِ أَرْوِدِ[2]...

٥٣٥ هُوَ الْمُصْطَفَى يُبْنَى لَهُ الْبَيْتُ فِي غَدٍ

أَلَاحَ بِوَجْهٍ هَاشِمِيٍّ مُوَرَّدِ

يَسِيرُ وَقَدْ سَحَّ الْبَرَى[3] مِنْ ثِيَابِهِ

بِزَهْوٍ وَكُلُّ النَّاسِ يَمْشُونَ فِي دَدِ[4]...

وَلَمَّا دَنَوْا مِنْ «أَسْوَدِ الْخَيْرِ[5]» كَبَّرُوا

وَهَمُّوا بِهِ فِي طَائِفٍ مِنْ تَمَرُّدِ

فَكُلُّ زَعِيمٍ كَانَ أَضْمَرَ حَمْلَهُ

غَدَاةَ تَدَنَّى[6] نَقْلَهُ فِي تَفَرُّدِ

---

(١) الجدا مقصوراً بالألف : من العطية .

(٢) أروِدْ : سر برفق ودع العجلة .

(٣) البرَى : التراب .

(٤) الددُ : اللهو واللعب . وفي الحديث : «ما أنا مِنْ ددٍ ولا الدَّد مني» .

(٥) هو الحجر الأسود زاده الله شرفاً على شرفه .

(٦) تدنى : دنا قليلا قليلا .

لِيَعْلَمَ أَهْـلُ البَدْوِ أَن لَهُ ذَراً(١)

وَسِعْـراً لَدى أَخْدَانِهِ فِي تَزَيُّدِ(٢)

٥٤٠ وَأَوْشَكَتِ الهَوْشَاتُ(٣) تَبْرِى قِدَاحَهَا

لَدَى سُعُرٍ(٤) فِي بَيْضَةِ القَوْمِ مُفْأَدِ

وَقَرَّبَ عَبْدُ الدَّارِ(٥) لِلْحِلْفِ جَفْنَةً

تَسِيلُ دَماً مِنْ مُصْعَبٍ(٦) ثُمَّ أَجْيَدِ

فَجَاءَتْ عَدِيٌّ(٧) لَيْسَ فِي البُسْلِ مِثْلُهُمْ

بِزَقٍّ(٨) نَجِيعٍ مِنْ بَعِيرٍ مُقَصَّدِ

---

(١) الذَّرا : كل ما استذريت به .

(٢) التزيد فى السعر : الغلاء .

(٣) الهوشات : الفتن والاضطرابات . والقداح : جمع قِدْح وهو السهم قبل أن يُراش ويركب نصله .

(٤) السُّعُرُ : الجُنون . وبيضة القوم : ساحتهم . والمفأدُ : الذى يحرَّك بالمفْأد بكسر الميم وهو عودٌ تحرك به النار لتبقى قوية .

(٥) أراد بنِى عبد الدار .

(٦) المصعب : الفحل يُودع ويُعفى عن الركوب والعمل . وأجْيد أى طويل العنق .

(٧) أى بنى عدى . والبُسْلُ : الشجعان .

(٨) الزِّقُّ : السِّقاء ، والنجيع من الدم ما كان يضرب إلى السواد . وقال الأصمعى : هو دم الخوف خاصة . والبعير المقصد : الذى به سِمَة فى أذنه .

وَمَدُّوا يُدِيًّا[1] فِى الدِّمَاءِ وَأَقْسَمُوا

بِأَلْفِ يَمِينٍ مِنْ إِلَهٍ وَمَحْقِدِ[2]

هِىَ الْحَرْبُ .. كَادَتْ تَجْعَلُ الْبَيْتَ لُجَّةً

مِنَ الشَّفَقِ الْقَانِى[3] وَصَفْحَةَ مَدْمَدِ !

٥٤٥ عَلَى أَنَّ شَيْخًا[4] مِنْهُمُ كَانَ مِدْرَهًا

أَتَاهُمْ بِتَحْكِيمٍ نَزَا[5] مِنْ عَطْوَدِ

أَنِ ارْتَقِبُوا مَنْ لَاحَ مِنْ بَابِ شَيْبَةٍ[6]

وَيُلْزِمُ مَا يُوصِى بِهِ كُلَّ صِنْدِدِ[7]

تَعَلَّقَتِ الأَبْصَارُ بِالْبَـــابِ سَاعَةً

وَقَامَتْ قُرَيْشٌ مِنْ لُيُوثٍ وَأَفْهُدِ

---

(١) يدى : جمع يد . وقد سمى الذين فعلوا ذلك بلعقة الدم .

(٢) المحقد : المحتد .

(٣) أراد بالشفق القانى لون الدم . والمدمد : النهر .

(٤) هو أبو أمية بن المغيرة واسمه حذيفة أسن قريش كلها عندئذ . وهو والد أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها . وكان يعرف بزاد الراكب لأنه كان إذا سافر لا يتزود معه أحد .

(٥) نزا : وثب . والعطود من الرجال : النجيب .

(٦) هو باب بنى شيبة أحد أبواب المسجد الحرام . وكان يسمى فى الجاهلية بباب بنى عبد شمس . وهو الآن باب السلام .

(٧) الصندد : السيد الشجاع والجواد الشريف .

لِتَعْلَمَ مِنْ أَمْرِ الَّذِى سَوْفَ يُرْتَضى

وَتُنْفِــذَ مَا يَقْضِى بِوِصْرٍ[1] مُشَدَّدِ

تَأَلَّقَ عِنْدَ البَابِ رَجْوُ[2] قَبِيــلِهِ

« مُحَمَّدُ » فِى مَحْضِ العَلاَءِ الصَّمَّخْدَدِ[3]

٥٥٠ يَخُبُّ[4] إِلَى البَيْتِ الحَرَامِ ضُحَاءَهُ

لِيَقْعُدَ فِيهِ سَاعَةً عِنْــدَ مَعْكِدِ[5]

تَنَادَوْا : أَمِينٌ قَدْ رَضِينَا بِحُــكْمِهِ

وَقَصُّوا عَلَيْــهِ أَمْرَهُمْ فِى تَوَعُّدِ

فَقَالَ : رُوَيْدًا .. ذَا رِدَائِى وَإِنَّنِى

سَأَحْمِلُ هَذَا الفَرْقَدَ الحِبَّ[6] فِى يَدِى

فَأَجْعَلُهُ وَسْطَ الرِّدَاءِ مُبَجَّــلاً

وَكُلُّــكُمُ يَسْعَي بِهِ فِى تَوَدُّدِ

---

(١) الوصر : الصك وكتاب العهدة .

(٢) الرجو : الرجاء .

(٣) الصمخدد : الخالص . وأنت فى صمخدد قومك أى صميمهم .

(٤) يخب : يسير سيراً سريعاً بخطو فسيح . ومنه خباب بن الأرت من المهاجرين الأولين .

(٥) المعكد : الملجأ . أراد الكعبة ملجأه من عالم الكفر والوثنية .

(٦) الحب كالحبيب .

وَهَذاكَ[1] أَوْلَى مِنْ قِتَالٍ وَفِتْنَةٍ
وَأَرْجَحُ مِنْ هَيْجَاءَ تُحْمَى لِمَوْعِـــدِ

ظُهُورُ الإِسْلامِ وَتحطِيمُ الأَصْنَامِ

٥٥٥ وَلَمَّا أَرَادَ اللهُ إِحْيَاءَ دِينِـــهِ
تَنَزَّلَ فُرْقَانٌ عَلَى قَلْبِ أَحْمَدِ

نَبِيِّ الوَرَى طَهَ القُرَيْشِيِّ مُحْتِـــدًا
وَسَيِّدِ أَهْلِ الأَرْضِ مِنْ سِبْطِ سَيِّدِ

وَقَسْوَرَةِ البَيْتِ الَّذِى صَـــانَ رَبُّهُ
لِيُظْهِرَهُ فِى زِينَـــةٍ مِنْ تَوَحُّدِ[2]

حَشَدْتُ لَهُ مِنْ كُلِّ نَعْتٍ وَمِدْحَةٍ
فَكُنْتُ كَسَهْمٍ فِى يَدِ الوَكْسِ[3] مُصْرَدِ

---

(١) تدخل « ها » على ذاك فتقول هذاك ولا تدخل على ذلك ولا على أولئك وتلك .

(٢) أى من تفرُّد بعدما شاركته الأصنام فى حقه دهراً طويلا .

(٣) الوكس : النقص وعدم المقدرة . والسهم المصرد هو المخطىء .

وَلَوْ أَنَّنِي عَبَّأْتُ مِنْ قُسَّ كَشْحَهُ[1]

وَلَحْنًا لِكِرْوَانٍ حِسَانَ التَّغَرُّدِ

٥٦٠ وَسُقْتُ صَفِيرَ[2] النَّسْرِ فِي القَهْبِ ضَاحِيًا

وَعَنْدَلَةً[3] مِنْ عَنْدَلِيبٍ مُفَرِّدِ

وَتَرْجِيعَ مِزْمَارٍ لِرَاعٍ مُتَيَّمٍ

تَوَحَّدَ فِي جَنْبٍ[4] مِنَ الطَّوْدِ أَبْرَدِ

وَتَكْلِيمَ مُوسَى فِي طُوًى عِنْدَ عَوْسَجٍ

تَلَهَّبَ إِرْهَاصًا لَدَى سَفْحِ قَرْدَدِ[5]

وَطُوفَانَ نُوحٍ يَغْمُرُ القَاعَ وَالزُّبَى[6]

وَيَسْخَرُ مِنْ نَوْصِ[7] الأَنَامِ المُعَرِّدِ

---

(١) هو قس بن ساعدة الأيادي أخطب خطباء العرب فى جاهليتهم والكشح ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف. والمقصود أواسط خطبه لما اشتهرت به من البلاغة.

(٢) الصفير: صوت النسر. والقهب: الجبل العظيم مع الطول.

(٣) العندلة: صوت العندليب. وفرّد فهو مفرد: اعتزل الناس.

(٤) الجنب والجَنَبة: الناحية. وأبرد أى ذو بَرَد.

(٥) الإرهاص هو الإيذان والإعلام بنبوة أحد الأنبياء. والقردد: جبل أو ما ارتفع من الأرض.

(٦) الزبى: الرُّبى لا يعلوها الماء.

(٧) النوص: التأخر والفرار. والمعرد: الفارّ.

وَحَـــوْزَ[1] سُلَيْمانٍ وَمُنْزَلَ آدَمٍ

إلى الأَرْضِ مِنْ عَيْشٍ لَدَى الْخُلْدِ قُرْهُدِ[2]

٥٦٥ وَكُلَّ وَحِيٍّ[3] ثاقِبٍ فِى دُجُنَّـــةٍ

دَهَا صَعَرَ[4] الشَّيْطَانِ فِى وَفْزِ مُبْرِدِ

وَكُلَّ مَهَاهٍ[5] أَتْرَعَ الْخَفْضَ كَوْثَرًا

وَأَوْسَعَ مِنْ عَيْشٍ ضَنِينٍ حَقَلَّدِ[6]

لَمَا قُلْتُ إِنِّى قَدْ مَدَحْتُ مُحَمَّـــداً

بِمُنْجَرِدٍ مِنْ مِقْـــوَلٍ أَوْ عَرَنْدَدِ[7]

دَعَوْهُ أَمِينًا عِنْدَمَا كَانَ يَافِعاً

وَأَوْلَوْهُ مِنْ بَطْحَائِهِمْ صَرْحَ أَمْجَدِ

---

(١) الحوز : الجمع . أى كل ما جمع سليمان عليه السلام من زينة الدنيا .

(٢) القرهد : التارّ الناعم الرَّخْص .

(٣) وحِىّ : سريع . يريد النجم أو الشهاب إذا هوى .

(٤) الصعر : المَيَـل فى الخد من الكِبْر . والوفز : العجلة . والمبرد هنا : صاحب البريد وعامله .

(٥) المهاهُ : الطراوة والحسن . والخفض : الدعة

(٦) الحقلد : الضيق البخيل والضعيف .

(٧) المنجرد : المنسحق اللين . والعرندد : الصُّلب .

وَلَمَّا اصْطَفَاهُ اللّٰهُ بِالذِّكْرِ وَالْهُدَى

وَصَلْصَلَتِ[1] الآيَاتُ فِي صَدْرِ مُخْلِدِ

٥٧٠ دَعَا قَوْمَهُ أَنْ يَعْبُدُوا اللّٰهَ وَاحِداً

وَلاَ يَعْبُدُوا مِنْ مُحْدَثٍ أَوْ مُجَسَّدِ

وَأَوْقَعَ بِكُلِّ الهَدْمِ فِي كُلِّ مَعْبَدِ

كَمَا سَحَقَ الأَوْثَانَ مِنْ كُلِّ سُحْدُدِ[2]

عَلَى صُوَرِ الإِيسَانِ[3] كَانَتْ وَغَيْرِهِ

تَنَظَّمُ عِمْلاَقاً بِجَانِبِ حَدْرَدِ[4]

وَمِنْ سِيَرَاءٍ[5] أَوْ دِمَقْسٍ ثِيَابُهَا

وَأَرْجُلُهَا مَطْمُورَةٌ تَحْتَ قَرْدِ[6]

وَسِيلَةُ[7] شَيْطَانٍ وَمَعْلَمُ كَافِرٍ

وَكَاهِنَةٍ فِي تُرْفَةِ العَيْشِ جَلْعَدِ[8]

---

(١) صلصلت : رجعت صوتها .

(٢) السحدد : الشديد المارد .

(٣) الإيسان : لغة فى الإنسان . (٤) الحدرد : القصير :

(٥) السيراء : ثوب من حرير فيه خطوط .

(٦) القرد : قطع الصوف ونحوه .

(٧) الوسيلة : المنزلة . ومعلم الشيء : مظنته .

(٨) الترفه : النعمة والطعام الطيب . والجلعد : المسنة من النساء .

٥٧٥ وَوَحْىُ فَسِيدٍ[١] مِنْ عُقُولٍ وَلَازِبٍ

بِشِرَّةِ[٢] شَعْبٍ جَاهِـــــلٍ مُتَقَدِّدِ

رَثَيْتُ لِمَنْ يَعْنُـــو لِصَخْرٍ مُجَسَّمٍ

وَيَعْبُــدُ تِمْثَالاً لَبِيداً كَقُمْهُدِ[٣]!

إِذَا نَظَرَ الإِنْسَانُ فِى الْـكَوْنِ سَاعَةً

رَأَى اللهَ فِى سَمْتٍ مِنَ الْمَجْدِ أَوْحَدِ

يُصَوِّرُ مَأْداً[٤] مِنْ حَيَاةٍ وَجَلْمَدًا

وَيُوسِـعُ فَوْدَ[٥] الرِّزْقِ لِلْمُتَفَقِّـــدِ

فَلِلطَّيْرِ فِى الْأَفْنَانِ مَاجِدُ[٦] أُكْلِهَا

وَلِلْوَحْشِ فِى الْغَابَاتِ مِنْ كُلِّ مُقْمِدِ[٧]

---

(١) الفسيد : الفاسد . ولازب أى لاصق .

(٢) الشرة : النشاط . وتقددوا أى صاروا طرائق قدداً هوى كل واحد على حدة .

(٣) لبيد : فعيل بمعنى فاعل . والقمهد : المقيم الذى لا يبرح .

(٤) المأد : الناعم من كل شىء .

(٥) الفود هنا : الناحية .

(٦) الماجد : الكثير الوافر . والأكل بالضم : التمر والرزق والحظ من الدنيا .

(٧) أقمد فهو مقمد : طمح بعنقه .

٥٨٠ وَلِلْحَشَرَاتِ الرَّاتِعَاتِ بِأَبْرَقٍ[١]

وَفِي فَلَقٍ مُسْتَحْكِمِ الهَيْفِ[٢] مُؤْصَدِ

وَتَجْرِي بِهِ الأَفْلَاكُ نُورًا وَظُلْمَةً

فَفِي النُّورِ سَعْيٌ وَالظَّلَامُ لِرُقَّدِ

وَثَمَّ إِمِدَّانٌ[٣] وَعَذْبٌ وَمَاطِرٌ

يَسُحُّ عَلَى رَطْبٍ مِنَ النَّبْتِ مُمْأَدِ[٤]

فَكَيْفَ يَضِلُّ النَّاسُ عَنْهُ لِيَعْبُدُوا

مَضَلَّةَ تِمْثَالٍ بِثَوْبٍ مُقَدَّدِ[٥] ؟!

فَدَيْتُ رَسُولَ اللهِ إِذْ جَاءَ فَاتِحًا

كَمَا فَلَقَ الإِصْبَاحَ إِشْرَاقُ صَيْخَدِ[٦]

٥٨٥ يُحَطِّمُ مِنْ أَصْنَامِهِمْ كُلَّ تَانِئٍ[٧]

وَكُلَّ مُطِلٍّ مِنْ صَلَا[٨] البَيْتِ مُلْبِدِ

---

(١) الأبرق : كل غلظ فيه حجارة ورمل وطين .

(٢) الفلق هنا : الشق من الجبل . والهيف : شدة العطش .

(٣) الإمدّان : الماء الملح .

(٤) ممأد : مرتو قد جرى فيه الماء واهتز .

(٥) الثوب المقدد : الخلق .

(٦) فاتحاً أى عندما زحف لفتح مكة عام الفتح . والصيخد عين الشمس .

(٧) التانىء : القاطن . (٨) الصلا : وسط الظهر .

ثلاثَ مِئينٍ[1] ثمَّ سِتِّين بـكَّهَا
أقامتْ قرُونًا فِي عُـــلاً مُتفوِّدِ[2]

بأوْجُـــهِ شَرٍّ[3] مِنْ رِجَالٍ وَشَرَّةٍ
وَبسْمَةِ شيْطانٍ خَبيثِ التَّجَسُّـــدِ

وَمِنْ جِهَةِ البابِ الَّذِي شــادَ تُبَّعُ
رَأى صَنَمًا مِثْلَ البَــلاءِ المُـكوَّدِ[4] ..

رَأى هُبَلاً وَالـكَرْدُ[5] مِنْهُ مُطوَّلٌ
وَزيَّنَتْهُ فِي شَعْــــرِهِ المُتَقَرِّدِ[6]

---

(١) عن ابن عباس رضى الله عنهما : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلثمائة وستون صنما لكل حيٍّ من أحياء العرب صنم قد شدت أقدامها بالرصاص . فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه قضيب، فجعل يهوى به إلى كل صنم منها فيخر لوجهه — وفى لفظ لقفاه — يقول : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . حتى مر عليها كلها . وبكها أى فرقها وفسخها ودقها .

(٢) تفود فوق الجبل فهو متفود : أشرف .

(٣) الشر : الشرير فى قول يونس . والشرة : الشريرة .

(٤) المكود : المجموع والمجعول كثْبَة واحدة .

(٥) الكرد : العنق وأصلها .

(٦) الشعر المتقرد : المتجعد .

٥٩٠ فأَوْسَعَهُ طَعْنًا فَعَيْنَاهُ بُلْقَــةٌ(١)

وَسَائِرُهُ مِثْلُ البَعِــيرِ المُقَرَّدِ(٢) !

وَقَالَ أَلاَ دكُّوهُ دَكًّا بِكُفْرِهِمْ(٣)

فَدُكَّ بِأَلْفٍ مِنْ فُؤُوسٍ وَمِلْـكَدِ(٤)

وَإِذْ هَدَنَ(٥) اللَّيْــلُ البَهِيمُ ظَلاَمُهُ

وَأَلَّقَ مِنْ أَنْجَامِهِ عِنْــدَ أَسْعُدِ(٦)

مَشَى المُصْطَفَى حَتَّى أَتَى البَيْتَ مُدْلِجًا

وَمِنْ خَلْفِــهِ يَسْعَى عَلِيٌّ كَمُسْعِدِ(٧)

---

(١) البلقة كالبَلَق سواد فى بياض .

(٢) المقرد : الذى انتزع منه قرادة ، وكما أن القراد يترك فى الجسم آثاراً كالجروح . فقد ترك الطعن آثاراً فى هبل .

(٣) ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر به بعد ذلك فكسر . وكان يقول : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . فقال الزبير بن العوام رضى الله عنه لأبى سفيان : قد كسر هبل . . أما إنك قد كنت فى يوم أحد فى غرور حين تزعم أنه قد أنعم . . فقال أبو سفيان : دع هذا عنك يا ابن العوام ، فقد أرى لو كان مع إله محمد صلى الله عليه وسلم غيره لكان غير ما كان !

(٤) الملكد : شبه مدق يدق به .

(٥) هدن : سكن .

(٦) الأسعد : اسم لبرج الحمل .

(٧) المسعِد هنا : المعاون .

وَأَوْقَفَهُ مِنْ فَوْقِهِ وَهْـوَ صَامِدٌ

فَيَا لَعَلِيٍّ فَوْقَ جِرْمِ[1] مُحَمَّـدِا

٥٩٥ يَقُولُ لَهُ : « لَمْ يَبْقَ إِلاَّ كَبِيرُهُمْ

فَأَلْقِــهْ[2] إِذَا أَلْفَيْتَهُ غَيْرَ مُوتَدِ »

---

(١) الجرم : الجسد . والسياق عن علي كرم الله وجهه قال : انطلق بي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا حتى أتى الكعبة . فقال اجلس . فجلست إلى جنب الكعبة . فصعد صلى الله عليه وسلم على منكبي ثم قال انهض فنهضت . فلما رأى ضعفي عنه قال اجلس . فجلست . ثم قال صلى الله عليه وسلم : يا علي . . اصعد على منكبي . . ففعلت . . وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي : اصعد على منكبي واهدم الصنم . فقال : يا رسول الله ! اصعد أنت فاني أكرمك أن أعلوك . فقال : إنك لا تستطيع حمل ثقل النبوة . . فاصعد أنت . فجلس النبي صلى الله عليه وسلم فصعد علي كرم الله وجهه على كاهله ثم نهض به . . قال علي : فلما نهض بي فصعدت فوق ظهر الكعبة خيل لي أني لو شئت لنلت أفق السماء . . وفي رواية انه قال : كان حالي أني لو شئت أن أتناول الثريا لفعلت . .

(٢) أي فألقه . والرواية أنه عند صعوده قال له صلى الله عليه وسلم : ألق صنمهم الأكبر — وكان من نحاس وقيل من قوارير أي زجاج . وفي رواية : لما ألقى الأصنام لم يبق إلا صنم خزاعة موتداً بأوتاد من حديد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عالجه . فعالجته وهو يقول : إيه إيه . . جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه فقذفته فتكسر .

وَيَهْتِفُ : « جاءَ الْحَقُّ ! » شُكْراً وَإِنَّهَا

تُرَجِّعُ مِنْ أَصْدَائِهَا عِنْـــدَ تَقْتُدِ[1] ...

فَنَارَتْ نِيَاراً[2] غُرَّةُ الْبَيْتِ يَوْمَهَا

وَقَدْ بَرِئَتْ مِنْ سُخْفِ هَـــذَا التَّعَدُّدِ

وَفِي عَمَهٍ[3] كَانُوا عَلَى الْبَيْتِ صَوَّرُوا

نَبِيئِينَ مِنْ فَوْقِ الْمَشِيـــدِ الْمُمَرَّدِ[4]

بِأَحْمَرَ مِنْ صِبْغٍ وَأَصْفَرَ فَاقِعٍ

وَأُرْخِيَّـــةٍ[5] تَحْـكِي رَخَاوَةَ أَقْفَدِ

٦٠٠ بِأَيْدِيهِمُ الأَزْلَامُ[6] - يَا وَيْحَ جَهْلِهِمْ !

وَوَقْفَتُهُمْ فِي النَّاسِ وَقْفَةُ أَمْـــلَدِ[7]

---

(١) تقتد : قرية بالحجاز أو ركية .

(٢) نارت نياراً : أضاءت إضاءة .

(٣) العمهُ : انعدام الرأى .

(٤) الممرد هنا : الذى جعل أملس مستوياً .

(٥) الأرخية : ما أرخى من شىء . والأقفد : مسترخى العنق أو غليظه ومن يمشى على صدور قدميه من قبل الأصابع ولا تبلغ عقباه الأرض .

(٦) الأزلام : السهام التى كان أهل الجاهلية يستقسمون بها .

(٧) الأملد من الناس : اللين الناعم .

فهذاك إبْراهيمُ تـلْوَ ذبيحِهِ
وثمّة إسماعيـلُ كالمتألِّدِ[1]

ومريمُ في فرْعٍ[2] من اللّيلِ فاحِمٍ
وعيسى لدى أعتابهـا كالمفلهدِ[3]...

وموسى بمهْدٍ[4] والجهـامُ يظلُّهُ
وإسحٰقُ في صفحٍ[5] من البيْتِ مفردِ

فألقى رسـولُ اللهِ أمراً بمحْوِها
إلى عمـرٍ - طوبى لهُ في التّمهُّدِ[6]...

٦٠٥ كطوْدٍ من الإيمانِ يمشي وظِـلُّهُ
كأزْدٍ[7] من الآسادِ في الغيلِ ممْعدِ

---

(١) ثمت أدخل عليها التاء كإدخالهم إياها على ثمَّ . والمتألد : المتحير .
(٢) الفرع : الشعر التام الذى لم يداعبه المقص بالتقصير .
(٣) المفلهد : الغلام الحادر السمين راهق الحُلم .
(٤) المهد : النشَزُ من الأرض أو ما انخفض منها فى سهولة واستواء . والجهام : السحاب لا ماء فيه .
(٥) الصَّفح : الناحية . ومفرد : منفرد .
(٦) التمهد : التمكن تسميةً بالمصدر .
(٧) الأزد : لغة فى الأسد . والغيل : الأجمة . وممعد : يجذب العدو جذباً . وقد محا عمر رضى الله عنه الصور ، وترك صورة إبراهيم عليه السلام . فقال صلى الله عليه وسلم : ياعمر ! ألم آمرك ألا تترك فيها صورة ؟ قاتلهم الله حيث جعلوه شيخاً يستقسم بالأزلام . . (ما كانَ إبراهيمُ يهُودياً ولاَ نصْرانياً ولكِنْ كانَ حنِيفاً مُسلماً ومَا كانَ مِن المُشركينَ) .

تحويل القبلة

لِقِبْلَةِ دِينِ اللهِ خَبْءُ فَصَاحَتِى
وَمَا هَدَرٌ مَا قِيلَ فِى نَعْتِ مُمْجَدِ [(١)]

وَأَرْجُو بِهَا طِبْعاً [(٢)] لَدَى الخُلْدِ حَالِياً
فَقَدْ مَرَّ [(٣)] مِنْ دُنْيَاىَ عَيْشُ المُمَدَّدِ

تَمَاجَدْتُ [(٤)] لَمَّا صُغْتُ فِيهَا وَلَمْ أَزَلْ
أَصُوغُ حَدِيثَ الشَّاعِرِ المُتَمَهِّدِ [(٥)]

وَفِى جَهْمَةٍ [(٦)] وَاللَّيْلُ بِالصُّبْحِ حَالِمٌ
بَكَيْتُ . وَمَنْ يَسْهَدْ مِنَ الحُبِّ يَكْبَدِ [(٧)] . .

---

(١) أمجده فهو ممجد مثل مجَّده .
(٢) أى أرجو بمدحها ووصفها وتكريمها . والطبع : النهر الكبير .
(٣) مَرَّ : صار مُرّاً . والمُمدَّدُ : الذى يمدده غيره أى يماطله .
(٤) تماجدت : ذكرتُ مجدى .
(٥) المتمهِّدُ : المتمكن .
(٦) الجهْمةُ : أول تآخير الليل أو بقية سوادٍ من آخره . ويضم .
(٧) يكْبد : يألم .

٦١٠ وَإِنِّى لَمُمْتَادٌ[١] رِضَاهَـــا وَعَفْوَهَا

بِذِلَّةِ شَيْبٍ بَاكِرِ النَّـــأْدِ مُجْهِدِ[٢]

إِلَيْهَـــا صَلاَتِى فَالسَّبِيلَةُ[٣] وَجْهُهَا

وَلَيْسَ سَبِيلِى فِى حَيَاتِى بِمُخْـلِدِى[٤]

إِلاَقٌ[٥] هِىَ الدُّنْيَا ، وَسُفْلٌ عُلُوُّهَا

وَمَا يُدَّخَــرْ مِن رِفْدِهَا وَيْكَ يَنْفَدِ ..

وَمَنْ يَمَّمَ الدُّنْيَا تَأَلَّدَ[٦] قَلْبُـــــهُ

ضَلاَلاً فَفِيهَا خَـــلَّةُ الْمُتَمَدِّدِ[٧]

وَمَا مَغَدَتْنِى[٨] لَذَّةُ الْعَيْشِ مِثْلَمَـــا

أَظَلَّتْ بِغُصْنٍ فِى فَمٍ الْجَدْبِ أَمْرَدِ[٩] ..

---

(١) ممتاد : مُستعطٍ .

(٢) النَّـأْدُ : النز . وأجهد الشيب : كثر وأسرع .

(٣) السبيلة كالسبيل أى الطريق .

(٤) مخلدى : جاعلنى خالداً .

(٥) الإلاق : البرق الكاذب الذى لا مطر له . والسُّفْلُ نقيض العلو .

(٦) يَمَّمَ : قصد . وتألد : تحيَّر .

(٧) المتمدد : المماطل . تمدده : ماطله .

(٨) مغدهُ : غذاه ونعمه .

(٩) الغصن الأمرد : الذى جرد من ورقه .

٦١٥ تَجِلَّةَ وَجْـهِ اللهِ فِى كُلِّ وُجْهَةٍ[1]

وَقَرْدَدُ[2] فِى عُرْفِ الإِلهِ كَمُنْدَدِ

وَلِلهِ شَرْقٌ مِنْ جِهاتٍ وَمَغْـرِبٌ

وَلَـكِنَّمَا وَجْـهُ الهُدَى فِى التَّزَوُّدِ[3]

بِمَكَّةَ صَـلَّى النَّاسُ ثُمَّ بِيَثْرِبِ

إِلَى القُـدْسِ فِى سَاكُوتِهِ المتَهَوِّدِ[4]

بِمِيدَائِهِ[5] أَنْجَـادُ دِينٍ وَحِكْمَةٍ

أَطَلَّتْ عَلَيْـهِ فِى عُلاً مُتَأَبِّدِ[6]

---

(١) أراد اليعربى الآية الكريمة : « ولله المشرقُ والمغربُ فأينما تُولُّوا فثمَّ وَجهُ اللهِ إنَّ اللهَ وَاسِعٌ عليمٌ » . وقيل إن ذلك محمول على النفل فى السفر أو تعذر معرفة القبلة .

(٢) قرْدد اسم جبل . ومُنْدد : موضع من مواضع العرب .

(٣) يريد التزود بالتقوى .

(٤) الساكوت : الكثير السكوت . والمتهود هنا : المطمئن الساكن . وقد ظلت القبلة نحو بيت المقدس من بدء شريعة الصلاة إلى شهر رجب من السنة الثانية للهجرة على حد بعض الأقوال ، وإلى جمادى الآخرة فى رأى الجمهور الأعظم ، وقيل غير ذلك .

(٥) بميدائه : بحذائه .

(٦) المتأبد : الذى صار أبدياً .

وَمِنْ سَبَلٍ[1] مَا حَوْلَهُ مِنْ مَحَاقِلٍ

وَيَرْفُلُ فِي زَيْتُونِهِ الْمُتَمَعِّدِ[2] ..

٦٢٠ إِلَيْهِ سَرَى فَوْقَ الْبُرَاقِ «مُحَمَّدٌ»

بِعَزْمِ نَبِيٍّ وَانْبِثَاقِ مُؤَجَّدِ[3]

وَمَيْدَى[4] لِقَاءِ اللهِ حَلَّقَ فِي السَّمَا

وَلَمْ يَلْقَ فِيهَا مِنْ رِتَاجٍ مُؤَصَّدِ[5]

وَصَلَّى إِمَامًا وَالنَّبِيُّونَ خَلْفَهُ

فَيَالَمَقَامٍ فِي السُّرَى مُتَرَئِّدِ[6] !

يُلَقِّنُهُ الْخَلَّاقُ دِينًا وَحِكْمَةً[7]

وَمَا كَانَ وَجْهُ اللهِ بِالْمُتَبَعِّدِ

---

(١) السبلُ : السُّنبل . والمحاقل : المزارع .

(٢) المتعمد : الطرىّ .

(٣) المؤجد : المقوى.

(٤) ميدى : من أجل .

(٥) الرِّتاج : الباب العظيم أو المـغلق , والمؤصد : المـُغلق .

(٦) مترئد : مهتز نعمة .

(٧) ثابت من الكتاب والحديث أن المصطفى صلى الله عليه وسلم رأى فى ليلة الإسراء ما هو مذكورٌ من آيات ربه وأوجه عقابه وثوابه ، وتلقى أصول الصلوات الخمس وأوقاتها ، إلى غير ذلك مما اختص به اللهُ عز وجل نبيه الكريم .

عَلَى أَنَّ بَيْتَ اللهِ أَوْلَى بِأَحْمَـــدٍ

وَإِنْ يُنْسَ بَيْتُ اللهِ فِى النُّسْكِ يَأْمَدِ[1] ..

٦٢٥ لِدِيدَاهُ[2] نُورٌ ، وَالثَّوَابُ عَطَاؤُهُ

وَيَقْبِس مِنْ لَاهُوتِهِ الْمُتَفَــــرِّدِ

وَشَاهِدَةٌ[3] مِنْ تَحْتِهِ قَرْوُهَا قِرًى

مَئِيدٌ[4] وَإِنْ كَانَ الذَّرَى مِنْ تَكَلُّدِ

مَلَا[5] نَحْوَهُ مَلْواً عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ

حَجِيجٌ مُنِيبٌ ، أَوْ عَلَى ظَهْرِ مُلْبَدِ[6]

أَثِيثٌ[7] كَيَوْمِ الْحَشْرِ أَتْعَبَ مَرْكَباً

وَقَلْبٌ لَهُ مِنْ لَذَّةٍ غَــيْرُ مُكْهِدِ[8]

---

(١) يأمد : يغضب .

(٢) لديداه : جانباه .

(٣) الشاهدة هنا : الأرض . والقرو : القصد والتتبع . والقرى : الضيافة وطعام الضيف .

(٤) مئيد : ناعم . والتكلد : الغلظ والشدة .

(٥) ملا ملواً : سار سيراً شديداً .

(٦) ألبد الفرسَ : شدَّه للركوب . فهو مُلبَد .

(٧) أثيث : كثيف .

(٨) أكهد فهو مكهد : تعب .

وَإِنَّ لِطَهَ فِى السَّماءِ تَقَلُّبـــا

وَوَجْهَا تَرَامَى مَدُّهُ فِى التَّنَجُّـــدِ[1]

٦٣٠ فَفِى فَلَقٍ[2] أَوْ فِى ظَهِـــيرَةِ إِلَّقٍ

وَفِى اللَّيْلِ يَبْغِى قِبْـــلَةَ المُتَوَكَّدِ[3]

وَلِلْـــوَحْيِ إِبَّانٌ وَلِلهِ حِكْمَةٌ

وَلَيْسَ يُبِينُ الأُفْقُ إِنْ قُلْتَ أَبْجِدِ[4].!

تَمَهَّلْ رَسُـــولَ اللهِ غَيْرَ مُذَكَّرٍ[5]

فَإِنَّ أَوَانَ الذِّكْرِ عِنْـــدَ المُؤَمِّدِ[6]..

أَجَلْ أَنْتَ تَهْوَى أَنْ تَرَى البَيْتَ قِبْلَةً[7]

فَقُلْ مَا تَرَى عِنْدَ التَّوَسُّـــلِ وَازْدَدِ

---

(١) مدُّهُ : مداه . والتنجد : الارتفاع .

(٢) الفلق : الصبح أو ما انفلق من عموده أو الفجر . والإلق : المتألق . أى اليوم الذى تألقت شمسه .

(٣) المتوكد : المتأكد .

(٤) أبجدت السماءُ : أصحت . وأبجد أى كن صحواً . يريد أن يقول ان الوحى وموعده شأن من شئون الله تعالى ، كالصحو والغمام ، ولا يكفى أن تقول للغمام انقشِعْ لينقشع و يصحو الجو .

(٥) أى غير مذكر بوجوب التمهّل ، تأدباً لمقام النبى الكريم .

(٦) الذكر : القرآن . والمؤمِّد : الذى يُبيِّن الأمد وهو الله تعالى .

(٧) ورد فى كتب السيرة أنه صلى الله عليه وسلم كان يعجبه أن تكون قبلته الكعبة .

وَقَدْ شَرَّكُمْ(١) ذَأْبُ اليَهُودِ وَعَابُهُمْ
وَإِنَّ الَّذِى يُؤْتَى النُّبُوَّةَ يُنْأَدِ(٢)

٦٣٥ وَكِدْتَ(٣) تِبَاعًا لِلْخَلِيلِ وَآلِهِ
فَأَنْتُمْ لَهُ كَالْمِحِّ فِى وَسْطِ غِرْقِدِ(٤)

وَتَكْرَهُ أَنْ تَسْتَدْبِرَ البَيْتَ وُجْهُهُ(٥)
مَقَامُ عَلاَءٍ فِى سَنَاءٍ مُبَجِّدِ(٦)

فَقُلْتَ لِجِبْرِيلٍ : وَدِدْتُ لَوَ أَنَّنِى
إِلَى قِبْلَةٍ أُخْرَى أُصَلِّى بِيَنْدَدِ(٧) .

---

(١) شركم : عابكم . والذأب : الذم . والعاب : الوصمة إذا بلغه صلى الله عليه وسلم أن اليهود قالوا : يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا . وفى لفظ قالوا للمسلمين : لو لم نكن على هدى ماصليتم لقبلتنا فاقتديتم بنا فيها .

(٢) ينأد : يحسد .

(٣) كدت هنا بمعنى أردت . فى قول أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب أن يستقبل الكعبة محبة لموافقة ابراهيم وإسماعيل عليهما السلام وكراهة لموافقة اليهود ، ولقول كفار قريش للسلمين : لم تقولون نحن ملة إبراهيم وأنتم تتركون قبلته وتصلون إلى قبلة اليهود !

(٤) الغرقد : بياض البيض فوق المح .

(٥) وجهه أى ناحيته . وقد كان صلى الله عليه وسلم لما هاجر إذا استقبل صخرة بيت المقدس يستدبر الكعبة . فشق ذلك على قلبه .

(٦) المبجِّد : المقيم .

(٧) يندد : اسم آخر للمدينة المنورة .

وَفِي نَهرٍ[1] مَدَّ النَّهـارُ بِأُفْقِهِ

وَثَمَّ غَمامٌ كَالقَطِيعِ المُنَـدَّدِ[2]

إِلى أُمِّ بِشْرٍ[3] سَـارَ طَهَ وَصَحْبُهُ

وَكَانَتْ أَعَدَّتْ مِنْ ثِمَارٍ وَمُعْقَـدِ[4]

٦٤٠ وَحَانَتْ صَلاَةُ الظُّهْرِ وَالشَّمْسُ جَذْوَةٌ

وَأَطْرَافُهُمْ بُلَّتْ بِمَاءٍ مُمَهَّـدِ[5]

فَنَصَّ[6] أَمِينُ اللهِ جِبْرِيلُ آيَةً

إِلى المُصْطَفَى فِي لَهْفَةِ المُتَنَشِّـدِ[7] ..

---

(١) تقول نهار أنهر ونهر مبالغة فى نعت النهار بالضياء . ومد النهار : ارتفع .

(٢) المندد : الذى نددة منندد أى فرقه . كناية عن أنه سحاب صيف .

(٣) هى أم بشر بن البراء بن معرور من بنى سلمة ومن خيار المسلمات الصالحات وكانت صنعت لرسول الله صلى الله وسلم وليمة .

(٤) معقد : مطبوخ .

(٥) البلل هنا من أثر الوضوء . والماء الممهد : الفاتر من حرارة الجو .

(٦) نصَّ : رفعَ . والآية قوله تعالى : « قَدْ نَرَى تَقلُّبَ وَجهكَ فى السَّماءِ فلنوَلينَّكَ قِبلةً ترْضها فوَلِّ وَجهكَ شَطرَ المسْجدِ الحرامِ وَحيثُ ما كنتمْ فولُّوا وُجوهَكمْ شَطرَهُ وإنَّ الذينَ أوتُوا الكِتابَ ليعْلمُونَ أنهُ الحقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَما اللهُ بِغافِلٍ عمَّا يَعْملونَ » . وما تبعها من آيات القبلة الشريفة .

(٧) المتنشد : الذى يتنشد الأخبار ليعلمها .

بِهَا ضَاءَ بَيْتُ اللهِ فِي الدِّينِ قِبْـلَةً
لِكُلِّ قَرِيبٍ فِي صَـلاَةٍ وَأَبْعَدِ

وَآخِـرُ صَفٍّ صَارَ لِلنَّاسِ أَوَّلاً
وَمَنْ يَكُ ذَا حِرْصٍ عَلَى الوَحْيِ يَأْفَدِ[1]

وَأُطْلِـقَ نَعْتُ القِبْلَتَيْنِ تَيَمُّناً
عَلَى مَسْجِدٍ فِي يَثْرِبَ الخَـيْرِ مُفْرَدِ[2]

٦٤٥ فَمَا لِيَهُودٍ وَالأُلَى ضَـلَّ وَبْهُهُمْ[3]
بِقِبْلَتِنَا . ؟ بَـلْ وَبْهُهُمْ فِي التَّنَقُّدِ[4] ! ..

---

(١) أفد من باب تعب : عجل . والذى حدث على وجه التفصيل هو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بأصحابه فى مسجد هناك ، فلما أتم ركعتين نزل جبريل فأشار إليه أن صل إلى الكعبة واستقبل الميزاب . فأستدار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة ، واستدار النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء فقد تحول من مقدم المسجد إلى مؤخره . قيل وكان ذلك وهم راكعون . هذه هى الرواية المشهورة وفى رواية أخرى أن هذا التحول فى القبلة كان بمسجده صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

(٢) أفرده فهو مفرد : عزله فهو معزول أى معزل .

(٣) الوبه . الفطنة .

(٤) التنقد : تمييز الدراهم وغيرها ، فهو اختصاصهم.

يَقُولُونَ : مَا وَلَّاهُمْ عَنْ سَبِيلِهِمْ

وَفِيهِمْ مِنَ الْبُشْرَى وَجِيعَةُ أَكْبَدِ[1] ...

أَلَا فَلْتَكُنْ فِيهِمْ لُهَاباً[2] وَغُصَّةً

تَؤُوبُ .. وَإِنْ يُسْتَرْخَ عَنْهَا تَزَيَّدَا!

مَذَمَّةَ ذِي أَيْدٍ لَدَى الشِّعْرِ نَابِغٍ

يَخُطُّ نُضَاراً مِنْ قَرِيضٍ بِقَرْمَدِ[3] ..

يُمَحِّصُنَا الْخَلَّاقُ قَلْباً وَقَالِباً

وَلَيْسَ عَصِيٌّ مِنْ عِبَادٍ كَقَيِّدِ[4]

٦٥٠ وَإِنْ لَوِدَتْ[5] نَفْسٌ سَجَا الْكُفْرُ دُونَهَا

وَأَخْبَثُ نَفْسٍ فِي الْوَرَى نَفْسُ أَقْوَدِ[6]

---

(١) الأكبد : من نهض موضع كبده . وذلك من الحسد ونكاية الله بهم . يشير إلى قوله تعالى : « سَيقولُ السُّفهاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ التى كانوا عليها قُلْ للهِ المَشرِقُ والمَغرِبُ يَهدِى مَن يشاءُ إلى صِراطٍ مستقيمٍ » .

(٢) اللهاب : اللهيب . (٣) القرمد هنا : الزعفران .

(٤) كقيّد : كذلول ينقاد بسرعة. قال تعالى« وَمَا جَعلنا القِبلةَ التى كُنتَ عَليْها إلاَّ لِنعلمَ مَن يتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقلبُ عَلى عَقبيهِ وإن كانَتْ لَكبيرةً إلا عَلى الذين هَدَى اللهُ وما كانَ اللهُ لِيضيعَ إيمَنَكُمْ إنَّ اللهَ بالناسِ لرءُوفٌ رَّحيمٌ » .

(٥) لود : لم يمل إلى عدل ولا انقاد لأمر .

(٦) الأقود : الشديد العنق كناية عن العناد .

أيرزُقنا الخلاّقُ مِنْ كُلِّ ماكِدٍ[1]

فَنَبْخَـــلُ فِي إيمانِنا بالتّأكُّدِ؟

ونَدْفعُ مَغْدَ[2] العَيْش بالمَعْدِ مِنْ نُهًى

ونَجْهَمُ[3] إقْبالَ الدُّنَى بالتّبَعُّـــدِ؟!

مناسك الحج

وبَسْمَلَ[4] فِي صَلْقِ الجِهادِ محمّـدٌ

فَلَبَّتْـــهُ عَرْباءٌ بِهَتْفِ التّشَهُّدِ

فَضَا[5] بِهِمُ الإيمانُ فِي البِيـدِ رُقْعَةً

بِكُلِّ أخِي بَأْسٍ وطَــلّاعِ أنْجُدِ[6]

---

(١) ماكد : دائم لا ينقطع.

(٢) المغد : الناعم . والمعد : الضخم الغليظ والغِلَظ .

(٣) نجهم : نستقبل بوجه كريه .

(٤) بسمل : قال بسم الله الرحمن الرحيم . والصلق : الصوت الشديد .

(٥) فضا : اتسع .

(٦) طلاع أنجد : ضابط للأمور .

٦٥٥ أَنَاسِيَةٌ(١) آنَسْتُ فِى الهِيتِ زَحْفَهُمْ

وَفِى إِرَمٍ(٢) تُفْضِي إِلَى صَفْحِ مَأْبِدِ

لَهُمْ أَهْلَةٌ(٣) الإِسْلَامِ لَا أَهْلَةُ الحِمى

وَطَعْنُهُمُ فِى الكُفْرِ طَعْنُ القَفَنْدَدِ(٤)

مَشَوْا بِكِتَابِ اللهِ فِى نَجْدِ أَرْضِهِمْ

وَتَهْمَتِهَا(٥) مَا بَيْنَ رَضْوَى وَمُنْشِدِ

وَجَاسُوا خِلَالَ الرُّومِ حَرْباً وَجِزْيَةً

إِذَا هُمْ أَبَوْا فِى اللهِ دِينَ مُحَمَّدِ

وَحَارُوا(٦) إِلَى كِسْرَى يَفُلُّونَ مُلْكَهُ

وَمِنْ بَعْدِ كِسْرَى فِى دِيَارِ المُهَنَّدِ(٧)

---

(١) الأناسية: الأناسى. وآنستُ: سمعت والهيتُ: الغامض من الأرض.

(٢) إرَم: مدينة أو لعلها كانت إذ ذاك أطلال مدينة لقبيلة عاد. وهى ذات العماد المشهورة. والصَّفْح: السفح. ومأبد: اسم جبل.

(٣) الأهْلةُ: الأهل يقول ان كل مسلم منهم وكل كافر ليس منهم دون نظر إلى حدود الأوطان.

(٤) القفندد: القوى العظيم الألواح المتين التركيب.

(٥) التهمة: لغةٌ فى تهامة. ورَضْوَى جبل قرب المدينة المنورة. ومنشد: موضع بينها وبين ساحل البحر. والمراد أنهم مشوا بكتاب الله فى السهل والجبل.

(٦) حاروا: رجعوا.

(٧) أى فى الهند وإليها ينسب السيف المهند.

٦٦٠ بِأَكْمَلِ دِينٍ قَامَ فِى الأَرْضِ دَاعِياً

إِلَى الصَّوْبِ[١] تَنْزِيلاً عَلَى خَيْرِ مُوفَدِ

فَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ الَّتِي عَمَّ نُورُهَـــا

وَأَصْبَحَ بَيْتُ اللهِ كَعْبَةَ سَرْمَدِ[٢]

يَلِيقُ[٣] بِهِ مَنْ لَاقَ بِاللهِ قَلْبُـــهُ

وَيَهْوِى إِلَيْــهِ وَهْوَ مِنْ وَجْدِهِ صَدِ[٤]

وَيُونِعُهُ الرَّحْمَنُ فِى كُلِّ مَوْسِمٍ

بِبَحْرٍ خِضَمٍّ مِنْ حَجِيجٍ مُزَوَّدِ

أَرَادَ بِهِ رُكْناً مِنَ الدِّينِ قَائِماً

وَخَــلَّدَهُ رِزْقاً لِبَيْتٍ مُخَــلَّدِ

٦٦٥ هُوَ الحَجُّ .. مَا أَصْفَاهُ لِلنَّاسِ فُرْضَةً[٥]

وَأَيْسَرَهُ فِى مَحْــوِ ذَنْبٍ مُسَهِّدِ!

---

(١) الصَّوْب : لغة فى الصواب .

(٢) السَّرمد : الدائم . أى كعبة دين دائم إلى يوم القيامة .

(٣) يليق : يلصق .

(٤) صَدِ : ظامىء .

(٥) فُرْضَةُ النهر : ثُلمته التى يستقى منها .

عَلَيْكَ صَـــلاةُ اللهِ يا خَيْرَ طائِفٍ

بِهٰذا المَنارِ الأُخْرَوِىِّ المُحَتَّــــدِ[1] ..

لِعَشْرٍ[2] خَتَمْنَ الدِّينَ مِنْ بَعْدِ هِجْرَةٍ

إِلَى يَثْرِبٍ فِى مَوْئِلٍ ثَمَّ مُوبَدِ[3]

عَلَى رَأْسِ آلافٍ[4] كَمَا اليَمُّ مَائِجٌ

يُجَمَّعُ فِى وادٍ وَيَعْلُو بِمُنْجَــدِ[5]

وَفِى رَكْبِهِ أُمَّاتُنا[6] فِى هَــوادِجٍ

تَسِــيرُ الهُوَيْنَا فِى رِعايَةِ مُجْمِدِ[7]

---

(١) حَتَّدَهُ فهو محتد : اختاره لخلوصه وفضله .

(٢) الذى عليه الإجماع هو أن حجة الوداع التى قصدها اليعربى كانت سنة عشر من الهجرة وفرض الحج كان سنة ستّ — وقيل سنة تسع وعشرٍ وبالقول الأخير قال أبو حنيفة ، ومن ثم ذهب إلى أن حجة الوداع كانت على الفور . وختمن الدين أى تم بهن نزول الوحى بالقرآن الكريم .

(٣) مُوبَد : مُفْرَد .

(٤) عند خروجه صلى الله عليه وسلم لحجة الوداع أصاب الناسَ بالمدينة جدرىٌ أو حصبة منعت كثيراً منهم من الحج معه . ومع ذلك كان معه جموع لا يعلمها إلا الله تعالى . قيل كانوا أربعين ألفاً وقيل سبعين ألفاً وتسعين ألفاً إلى المائة والعشرين ألفاً أو أكثر .

(٥) المنجد : الجبيل .

(٦) أمات كأمهات جمع أمّ . وأمهاتنا أمّهات المؤمنين هن نساؤه صلى الله عليه وسلم وكنّ معه فى الهوادج .

(٧) مجمد : أمين بين القوم .

٦٧٠ تَطَيَّبَ أَزكَى النَّاسِ طِيباً وَجلْوَةً[١]
وَأَحْرَمَ يَسْعَى كَالْجَنَى[٢] الْمُتَجَـــرِّدِ..

فَبَزَّ جَمالاً حُسْنَ يُوسُفَ فِي الوَرَى
وَفَاقَ وَسَامًا كُلَّ غَضٍّ وَأَمْـــلَدِ

وَفِي الْعَرْضِ[٣] الْقَصْوَاءِ وَالْخَلْقُ حَوْلَهَا
مُشَاةً وَرُكْبَانًا وَمِنْ كُلِّ جَرْهَدِ[٤]

أَرَنَّ[٥] بِهِمْ جَوْزُ الفَلَاةِ مِنَ الصَّدَى
إِذَا مَا تَنَادَى الرَّهْطُ أَوْ قِيلَ أَوْسِدِ[٦]!

---

(١) الجلوة : لمعان الوجه والزينة . وقد كان خروجه صلى الله عليه وسلم نهار الخميس لست بقين من ذى القعدة سنة عشر بعد أن ترجّل وادّهن وصلى الظهر ؛ وبعد ما طاف بنسائه اغتسل وتطيب بذريرة هى نوع من الطيب مجموع من أخلاطه المختلفة ، ثم أحرم وتجرد فى إزاره وردائه ولم يغسل الطيب بل كان يرى فى مفارقه ولحيته الشريفة

(٢) الجنى : كل ما يجنى من فاكهة وغيرها . والمتجرد هنا : الذى خرج من لفائفه . شبه المصطفى صلى الله عليه وسلم فى حال إحرامه وتجرده من ثيابه بالفاكهة تخرج من لفائفها عند نضجها .

(٣) العَرْضُ : الوادى : والقصواءُ : راحلته صلى الله عليه وسلم .

(٤) جَرهد كجُرهد : سيار نشيط .

(٥) أرَنَّ : صاح . والجوْزُ : وَسَط الشىء ومعظمه .

(٦) أوسد : أسرع فى السير .

يَشِيمُونَ[1] بَرْقًا فِي مَصَابٍ وَمَشْرِقًا

كَمَا نَضَّتِ الحَسْنَاءُ سِـــتْرَ المُوَصَّدِ[2] ..

٦٧٥ مَلَائِـكَةَ الآنَاسِ[3] وَالحَجُّ دُونَـكُمْ

تُوَفُّونَ فِي إِيتَائِهِ حَقَّ مُجْمِـــــدِ[4] !

عَلَى هَذَبٍ[5] تَمْشُونَ إِنْ سَارَ سَائِرٌ

عَلَى غَبَسٍ[6] مِنْ ذَنْبِهِ المُتَجَسِّـــدِ ..

وَمِنْ ذِي طُوًى[7] تُلْغُونَ بَـكَّةَ وَالصَّفَا

تَأَلَّقُ فِي نَجْدٍ مِنَ الدِّينِ مُنْهَدِ[8]

أَمُونًا[9] عَلَى البَيْتِ الحَرَامِ وَأَهْـلِهِ

وَزَمْزَمُ تُرْوِي غُـــــلَّةَ[10] المُتَوَرِّدِ

---

(١) يشيمون : ينظرون ويرقبون . والمصـاب : حيث يقع المطر .

(٢) الموصَّدُ : الخدْر .

(٣) الآناس كالأناسيّ .

(٤) حق مُجْمِـد هنا أى حق الله تعالى الذى أجمده على عباده أى أوجبه .

(٥) الهذبُ : الصفاء والخلوص .

(٦) الغَـبَسُ : الظلمة .

(٧) هو موضع فى طريق مكة .

(٨) منهد فى هذا المقام بمعنى معـظّم عالٍ قدرُهُ .

(٩) أموناً : مؤتمنة .

(١٠) الغلة : حرارة العطش . والمتورد : الذى طلب الوِردَ .

وَفِي عَنَدٍ[1] عِنْـدَ الْحَطِيمِ جَلالَةٌ

رَنَت لِحَجِيجٍ خَاشِعٍ مُتَحَشِّـدِ

٦٨٠ هِيَ الْكَعْبَةُ الشَّمَّاءُ يَا أَهْـلَ يَثْرِبٍ

تَهَيَّأُ بِالأَحْضَانِ لِلْمُتَوَجِّـدِ[2] !

رِدُوهَا ضُحًى فَالرَّكْبُ قَدْ جَاءَ ضَاحِياً

صَبِيحَةَ لَيْـلٍ فِي الْمَشَارِفِ أَنْقَدِ[3]

وَجَازَتْ كَدَاءً[4] أَنْضَرُ الْعِيسِ غُرَّةً

وَأَكْثَرُ غِيدِ الْعِيسِ زَهْواً بِمَحْفَدِ[5]

تَحِنُّ إِلَى بَابِ السَّـلامِ وَعِنْدَهُ

تَرَجَّـلَ طَهَ فِي مُنَاخِ التَّوَرُّدِ[6]

---

(١) العند : الجانب . والحطيم قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الجدْرُ يعنى جدار حجر الكعبة .

(٢) المتوجد : الشاكى .

(٣) الليل الأنقد : الذى لم ينمه النائم كله .

(٤) كداء أو ثنية كداء هو الموضع الذى دخلوا منه مكة ، وهى التى ينزل منها إلى المعلاة مقبرة مكة وتسمى أيضاً بالحجون . وأنضر العيس غرة هى القصواء راحلته صلى الله عليه وسلم .

(٥) المحفد فى هذا الموضع : أصل السنام .

(٦) التورُّد : الاشراف على الماء وغيره عند القدوم .

بِكَفَّيْنِ لِلّٰهِ العَلِيِّ دُعَاهُمَا
وَوَجْدٍ إِلَى مَكْنُونَةِ المُتَوَحِّدِ (1)

٦٨٥ فَطَافَ ثَلَاثًا رَامِلًا (2) ثُمَّ أَرْبَعًا
بِسَيْرٍ رَفِيقِ الخَطْوِ غَيْرِ مُجَوِّدِ (3)

وَفَاضَ بِهِ دَمْعُ الهَوَى عِنْدَ أَسْعَدٍ (4)
لَهُ المَجْدُ مَا دَامَتْ حَيَاةٌ لِأَسْعَدِ

وَصَلَّى لَدَى وَجْهِ المَقَامِ (5) وَزَمْزَمًا
أَتَاهَا بِإِقْبَالِ الأَخَا (6) المُتَوَدِّدِ

يَقُولُ لَهَا إِنِّي أَجَادُ (7) إِلَى اللِّقَا
وَأَنْهَلُ مِنْ سَلْسَالِكِ المُتَجَوِّدِ (8)

---

(١) أراد الكعبة المشرفة . والمتوحد هو الله عز وجل فهو الأوحد والمتوحد

(٢) أى أنه صلى الله عليه وسلم رمل ثلاثة أشواط ومشى أربعة فأتمهن سبعة أشواط والرَّمل : الهرولة .

(٣) غير مجوِّد : غير مسرع .

(٤) أى عند الحجر الأسود .

(٥) صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين عند المقام قرأ فيهما بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد. وجعل المقام بينه وبين الكعبة.

(٦) الأخا : لغة فى الأخ .
(٧) أجاد : أشتاق .

(٨) المتجود : الذى يتخير الجيد من كل شىء .

سَـــلَامٌ عَلَى مَاءٍ سَلَامٌ عَلَى طِلًى[1]

وَذَوْبِ جُمَانٍ سَائِغٍ مُتَنَوِّدِ[2] ..

٦٩٠ وَصَوْبَ الصَّفَا سَارَ النَّبِيُّ مُحَمَّـــدٌ

فَرَقَّ هَسِيسٌ[3] مِنْ نِجَادٍ وَأَوْهُدِ

وَحَيًّا الْحَسَى[4] بِالْمَاءِ بَجْلاً كَأَنَّمَا

يُمِـــدُّ لِقَاءً مِنْ زُلَالٍ مُوَهَّدِ[5]

سَعَاهُ ذَمِيلاً[6] أَوْ عَلَى لِبْسِ رَحْـلِهِ

وَقَدْ زُحِمَ الْمَسْعَى بِسَـــيْرٍ مُحَيَّدِ[7]

---

(١) الطلى : اللذة .　　　　(٢) متنوِّد : متحرك .

(٣) الهسيس : الكلام الخفى . والأوهد : الوهاد وهى الأراضى المنخفضة .

(٤) الحسى : ماء يغور فى الرمل ويوافق تحته صلابة فاذا كشف عنه الرمل وجد قريباً . وبجلاً أى رمياً .

(٥) موهد : ممهد .

(٦) سعاه أى سعى السعى ما بين الصفا والمروة . والذَّميل : سير سريع . واللبس : الكسوة . فانه صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى الصفا قرأ إنَّ الصَّفا والمرْوَة من شعائر الله . . ابدأوا بما بدأ الله به. فسعى بين الصفا والمروة على قدميه، فلما تكاثر الناس حوله ركب راحلته وأتم السعى سبعاً . وقد رقى الصفا واستقبل الكعبة مكبراً موحداً وفعل على المروة مثل ذلك . وأمر من لم يكن معه هدى بالإحلال وأن يجعلها عمرة فقط دون الحج .

(٧) السير المحيد : الذى جعلت فيه حيود أى ميل من شدة الزحام .

وَفِي أَقْوَسٍ[1] مُعْشَوْشِبٍ هَدْيُ أَحْمَدٍ
كَمَا شِئْتَ عَــدًّا مِنْ فُحُولٍ وَوُلَّدِ[2]

فَلَمَّا اعْتَلَى رَكْبُ النَّبِيِّ مَنَا[3] مِنًى
وَأَنْقَدَ[4] مِنْهُ مَا بَدَا غَــيْرَ مُنْقِدِ

٦٩٥ أَتَى عَرَفَاتَ الْيُمْنِ سَبْطاً[5] يَفَاعُهَا
وَفِيهَا الْحَصَى دُونَ الشُّعَاعِ كَخُرَّدِ[6] ..

تَلَبَّثَ طَهَ سَاعَةً تَحْتَ قُبَّــةٍ[7]
مِنَ الشَّعَرِ الإِبْلِيِّ[8] عِنْــدَ التَّوَفُّدِ

---

(١) الأقوس : المشرف من الرمل . والهدى : ما يهدى إلى الحرم من النَّعم . وكان صلى الله عليه وسلم قد ساق معه ثلاثا وستين بدنة .

(٢) الوُلَّد : جمع الولود .

(٣) منا : مقابل وحذاء .

(٤) أنقد : أورق . أي أورق منه مابدا في غير ذلك الوقت غير مورق .

(٥) سبط : سهل حسن . واليفاع : الأرض المتسعة مع ارتفاع .

(٦) الخرد : اللآلىء لم تثقب .

(٧) هذه القبة من الشَّعَر كانت أعدت للمصطفى صلى الله عليه وسلم هناك ليستريح فيها .

(٨) النسبة إلى الإبل إبلِيّ . وسكنت لضرورة الشعر . والتوفد : الإشراف على الشيء أو المكان .

وَزَالَتْ ذُكَاءُ[1] وَالوَرَى ثَمَّ لُجَّةٌ

تُجَـاءُ إِلَى لُجٍّ سَكُوبٍ وَمُوفِدِ[2]..

وَفِي الشَّيْمِ [3] أَقْوَامٌ وَشُذَّانُ أُمَّةٍ

يُهِلُّونَ بِالتَّحْمِيدِ لاَ بِالتَّحَمُّدِ[4]

فَشُدَّتْ لَهُ القَصْوَاءُ حَتَّى أَتَى بِهَا

رَجَا[5] السُّهْبِ فِي أَوْجٍ مِنَ الحَقِّ مُجْهِدِ

٧٠٠ أَلاَ لَيْتَنِي لَمْ أَحْيَ إِلاَّ سُوَيْعَةً

تَمَلَّتْ بِهَا الآذَانُ آيَاتِ أَحْمَدَا!

وَفِي الأُفْقِ لَوْنُ الأُرْجُوَانِ وَعَسْجَدٌ

تَأَلَّقَ حَتَّى لاَحَ كَالمُتَوَقِّدِ..

رَأَتْ أُمَمٌ مِن قَبْلُ مُوسَى وَصَالِحاً

وَعِيسَى وَجِيهًا فِي حَيَاةٍ وَمَوْلِدِ

---

(١) ذكاء من أسماء الشمس .

(٢) موفد فى هذا الموضع بمعنى مرتفع .

(٣) الشيم : النظر . وشذان أمَّة أى ما تفرق منها .

(٤) التحمد : المنُّ وأن يُرى المرءُ الناسَ أنه محمود .

(٥) الرجا : كل ناحيــة . والسُّهب : المستوى من الأرض فى سهولة . وأجهد الحقُّ وغيره فهو مجهد : ظهر .

وَنُوحًا عَلَى رَأسِ الخوَالِدِ[١] فُلْكُهُ
وَدَاوُدَ فِي الهَيْجَاءِ كالمُتَوَرِّدِ[٢]

وَأَيُّوبَ فِي لَهَبِ[٣] الغِيَارِ يَمُجُّهُ
مِنَ المَاءِ حُوتٌ هَامِداً غَيْرَ مُنْشَدِ[٤]

٧٠٥ وَشَاهَدَتِ الأَرْبَابَ تَهْوِى صَرِيعَةً
بِمِعْوَلِ إِبْرَاهِيمَ فِي يَوْمِ أَوْهَدِ[٥]..

وَلَكِنَّهَا لَمْ تَدَّكِرْ مِثْلَ وَقْفَةٍ
لِطَهَ النَّبِيِّ اليَثْرِبِيِّ[٦] المُحَمَّدِ!

سَيَابَةُ[٧] جَنَّاتٍ مَشَتْ فِي عُرُوقِهِمْ
وَشِرْعَةُ[٨] دِينٍ خَالِدِ الذِّكْرِ أَوْكَدِ..

---

(١) الخوالد : الجبال . أى عند ما غمر الطوفان الأرض ومشت السفينة من فوق رءوس الجبال .

(٢) المتورد : الأسد . لأنه عليه السلام كان قوياً جباراً فى الحرب .

(٣) اللهب : اللهيب . والغيار : مغيب الشمس .

(٤) أى غير معرّف أو غير مسترشَد عنه.

(٥) أوهد كأحمد هو يوم الإثنين .

(٦) قوله اليثربى هنا نسبة إلى يثرب ، لأن المصطفى صلوات الله عليه جعل المدينة وطنه الثانى بعد الهجرة وعاد إليها بعد حجة الوداع كأنما هى مسقط رأسه .

(٧) السَّيابة : الخمر .

(٨) الشِّرعة : الشريعة .

فَهَذَا رَسُولُ اللهِ يَخْطُبُ فِي الوَرَى

بِحِكْمَةِ صَيُّوبٍ[1] وَإِسْبَاغِ مُتْئِدِ

فَيَذْكُرُ تَحْرِيمَ الدِّمَاءِ وَنَحْوِهَا

مِنَ المَالِ وَالأَعْرَاضِ ذِكْرَ المُنَدِّدِ[2]

٧١٠ وَفَيَّدَ[3] مَا أَرْبَى الرِّبَا مِنْ سَبَائِكٍ

تُكَدَّسُ مِنْ ذَوْبِ الخَنَى[4] المُتَلَكِّدِ

وَلَمْ يَنْسَ أَزْوَاجًا لَنَا هُنَّ نِصْفُنَا

يُرَفْرِفُ فِينَا كَالْحَمَامِ المُهَدْهِدِ[5]

---

(١) الصَّيُّوب : الصائب . والمتئد : المتأنى .

(٢) من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا » .

(٣) فيد : أمات . لأنه صلى الله عليه وسلم وضع ربا الجاهلية أى ألغاه وأبطله .

(٤) الخنى : الفحش والمتلكد : الذى يلزم بعضه بعضاً أو الذى غلظ لحمه . فقد قال فى خطبة الوداع : « ألا إنَّ كلَّ شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع . وربا الجاهلية موضوع . وأول رِباً أضع ربا العباس ابن عبد المطلب » .

(٥) هدهد الحمام : هدر . ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بالنساء خيراً وقضى لهنَّ بالرزق والكسوة بالمعروف على أزواجهن ، وقال فى خطبته : « فاتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف » .

فَمَكَّنَ أَسْبابَ[1] التُّقَى كَانَ قُطِّعَتْ

وَدَعَّمَ صَرْحَ الدِّينِ دَعْمَ المخَلَّدِ

وَلمَّا صَفا نَفْسًا وَأَيْقَنَ أَنَّهُ

عَلَى ما يَرَى مِنْ مَأْثَمٍ غَيْرُ مُهْمِدِ[2]

تَساءَلَ: «هَلْ بَلَّغْتُ؟» قَالُوا: أَجَلْ أَجَلْ

بِهَتْفِ حَجِيجٍ فِي المَنَاسِكِ مُحْشِدِ[3]

٧١٥ نَصَحْتَ وَأَدَّيْتَ الأَمَانَةَ مُخْلِصًا

إِلَى أُمَمٍ عَنْ حُرْمَةِ الدِّينِ ذُوَّدِ!

فَأَشْهَدَ[4] ربَّ العَرْشِ وَاللهُ شَاهِدٌ

بِرَغْمِ كَفُورٍ خَائِسٍ[5] أَوْ مُهَنِّدِ

***

---

(١) الأسباب هنا : الحبال .

(٢) غير مهمد أى غير ساكت على ما يكره .

(٣) أحشد القوم : اجتمعوا .

(٤) ذلك أنه صلى الله عليه وسلم قال فى آخر خطبة حجة الوداع : « وإنكم لتسئلون عنى فما أنتم قائلون ؟ » قالوا نشهد أنك قد بلغت وأدّيت ونصحت . فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ويخفضها إلى الناس : « اللهم فاشهد . . اللهم فاشهد . . اللهم فاشهد ! » .

(٥) الخائس : الغادر . والمهند فى هذا المقام : المكذب .

كَذَلِكَ حَجُّ البَيْتِ مِنْ عَهْدِ أَحْمَدٍ
مَهِيبًا عَرِيقًا فِى جَلَالٍ وَمَحْفِـــــدِ[1]

تَسِيلُ لَهُ الأَفْلَاجُ[2] مِنْ كُلِّ مَوْطِنٍ
فَيَغْــدُو مُحِيطًا مِنْ أَنَامٍ مُجَرْهِدِ[3]

يُبَارُونَ بِالغُفْــرَانِ مَنْ تَاهَ بِالدُّنَا
وَيَحْظَوْنَ فِى تَطْـــوَافِهِمْ بِالتَّرَوُّدِ[4]

٧٢٠ وَإِذْ يَلْتَقِى جَمْعٌ لَهُمْ فِى مَنَاسِكٍ
تُعِدُّ نَعِيمَ الخُـــلْدِ لِلْمُتَوَفِّدِ[5]

تَجِدْ أُمَمًا بِالحَجِّ تَقْضِى لُبَانَةً
وَمُؤْتَمَرًا مِنْ كُلِّ نَجْدٍ مُنَجَّـــدِ[6]

---

(١) المحفد هنا : الأصل والمحتد .
(٢) الأفلاج : جمع فَلَج وهو النهر الصغير . شبه بها قوافل الحج التى تأتى من كل قطر من أقطار العالم الإسلامى .
(٣) أى من خَلْق مسرع .
(٤) الترؤد : الاهتزاز نعمة .
(٥) المتوفد : المشرف على شىء أو مكان .
(٦) النجد : الدليل الماهر والشجاع الماضى فيما يعجز غيره . والمنجَّد : المجرِّب .

دُوَيْنَ الصَّفا[1] أَصْفى بَهاءٍ وَخُلَّةً
بِكُلِّ وَدِيدٍ[2] عَالِمٍ مُتَوَكِّدِ

فَدَيْتُهُمُ مِنْ كُلِّ مَغْضُورٍ[3] غُرَّةٍ
وَمِنْ كُلِّ شَيْخٍ هَيِّبَانٍ[4] وَعَكْرَدِ!

وَآلَيْتُ أَخْذُوا رَكْبَهُمْ فِي فَرَائِدٍ
مِنَ الدُّرَرِ الْحَسْنَاءِ وَالقَوْمُ شُهَّدِي

٧٢٥ أَلَيْسُوا خِيَارَ النَّاسِ سَارُوا أَحِبَّةً
كَأَرْمِيَةٍ[5] تُؤْتِي الصِّرَى مِنْ تَحَشُّدِ؟

وَهِمَّتُهُمْ حَذَّاءُ فِي نَيْلِ إِرْبَةٍ
وَصَيُّورُ[6] أَمْرِهِمْ لَهُ فِي تَجَرُّدِ

يُرِيدُونَ هَبْشاً[7] مِنْ مَكَانٍ تَأَمَّمُوا
مَنَاسِكَهُ مِنْ كُلِّ ذُخْرٍ مُعَتَّدِ

---

(١) دوين الصفا : دونه . والخلة : الصداقة .
(٢) الوديد : الخليل . والمتوكد : القائم المستعد للأمر .
(٣) مغضور : مبارك .
(٤) الهيِّبانُ لغةٌ فى الهائب . والعكرد : الغلام المتقارب الحُلُم أو السمين
(٥) الأرمية : جمع رَمِىّ وهو السحاب . والصِّرَى : الماء المجتمع .
(٦) صَيُّور الأمر : مصيره وما يؤول إليه .
(٧) الهبش : الجمع والكسب . أى من الثواب .

وَدِرْعًا تَقِيهِمْ شَرَّ إِصْرٍ مُدَرَّعٍ

إِذَا مَا مَشَوْا لِلْحَشْرِ يَوْمَ التَّغَمُّدِ

عَلَى كُلِّ آبَالٍ وَكُلِّ حَدِيدَةٍ[1]

تُقَلِّبُ مِنْ كُثْبَانِ ظَعْنٍ عَصَوَّدِ[2]

٧٣٠ وَفَوْقَ مُتُونِ الرِّيحِ دَانَتْ لِأَنْسُرٍ

مُحَلِّقَةٍ فَوْقَ الأَفَا[3] الْمُتَوَفِّدِ..

بِهِمْ كَبَدٌ[4] فِي الْجِسْمِ وَالْقَلْبُ شَاكِرٌ

وَيَخْلُبُ مِنْ أَلْبَابِهِمْ شَدْوُ مُنْشِدِ

فَمِنْ جَاوَةٍ وَالسِّنْدِ تُلْفِي أَمَاثِلاً

وَمِنْ جِدٍّ[5] كَنْجٍ كَالْخَيَالِ الْمُهَدْهَدِ

---

(١) أراد بالحديدة السيارة .

(٢) العصود : الطويل .

(٣) الأفا : القطع من الغيم أو الذى يفرغ ماءه ويذهب . والمتوفد فى هذا الصدد : المتسابق .

(٤) الكبد : المشقة .

(٥) الجدّ : شاطىء النهر والكنج: نهر هندى معروف . والخيال المهدهد هو الذى يخيل للإنسان .

وَمِنْ أَجَمٍ لِلزِّنْجِ جَـــزْلٍ[1] مُجدَّلٍ

وَمِنْ مَصَدٍ[2] فِى الصِّينِ أَدْبٍ مُوَرَّدِ

وَذَلِكَ تُرْكِىٌّ وَتَا[3] مَغْرِبِيَّـــةٌ

وَهذَانِ مِنْ صُقْعِ الْخلاَ[4] الْمتَجَمِّدِ...

٧٣٥ مَحَاشِرُ آنَامٍ[5] عَلَى سَفْحِ سَنَمٍ

وَفَيْضُ نُضَارٍ مِنْ ضُحًى مُتَرَئِّدِ[6]

وَثَمَّ حَبِيبُ اللهِ قَدْ رَقَّ كَالسَّدَى[7]

يَرِقُّ لِأَعْنَاقٍ مِنَ النَّـــوْرِ[8] هُجَّدِ..

---

(١) جزل : غليظ .

(٢) المصد : الهضبة العالية . والأدْب : العجب — أى عجيب . ومورد أى تفتح عليه الورد .

(٣) تا : يشار بها إلى المؤنث مثل «ذا» للمذكر .

(٤) الخلا : رطب الحشيش . والمتجمد الذى جمدته الثلوج ، أراد سكان المناطق الباردة .

(٥) الآنام : الخلق كالأنام . والسنم : الارتفاع .

(٦) ضحى مترئد : فى الرأد وهو ارتفاع الشمس وانبساط الضوء .

(٧) السدى : ندا الليل .

(٨) النور : الزهر . وهُجد أى نُوَّم ليلا .

أَلاَ أَيُّهَا الْحجَّاجُ قُومُوا فَأَحْرِمُوا[1]

وَيَا أُخْتَ دَأْمَاءٍ[2] الغَرَانِيقِ أَزْبِدِي!

وَيَامَنْ نَوَيْتُمْ عُمْرَةً[3] إِنَّهَا رِضاً

وَجَيِّدُ تَقْـــوَى الْمُؤْمِنِينَ كَأَجْوَدِ

فَطُوفُوا بِبَيْتِ اللهِ سَبْعًا وَهَرْوِلُوا[4]

وَيَا كَعْبُ .طَابَ الْحَجُّ يَا كَعْبُ فَاشْهَدِي

٧٤ وَقَدْ نَهِلُوا مِنْ أَسْعَدٍ[5] لَذَّ مَنْهَلاً

لِكُلِّ أَخٍ فِي اللهِ هَيْنٍ[6] مُعَبَّدِ

---

(١) أى ادخلوا فى الإحرام بشروطه من مواقيته وكل ذلك موضح فى كتب المناسك .

(٢) الدأماء : البحر . والغرانيق : طيور بحرية .

(٣) العمرة : الحج الأصغر ، ومناسكها كمناسك الحج تماماً إلا فيما يختص بالوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة ومنى ، وهى غير مقيدة بوقت معين ، بل يمكن الاعتمار فى جميع أيام السنة .

(٤) الهرولة : الخطو السريع أو الركض الخفيف ، وتسن للطائف حول الكعبة طواف القدوم أو الأفاضة فى الأشواط الثلاثة الأولى حالة كونه مضطبعاً أى جاعلا رداءه تحت إبطه اليمنى ، معرياً كتفه ومنكبه وتسن الهرولة أيضاً للساعى بين الصفا والمروة بين الميلين الأخضرين .

(٥) أى الحجر الأسود كما تقدم .

(٦) الهين : لغة فى الهيّن أى السهل الخلق . والمعبد : المتخذ عبداً لله .

وَخَلْفَ مَقَــامِ لِلْخَلِيلِ تَخَشَّعُوا

مُوَاكَبَةً[1] لِلْعِتْقِ فِي مِثْـــلِ مَحْشَدِ

فَلَمَّا مَشَوْا فَوْقَ العَدَابِ إِلَى الصَّفَا

أَعَدُّوا لَهُ فِي سُقْعِهِ سَـــيْرَ مُحْفَدِ[2]

كَمَا حَفَدَتْ زَوْجُ الخَلِيلِ عَلَى النَّقَى[3]

وَمَنْ يَتَأَمَّمْ خَـــلَّةَ الدِّينِ يُحْمَدِ

شَعَائِرُ إِسْلَامٍ بِهَا القَلْبُ يَنْتَشِي

إِذَا كَانَ فِي فَجٍّ طَرُوحٍ[4] مُبَعَّدِ

---

(١) المواكبة : الملازمة . والعتق : الكرم والجمال . يشير إلى سنة الطواف التى تصلى خلف مقام إبراهيم إحياء لجمال الذكرى وجمال الأثر تنفيذاً لقول الله تعالى : « واتَّخذُوا مِن مَقامِ إبرَاهِيم مُصَلّى » .

(٢) العداب : ما استرق من الرمل . والسقع : لغة فى الصقع والناحية . والمحفد : المحمول على الحفد والأسراع . تخيل الشاعر حالة طريق المسعى قديماً حنيناً منه إلى القدم . أما الآن فقد تطورت الحال فأصبح المسعى من الصفا إلى المروة مبلطاً ببلاط « الموزايكو » مظللا بمظلة تحول دون ضربات الشمس ، مفصولا بحاجز يقسمه نصفين أيمن للذاهب إلى المروة وأيسر للراجع إلى الصفا تخفيفاً للازدحام .

(٣) النقى : كثيب الرمل .

(٤) الطروح : من أوصاف البعد .

٧٤٥ وَمِنْ مَــكَّةٍ يَمْضِى الحَجِيجُ إلَى مِنًى
بِمُصْطَخِبٍ كَالمُزْلَعِبِّ[1] المُعَرِّدِ
وَفِى عَرَفَاتِ النُّــورِ وَالحَمْدِ وَالرِّضَا
وَشَافِيَـــةِ الجُرْحِ الَّذِى لَمْ يُضَمَّدِ
يَقُولُونَهَا لَبَّيْكَ .. وَالعَرْشُ فَوْقَهُمْ
يُجَاوِبُهُمْ : لَبَّيْـكُمُ خَــيْرَ أَعْبُدِى[2] !
يَقُولُونَهَا لَبَّيْكَ سَعْــدَيْكَ وَالرُّبَا
تُرَدِّدُهَا : آمِينَ ! عِنْــدَ التَّصَعُّدِ
وَمِنْ عَرَفَاتٍ يَقْصِـــــدُونَ هَشَاشَةً
لِمُزْدَلِفِ الخَــيْرِ الأَغَرِّ المُقَنَّدِ[3]
٧٥٠ بَهَارٌ حَوَاشِيهِ وَإِنْ كَانَ حَــوْلَهُ
كَنُودُ عَزَازٍ مِنْ حَزِيزٍ وَفَدْفَدِ[4]

---

(١) المزلعب : السيل الجارف . والمعرد : النافذ من كل شيء يهدف إليه .

(٢) أعبد : جمع عبد مثل عبيد وعباد .

(٣) المقند : المسكر . تقول سويق مقنود ومقند أى محلى بالقند وهو حلاوة السكر أو ما يصنع من السكر .

(٤) البهار : الطيب أو ضرب منه . والكنود : الكفور . والعزاز : الأرض الغليظة الصلبة . والحزيز : أرض ذات حجارة مدببة . والفدفد : ما جمع الارتفاع والصلابة والغلظ . وكل هذا وصف لأرض المشعر الحرام بمزدلفة .

وَمَشْعَرُهُ الودُّ الحَــرَامُ إجَابَةٌ

لِـكُلِّ مُنِيبٍ ضَارِعِ الـكَفِّ مَرْثِدِ (١)

يُعِدُّونَ حَصْبَاءَ (٢) الشَّيَاطِينِ عِنْدَهُ

بِقَوْلٍ إِلَى المَأْثُورِ فِي الدِّينِ مُسْنَدِ

وَيَقْضُونَ لَيْــلاً حَافِلاً فِي تَبَتُّلٍ

وَنَجْوى وَأَحْــلَامٍ أَطَافَتْ بِقَثْرِدِ (٣)

وَيَوْمُ مِنًى يَامَا أُحَيْــلاهُ مَنْسِـكا

يُرَحِّبُ بِالخَلْقِ السَّعِيــدِ المُعَيِّدِ

٧٥٥ لَهُمْ لَجَبٌ إِذْ يَخْذِفُونَ عَــدُوَّهُمْ

بِسَبْعِ جِمَارٍ ثَاقِبَاتٍ كَمِسْرَدِ (٤)

---

(١) الود : الوديد والخليل . والمنيب : التائب . والمرثد : الرجل الكريم

(٢) تلتقط الحصباء أو الحصيات التى ترجم بها الجمرات الثلاث بمنى من مزدلفة وعددها تسع وأربعون أو ست وخمسون بحجم الفولة ، ترجم جمرة العقبة بسبع منها يوم النحر . وترجم ثلاثتها كل بسبع فى اليومين التاليين لمن تعجل وفى الأيام الثلاثة التالية لمن تأخر .

(٣) القثرد : الكثرة من الناس .

(٤) يخذفون : يرمون بالأصابع . والجمار والجمرات : جمع جمرة وهى الحصاة . والمسرد : المثقب ويقال المخرز .

فَتَهْوِى عَلَى الشَّيْطَانِ تَجْتَثُّ رَأْسَهُ
كَمَا اجْتُثَّتِ السِّدْرَاتِ ضَرْبَةُ مِعْضَدِ[1]

فَإِنْ لَمْ تَنَلْ مِنْهُ لَدَى الرَّجْمِ مَقْتَلا
دَهَتْهُ بِمَا يَسْعَى بِهِ سَعْىَ أَحْرَدِ[2]

وَعِيدُهُمُ عِيدَانِ : عِيدُ ضَحِيَّةٍ
وَعِيدٌ لِتَأْخِيخِ[3] الْحَجِيجِ الْمُرَفَّدِ

غَرَوْتُ[4] لَهُمْ فِى هَالَةٍ مِنْ مَلَاحَةٍ
تَعَهَّدَهَا الرَّحْمَنُ لَا مِنْ تَعَهُّدِ

٧٦٠ وَإِذْ مَا يَقُلْ رَكْبُ الْحَجِيجِ لِمَكَّةٍ
وَدَاعًا وَيَلْبَسْ كُلَّ ثَوْبٍ مُجَسَّدِ[5]

---

(١) السِّدرات : جمع سدرة وهى شجرة النبق . والمعضد : سيف يمتهن فى قطع الشجر .

(٢) الأحرد من المطايا : ما يبس عصبه خلقةً أو من عقال ونحوه فيخبط إذا مشى .

(٣) التأخيخ : قول المعجَب المستطيب : « أخ أخ » . والمرفَّد : المعظم والمصَيَّر سيداً .

(٤) غروت : عجلت .

(٥) الثوب المجسد : المصبوغ بالزعفران ونحوه من الصبغ الملون . كناية عن خلع لباس الإحرام وارتداء الملابس العادية بمختلف الألوان .

تَرَ الزَّاعِبَ[1] النَّشْوَانَ فِى سَرْبِ يَثْرِبٍ

فَعَوْدٍ يُزَكِّى كُلَّ بَيْتٍ مُصَمَّدِ[2]

أحكامٌ عامةٌ وحُرُماتٌ للبيت

لَنِعْمَ البِنَى[3] فِى الذِّكْرِ مِنْهُ مَنَاسِكٌ

وَجَادَ بِخَيْرٍ لِلْمُلَبِّينَ مُرْصَدا!

---

(١) الزاعب : السيل المتدافع . شبه به ركب الحج لضخامته وتدافعه . والسرب : الطريق . ويثرب : المدينة المنورة . يقول إن الحجاج يندفعون بعد الفراغ من مناسك الحج بركبهم الضخم الجسيم نحو مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم اندفاع السيل العظيم . وشد الرحل إلى المسجد النبوى سنة اتباعاً لنص الحديث الشريف : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى ». وزيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك سنة . والأحوط للدين أن ينوى الإنسان شد الرحل إلى المسجد النبوى ، فإذا حياه بصلاة ركعتين فى الروضة المطهرة نوى زيارة القبر الشريف فيحصل بذلك على ثوابين : ثواب شد الرحل وثواب زيارة القبر : أما الذى ينوى شد الرحل إلى القبر فيخشى أن يحرم من ثواب شد الرحل إلى المسجد .

(٢) البيت المصمد : كل بيت يُصمد إليه ويُقصد .

(٣) البنى : كل مبنى . أراد به البيت الحرام .

وَمُلْتَزَمٌ[1] فِى صُفْحِهِ طَابَ نَثْرَةً
لِبَدْرٍ عَلَى رَنْدِ[2] الفَـــلاَ مُتَوَقِّدِ

إِذَا فَاضَ رِزْقُ المَرْءِ عَنْ زَادِ أَهْــلِهِ
وَرَاحِــــلَةٍ فَالوَيْلُ لِلْمُتَرَدِّدِ[3] ...

٧٦٥ وَمَنْ يَكُ ذَا رِبْحٍ وَعَيْنٍ مُغِــلَّةٍ
يُؤَجِّرُهَا فِى نَفْعِـــــهِ لَمْ يُحَرْمِدِ[4]

وَمَنْ حَجَّ مِنْ مَالٍ حَرَامٍ[5] فَحَجُّهُ
صَحِيحٌ وَإِصْرُ الإِثْمِ لِلْمُتَحَمِّــــدِ

---

(١) الملتزم : المكان الواقع بين الحجر الأسود وباب الكعبة . وهو من مقدسات البيت وعلى رأس أماكن إجابة الدعاء . والصُفح : أحد الجانبين . والنثرة : أحد منازل القمر . كأنما البيت بدر والملتزم أحد منازله .

(٢) الرند : شجر طيِّب الرائحة من شجر البادية . ومتوقد هنا بمعنى مضىء

(٣) القاعدة فى الحج أن مَن ملك زاداً وراحلة تبلغه بيت الله الحرام زائداً عن نفقة مَن تلزمه نفقتهم مدة ذهابه وإيابه وفاضلا عن حاجياته الضرورية كمسكنه وآلات حرفته يعتبر مستطيعاً ، فالحج واجب عليه .

(٤) لم يحرمد أى لم يلجّ فى أمر حجه ويمحك فيه .

(٥) الذى يحج بمال حرام يكون حجه صحيحاً وعليه الإثم كالذى يسرق ثوباً ويصلى فيه فصلاته صحيحة وعليه إثم السرقة . والإصر هنا : الثقل . والمتحمد : الممتن الذى يُرى النَاسَ أنه محمود الفعل .

وَمَنْ كَانَ مُسْتَطِيعاً أَدَاءَ دُيُونِهِ

وَإِنْفَاقَهُ فِي حَجِّهِ لَمْ يُرَشَّدِ[1]

كَذَلِكَ صَحَّتْ عَنْ مَرِيضٍ[2] نِيَابَةٌ

وَعَنْ مَيِّتٍ فِي وَهْدَةِ[3] الرَّمْسِ مُهْجِدِ

وَلَا حَجَّ لِلأُنْثَى بِبَايدِ[4] مَحْرَمٍ

وَبَعْلٍ ، فَمَا أُنْثَى بِغَيْرِ مُذَوِّدِ[5] ؟

٧٧٠ فَإِنْ خَالَفَتْ صَحَّتْ مَنَاسِكُ حَجِّهَا

وَبَاءَتْ بِذَنْبٍ عِنْدَ ذِي العَرْشِ مُرْصَدِ

---

(١) رشده كأرشده . أى لم يحتج لمن يرشده إلى ما ينبغى فعله . ذلك أن المدين الذى لا يملك ما يسدّ به دينه لا يجب عليه الحج سواء أكان الدين حالا أو مؤجلا ، حتى ولو رضى صاحب الدين بتأخيره إلى ما بعد الحج ، لأنه قد يحل الموعد ولا يجد ما يسد به الدين ، وقد يموت فيبقى الدين فى عنقه . أما المدين الذى يملك ما يكفى لسداد دينه وحجه فلا يسمى مديناً ويجب عليه الحج .

(٢) جازت فى أحكام الحج النيابة فيه عن المريض الذى لا يستطيع السفر لضعف صحته ، وعن الميت .

(٣) الوهدة : الأرض المنخفضة . ومهجد أى نائم .

(٤) بايد : غير . أى لايجوز للمرأة أن تحج بغير زوج أو محرم كالأب والأخ والعم والخال .

(٥) المذود : الذى يذود عما يمتلك أى يدافع عنه ويحميه .

وَنَجْلُكَ إِنْ يُحْرِمْ فَكُنْ أَنْتَ ضَامِنًا

لِفِدْيَتِهِ فِي طُهْرِ قَلْبٍ وَمَرْوَدِ[1]

وَلَا تَكُ مِمَّنْ هَمُّهُمْ ثَمَّ مُتْعَةٌ

وَزَهْوٌ بِأَلْقَابٍ ، فَذُو الزَّهْوِ يَوْغَدِ[2]

أَلَا إِنَّ حَجَّ الْبَيْتِ دِينٌ فَرَوِّهِ

حَلَالًا ـ وَسِرْ مَا اسْتَعْتَ[3] فِي مَتْنِ مُرْقِدِ

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْطِيعُ سُنَّةَ يَثْرِبٍ

فَلَا تَكُ عِنْدَ الْفَرْضِ كَالْمُتَرَعِّدِ[4]

---

(١) المرود : الرفق والاتئاد تسمية بالمصدر .

(٢) يوغد : يصير ضعيف العقل دنيئاً . فمن الناس من لا يدفعهم لأداء فريضة الحج إلا لقبه ، ولا يرغبهم فيه إلا متعة البدن ونزهته .

(٣) استعت : لهجة من لهجات العرب فى اسطعت . والمتن ما صلب من الأرض وارتفع فى استواء . والمرقد : الطريق الواضح . فقد وجب تحرى الحلال فى المال الذى تحج به . والله طيب لا يقبل إلا طيبا .

(٤) المترعد : المترجرج . فمن الناس من يترك الحج لأنه لم يتيسر له المال الكافى لزيارة مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ويظن أن الحج بغير الزيارة يعد ناقصا مما كان سببا فى الإعراض عن هذه الفريضة الكبرى . نعم إن شد الرحل إلى المسجد النبوى قربة وسنة ، ولكنها مستقلة لا ترتبط بالحج وقد تؤدى فى أى وقت من أوقات العام . أما الحج فأوقاته معلومة وشهوره محدودة وهو أحد أركان الدين الخمسة .

٧٧٥ وَلاَ خَيْرَ فِي عَقْـــدِ النِّكَاحِ لِحِجَّةٍ
بِنِيَّـــةِ تَطْلِيقٍ كَإِلْقَاءِ مِثْفَدِ[١]

كَذَا زِينَـــةُ الأُنْثَي كَأَنَّ سِفَارَهَا
رَحِيلُ جَمَالٍ لِلْهَوَى مُتَرَصِّــدِ

وَطَهِّرْ لِحَجِّ البَيْتِ قَلْبَكَ وَالنَّوَى[٢]
وَسِرْ فِي مِتَانِ[٣] اللهِ غَيْرَ مُسَمَّدِ

وَأَلْمِمْ بِتَفْصِيـــلِ المَنَاسِكِ كُلِّهَا
فَإِنَّ ثَوَابَ الْحَجِّ يَزْكُو لِمُجْوِدِ[٤]

---

(١) المثفد : واحد المثافيد وهى بطائن الثياب . والمعنى أنه من المنكر — بل هى إحدى الكبر — أن تعقد المرأة عقدها على رجل عند اعتزام الحج وهى تنوى أن يطلقها بعد عودتها كأنها تريد أن تتحايل به على وجود محرم معها .

(٢) النوى : ما نويت من قرب أو بعد . فمن المنكرات ما يعمد إليه بعض الناس من مظاهر واحتفالات هى أبعـــد ما تكون عن التقوى وخلوص النية .

(٣) المتان: الأراضى الصلبة المرتفعة فى استواء والمسمَّد من سمَّد الرجُلَ بمعنى ألهاه يريد أن يقول سر فى طريق الله المستقيم دون تعريج إلى سبيل غيره يلهيك عنه .

(٤) أجود الشىء فهو مجود : جعله جيداً . إذ أن القليلين جداً من الحجاج هم الذين درسوا مناسك الحج قبل الشروع فيه . أما الأكثرية فتعتمد على المطوفين الذين قد يهملون سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولا يحملون الحجاج على اتباعها . مما يحرم الحاج شرف القدوة برسول الله وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم .

فَإنْ عُدْتَ كَانَ العَوْدُ فَيْضاً مِنَ التُّقى
وليْسَ حُشُوداً كالبَـدا[1] المُتزَبِّدِ

٧٨٠ وَدَعْ بِدَعًا ليْسَتْ مِنَ الدِّينِ وَاعْتَصِمْ
بِأُخْرَاكَ فِي دَهْرٍ مِنَ العُمْرِ أَرْوَدِ[2]

عَلَى هَوْدَةٍ[3] مَنْ حَجَّ إنْ سَارَ سَائِرٍ
وَمَنْ يكُ فِي شَيْمٍ[4] المَلائِكِ يَنْهُدِ

يُسَوِّسُ[5] شَيْطَانُ فَتُلْفِيهِ صَامِداً
وَلَيْسَ لَدَى الأَيْمَانِ بِالمُتَزَرِّدِ[6]

***

---

(١) البدا : السّلح . والمتزبدُ : الغاضب المتهدّد . من الحجاج من إذا رجع إلى بلده تجمعت الوفود حوله لاستقباله ووقع منها مالا يمت إلى الإيمان بصلة .

(٢) الأَرْوَدُ للدهر : ذو الخير أو المستبدّ الغالب على أمره .

(٣) الهودة : السّنام .

(٤) الشَّيمُ : النظر . وينهد : يرتفع ويكرم . أى أن من يكون قبله أنظار الملائكة يرفع الله شأنه ويكرمه .

(٥) يسوس : يسوّل ويزيّن .

(٦) المتزرد فى اليمين : الذى يتسرع فى حلفها غير مبال بما تجلب عليه من الإثم .

إِلَى حَرَمٍ سِيرِى فَفِى العَفْوِ[1] جُمَّةٌ

أَيَا عَنْسُ[2] .. وَالسَّيَّارُ لَيْسَ بِمُوفِدِ

نَسَأْتُكِ[3] مِنْ شَوْقٍ إِلَى مَرْتِ بَكَّةٍ

بِرَغْمِى ... فَلاَ تَأْسَىْ وَلاَ تَتَزَنَّدِى[4] ...

٧٨٥ حَرَامٌ هِيَ الأَرْضُ الَّتِي نَنْهَبُ الفَلاَ

لِنَبْلُغَهَا مِنْ بَعْـــدِ سَيْرٍ مُرَوَّدِ[5]

وَذو حِبَرَاتٍ[6] ثَمَّ غُرٌّ هِجَـانُهُ

إِذَا رُمْتِ فَحْلاً مِنْ قَطِيعٍ مُزَبِّدِ[7] ..

---

(١) العفو : الجمام والنشاط . وجمة الشيء معظمه . يقول أنه برغم طول قصيدته وتسياره فمعظم نشاطه لا يزال مدخراً .

(٢) العنس : الناقة الصلبة . والموفد : المسرع .

(٣) نسأتك : زجرتك أو ضربتك بالمنسأة وهى العصا . والمرت : الأرض ليس فيها شيء من النبت .

(٤) لا تتزندى : لا تتغضبى .

(٥) مرود : محمول على الرود أى التمهل .

(٦) الحبرات : الأثواب الموشَّاة . أراد البيت الحرام لأنه مكسو بالموشى من الثياب . والهجان : الإبل البيض الكرام .

(٧) مزبد : زبَّدَ شدقُه أى خرج منه الزَبد. يشوِّق بذلك ناقته على المسير.

لِتَوْرَابِهِ[1] الدُّرِّيِّ يا عَنْسُ حُرْمَةٌ

وَأَحْجَارُهُ فِي ظِلِّهِ كَالْمُخَلَّدِ[2]

إِلَى الحَشْرِ تَبْقَى ثَمَّ مَشْهُورَةَ الطُّلَى

بِمَاءِ الغَمَامِ مِنْ طَخَاءٍ[3] وَأَرْمَدِ

وَمَنْ يَلْتَقِطْ شَيْئًا غَدَا الجَمْرَ فِي الحَشَا

إِذَا هُوَ لَمْ يَسْأَلْ بِحِرْصٍ وَمُرْوَدِ[4]

٧٩٠ أَلَيْسَ أَمَانَ اللهِ وَالسَّكْنُ[5] أُمَّةٌ

مَضَتْ قُدُمًا فِي خَلَّةِ المُتَزَهِّدِ!

---

(١) التوراب : التُّرب .

(٢) المخلد هنا : المقيم لا يبرح . فمن أحكام الحرم تحريم نقل تراب مكة أو أحجارها إلى خارجها .

(٣) مشهورة أى منقوشة . والطلى : الأعناق . والطخاء : ما ارتفع من الغمام وحمل الماء وكثف وأطبق . والأرمد : ما كان على لون الرماد من السحب . أى أن الأحجار أصبحت كأنها منقوشة من أثر هطول الأمطار عليها من الغمام المرتفع الكثيف المطبق أو من السحاب الرمادى اللون

(٤) المرود : الرفق والاتئاد والتمهل . ذلك أن من وجد فى حرم مكة لقطة لم يحل له أن ينتفع بها أبداً بل لابد من تعريفها دائماً حتى يظهر صاحبها وفى مكة الآن مستودع تابع لإدارة الأمن العام تحفظ فيه مفقودات الحجاج ويعلن عنها فى الصحف ، فمن وصف مفقوده تسلمه من ذلك المستودع .

(٥) السكن : أهل الدار .

وَبكَّةَ لاَ تُؤوِى مَدَى الدَّهْرِ كَافِرًا

وَإنْ يَدْنُ مِنْهَا كَافِرٌ وَيْكَ يُسْأَدِ[1]

وَلاَ قَبْرَ فِى هَـــذَا الْجَنَابِ لِمُشْرِكٍ[2]

فَإنَّ وَدِيدَ الشِّرْكِ لَيْسَ بِمُرْفَدِ

وَلاَ ذَبْحَ[3] مِنْ هَدْىٍ وَتَــكْفِيرِ مَنْسِكٍ

يُمَارَسُ إلاَّ فِى الرِّحَابِ الْمُزَيَّدِ[4]

هُوَ الْحَرَمُ الْجَوَّادُ[5] لاَ ذَبْحَ لِلَّذِى

أَقَامَ لَدَيْهِ وَامِقًا كَالْمُهَنَّـــدِ[6]

٧٩٥ أَيَذْبَحُ وَالدُّنْيَا إلَيْـــهِ مُفِيضَةٌ

وَهَـــلْ مُسْتَحِقُّ الزَّادِ كَالْمُتَزَوِّدِ؟!

---

(١) يسأد : يُخنق أى يُقتل.

(٢) أجل هذا حكم الحرم . ولا ينبش منه لنقله لمكان آخر .

(٣) ذبح الهدايا والكفارات المتعلقة بالحج والعمرة لا يكون إلا فى حرم مكة .

(٤) المزّيد هنا : المنمّى .

(٥) الجوّاد : الكثير الجود .

(٦) المهند هنا : الذى هنّدته المرأة اى أورثته عشقاً .كناية عن الزواج أو الإقامة فمن أحكام الحرم أنه ليس على المتمتع أو القارن فى حجه ذبح إذا كان من أهل الحرم .

وَيَدْخُلُهُ الغُـــرَّانُ بِيضًا ثِيَابُهُمْ

كَسِرْبِ رَبَابٍ ذَائِبِ السَّبْحِ مُزْبِدِ[1]

أَجَنَّهُمُ[2] نُورٌ مِنَ اللهِ بَاسِطٌ

جَنَاحَيْهِ ، وَالإِحْـــرَامُ لَيْسَ بِحِرْمِدِ[3]

وَصَلَّى لَدَيْهِ النَّاسُ فِي النُّورِ وَالدُّجَي

وَمَسْجِدُ بَيْتِ اللهِ غَيْرُ مُزَنِّدِ[4]

وَمَثُوبَةُ الخَيْرَاتِ فِيــهِ مَزِيدَةٌ

وَمُرْتَكِبُ الآثَامِ كَالمُتَهَبِّدِ[5]

---

(١) الغرّان : جمع الأغرّ وهو الأبيض . والرباب : الأبيض من السحاب وقوله ذائب السبح كناية عن تبخره واختفاء أجزاء منه حال مروره . والمزبد هنا : الذى اشتد بياضه . يصف الحجاج حالة كونهم محرمين بملابس الإحرام .

(٢) أجنهم : سترهم .

(٣) الحرمد هنا : المتغير اللون .

(٤) مزند : متضيق صدره . يشير اليعربى إلى صحة الصلاة فى الحرم فى أى وقت من أوقات الليل والنهار بينما هى مكروهة فى غـيره عند شروق الشمس وعند غروبها .

(٥) المتهبّد : الذى يجنى الهبيد أى الحنظل أو حبّه . فكما أن الله تعالى يضاعف الحسنات فى حرمه فأنه يضاعف السيئات كذلك . .

٨٠٠ وَإِيَّاكُمُ وَالصَّيْدَ ، فَالوَحْشُ آمِنٌ
لَدَى البَيْتِ شَرَّ الصَّائِدِ المتَهَدِّدِ [١]

يَجُولُ كَمَا يَهْوَى ، وَيَخْدِي [٢] وَيَنْتَشِي
وَيَقْضِي سَعِيداً نَحْبَهُ مِثْلَ أَحْصَدِ [٣]

وَلاَ قُتَرَاتٌ [٤] ثَمَّ لِلرِّيمِ وَالطَّلاَ
تُخَالُ كَثِيباً مِنْ هَشِيمٍ مُخَضَّدِ [٥]

وَحَلَّقَتِ الأَطْيَارُ مِنْ كُلِّ سَابِحٍ
وَسَبَّدَ [٦] فَرْخُ النَّسْرِ أَوْ لَمْ يُسَبِّدِ

أَلَمْ يَطِبِ المَغْنَى [٧] بِذَاراً وَحُلَّباً
وَشَاسِبَ [٨] زَرْعٍ فِي مَحَاقِلِ أَيْبَدِ!

---

(١) المتهدد : المخوِّف .
(٢) يخدى : يسرع .
(٣) الأحصد من النبات ما جف وهو قائم .
(٤) القترات : جمع قُتْرَة وهى بيت الصائد الذى يختبىء فيه ليختل الصيد . والطلا : ولد ذوات الظلف .
(٥) مخضد : مقطّع .
(٦) سبَّد الفرخُ : بدا ريشه وشوّك .
(٧) المغنى : المنزل . والحُلَّب : نبات صحراوى تخرج منه عصارة كاللبن .
(٨) الشاسب : اليابس والمهزول . ومحاقل الأيبد : حقول نبات زرعه كالشعير مُسمِّن للنعم .

٨٠٥ وَكُلُّ الَّذِى فِى مُحْرَمِ اللهِ نَابِتٌ

وَمَا نَادَ(١) مِنْ أَشْجَارِهِ لَمْ يُخَضَّدِ

كَذَا يَثْرِبٌ لَا قَطْعَ فِى نَبْتِ قَاعِهَا

وَأَغْصَانِهِ أَوْ فِى النَّخِيلِ الْمُزَهَّدِ(٢)

خاتمة

شهرْتُ لِدِينِ اللهِ شِعْرِى مُهَنَّدًا

وَلَيْسَ كَشِعْرِى مِنْ بِرِنْدٍ(٣) وَمِبْعَدِ

وَلَوْ كُنْتُ ذَا دِينٍ سِوَى دِينِ أَحْمَدٍ

لَأَضْلَلْتُ(٤) عُمْرِى ضِلَّةً مِنْ تَأَلُّدِ

---

(١) ناد : تمايل من النعاس .

(٢) النخيل المزهد : المقدّر ما عليه .

(٣) السيف البِرِنْد : الذى عليه أثر قديم . ذلك لما فى شعر اليعربى من طابع يميل إلى القدم : والمبعد : البعيد الأسفار .

(٤) أضل فلان عمره إذا ذهب عنه فراح يفتقده . والتألد : التحير تسمية بالمصدر .

يسائلني عقلي وللعقل سُؤْلُهُ
فأحرفُهُ عن سَيْرِهِ المُتَسدِّدِ[1]

٨١٠ وتظمأُ نفسي في فيافٍ من الصَّدي
فأُسقَى ضلالاً مِنْ سِقاءٍ مُؤمَّدِ[2]

أليسَ مِنَ الآناسِ مَن يَعْبُدُ الدُّمى
ويَعْبُدُ ناراً لِلْكِباءِ[3] المرمَّدِ!

وحُرِّفتِ التَّوراةُ حتَّى لقدْ غدتْ
تُنفِّرُ أحجاءً[4] وتُتْلى بِمِسْرَدِ

وعِنْدَ النَّصارَي اللهُ ثالوثُ والِدٍ
ولَيْسَ يَصِحُّ الخَلْقُ لِلْمُتَوَلِّدِ

وعِنْدِي أنا رَبِّي هُوَ اللهُ واحِداً
ونَحْنُ حَراً[5] مِنْ مُلْكِهِ المُتَعدِّدِ

---

(١) المتسدد : المستقيم .
(٢) السِّقاء المؤمدُ : الذي ما فيه جرعة ماء .
(٣) الكِباءُ : ضرب من العود والدخنة . والمرمد : المجعول في الرماد .
(٤) الأحجاء : العقول والفِطَن . والمسرد : اللسان .
(٥) حَراً : ناحية .

٨١٥ وَأَشْهَدُ أَنَّ الأَنْبِيَـاءَ خِتَامُهُمْ

«مُحَمَّدٌ» المُخْتَارُ مِنْ بَيْنِ أَسْعَـدِ[١]

وَأَرْكَانُ دِينِي - بَعْدُ - مَا يَعْلَمُ الوَرَى

صَلَاةٌ بِهَا يَعْنُو[٢] إِلَى الأَرْضِ مَسْجَدِي

وَفَرْضُ زَكَاةٍ تَمْحَقُ الفَقْرَ وَالدَّوِي[٣]

وَتَجْعَلُ لِلْمَحْرُومِ فَائِضَ مِخْضَـدِ[٤]

وَصَوْمٌ عَسَى نَدْرِي تَضَـوُّرَ جَائِعٍ

وَلَهْفَـةَ نَفْسٍ لِلْفَقِيرِ المُرْعَدِدِ[٥]

وَحَجٌّ بِهِ ظِمْءُ[٦] المُوَلَّهِ يَرْتَوِى

وَيُطْفِىءُ حَـرًّا فِى الحَشَى كَالتَّبَرُّدِ[٧]

---

(١) يريد بقوله المختار من بين أسْعد : المفضل على سائر الأنبياء الذين كان كلٌّ منهم سعداً وُيمناً للذين آمنوا معه .

(٢) يعنو : يخضع ويذل . والمسجد هنا : الجبهة لأنها تصيب الأرض عند السجود .

(٣) الدوى : المرض .

(٤) المِخْضَدُ : الكثير الأكل – كناية عن الغنى .

(٥) المرعَدِدُ : الملحف فى السؤال .

(٦) الظِمْءُ : الظمأ .

(٧) التبردُ : الاستنقاع فى الماء البارد ليبرد من حرّ الأجسام .

٨٢٠ وَدِينِى هُوَ اللَّحْبُ[١] المُؤَدِّى إِلَى الهُدَى

وَلَيْسَ ضَـلالاً مِنْ كِتَابٍ مُوَلَّدِ[٢]

تَجَرَّدَ ذَلْقاً[٣] بَيْنَ حَقٍّ وَبَاطِلٍ

وَنَافَحَ دُونَ المُؤْمِنِينَ كَمِـذْوَدِ[٤]

وَسَـيَّرَ أَقْوَامًا تَبَتَّرَ[٥] شَمْلُهُمْ

إِلَى الصَّدْرِ كَانُوا بَيْنَ عَانٍ[٦] وَمُخْرِدِ

وَكَانُوا سَرَاحًا[٧] فِى بِطَاحٍ يَءُنُّهَا

مِنَ التَّبْلِ[٨] إِرْكَاسُ الوَنَى المُتَرَعْدِدِ

إِذَا عَبَّسَ[٩] الأَزْمَانُ عَبَّسَ وَجْهُهُمْ

وَآبُوا بِمَالٍ فِى خَنَى النَّفْسِ مُجْهَدِ[١٠]

---

(١) اللحبُ : الطريق الواضح . (٢) الكتاب المولد : المفتعل ،

(٣) ذَلقاً : حدًّا . (٤) المِذودُ هنا : ما يدافع به .

(٥) تبتر : تقطع .

(٦) العانى : الأسير . والمخردُ : الذى طال سكوته أو قل كلامه استحياءً من ذل .

(٧) السَّراح : الذئاب . ويءُنُّها : يضعفها .

(٨) التبْلُ : الثأر . والإركاس : التنكيس والقلب . والونى : الضعف والفتور والإعياء . والمترعدد الذى أخذته الرِّعدة .

(٩) عبَّسَ : عَبَسَ .

(١٠) المال المجهدُ : المفرَّق المُفْنَى .

٨٢٥ مُخَمَّـرَةً[١] أَبْدَانهمْ تحْتَ كُبَّسٍ

وَعِنْـــد أَثَافِيّ[٢] لِنَارٍ مُوَقَّدِ...

أَجَلْ هُوَ دِينُ الحَقِّ وَالعَدْلِ وَالنُّهى

يَدِينُ بِهِ مَنْ حَبَّـهُ[٣] غَيْرَ مُوجَدِ

وَأَسْعَدَ[٤] نَفْساً بِالتَّسَامُحِ فِي الوَرَى

وَأَرْشَدَهَا صَوْبَ الطَّرِيقِ المُسَدَّدِ

وَعَنْ وَقْدِ[٥] لِلنَّـــارِ نَزَّهَ أُمَّةً

تُـكَرَّمُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْحَشْرِ أَجْرَدِ[٦]

فَقَدْ لَقِيَ الإِيمَانُ وَيْساً[٧] وَجَنَّـــةً

يَقُولُ لَهَا الْخَلاَّقُ أَينعْتِ فَاخْلُدِي

---

(١) مُخَمَّرةٌ : ثملة والـكُبَّس أراد بها الجبال الـكبس أى الصلاب الشداد

(٢) الأثافىّ : حجارة توضع عليها القدور ونحوها .والنار تذكر وتؤنث .

(٣) حبه : أحبه . وغير موجد أى غير مكره عليه .

(٤) أسعد هنا : ساعد ووافق .

(٥) الوقد : اتقاد النار .

(٦) اليوم الأجرد هو التام .

(٧) لقى وَيْساً : لقى ما يريد .

٨٣٠ وَلِلكُفرِ : أَيْبِسْ[١] أَأَنتَ فِي النَّارِ خَالِدٌ

وَإِنَّكَ فِيهَا كَالشَّحِيمِ[٢] المُهَرَّدِ..

***

جُهَادَايَ[٣] بَثَّ الحَمْدِ إِذْ هَمَّ طَائِفِي

بِتَرْدِيدِ نَجْوَايَ الَّتِي لَمْ تُرَدَّدِ

وَقُلْتُ لَهُ : أَسْلَمْتَ أَمْ تِلْكَ خَدْعَةٌ[٤] ؟

فَقَالَ : إِلَى الخَلَّاقِ أَسْلَمْتُ مِقْوَدِي

وَقَامَ يُصَلِّي فِي فِنَائِي مُرَدِّداً

دُعَاءً كَمَا يَهْمِي شَجَى المُتَهَجِّدِ

يَقُولُ : أَرَبَّ البَيْتِ رُحْمَاكَ بَيِّنِي[٥]

وَمَازِلْتُ فِي حَتْرٍ[٦] فَكُنْ أَنْتَ مُسْعِدِي

---

(١) أَيْبِسْ : اسكت .

(٢) الشحيم : السمين . والمهرد : الذي أُنعم إنضاجُهُ حتى تهرأ

(٣) جهاداىَ : قصاراىَ . وطائفه هو صاحبه من الجنّ .

(٤) الخدعة كالُخدعة والفتح أفصح .

(٥) بيِّنى : اعتمدنى بالتحية . قاله الأصمعى .

(٦) الحترُ : العطاء القليل .

٨٣٥ دَعَوْتُكَ يَاذَا الأَيْدِ[1] فِيمَا بَلَوْتَنِي

مِنَ الضُّرِّ أَنْ تُغْنَى بِعَبْدٍ مشرَّدِ

مَشَتْ فَوْقَهُ الأَحْدَاثُ مِنْ بَعْدِ صَامِتٍ[2]

فَأَلْفَجَ[3] فِي بَوْنٍ وَبَيْتٍ مُحَرَّدِ

وَيَارَبِّ لاَ تَضْنُنْ عَلَىَّ بِسَابِغٍ

مِنَ الأَمَلِ الموْصُولِ إِنِّى كَمُرْمَدِ[4]

وَجَنِّبْ خُطَاىَ الفَاحِشَاتِ فَإِنَّهَا

مِنَ البَغْيِ وَاجْعَلْ جَنَّةَ الخلدِ مَقْصِدِى

وَبِى ظَمأٌ وَالوَهْجُ فَوْقِى غَيَايَةٌ[5]

فَهَلاَّ جَعَلْتَ الكَوْثَرَ العَذبِ مَوْرِدِى!

---

(١) الأيدُ : القوة .

(٢) الصامِت : المال إذا كان ذهباً وفضة .

(٣) ألفجَ افتقر . والبوْن : الفضل والمزية . وأراد بالبيت المحرد المتواضع والأصل أنه إذا كان البناء مُسَنماً ــ وهو الذى يقال له كوخ أو خُرْبُشْت ــ فهو محرد . وعن القاموس المحرد كمعظم : الكوخ المسنم والمعوج والبيت فيه حرادىّ القصب .

(٤) المرمد : المُهلك .

(٥) الغياية : كل شىء أظلك فوق رأسك كالسحابة والغُبرة والظُّلمة ونحوها .

٨٤٠ وَأَدْعُوكَ يا رَحْمنُ أَنْ تَنشُرَ الرِّضا

عَلَى أُمَمِ الإِسْلامِ نَشْرَ المُسَدِّدِ

وَصُنْهَا غَدَاةَ الرَّوْعِ مِنْ كُلِّ مُعْتَدٍ

وَأَرْغِدْ لَنَا الدُّنْيَا بِرِزْقٍ مُعَلْهَدِ (١)

وَشَرِّفْ مَقَامَ البَيْتِ فِي كُلِّ قَادِمٍ

مِنَ الدَّهْرِ أَوْ بَابٍ مِنَ الغَيْبِ مُوصَدِ

وَأَيِّدْ إِمامًا ضَاءَ فِي البَيْتِ عَرْشُهُ

رَفِيعَ الذُّرَى فِي زِبْرِجٍ (٢) مِنْ مُؤَيِّدِ

لَهُ خِيَرٌ ، وَالقَلْبُ وَرْدٌ (٣) ، وَفِي التُّقَى

مِثَالٌ ، وَيُؤْتِي المَالَ غَيْرَ مُتَلِّدِ (٤)

٨٤٥ وَمَا هَنَّدَتْ (٥) عُنْيَاهُ فِي بِرِّ عَامِدٍ

وَإِرْبَةِ مُعْتَرٍّ (٦) لَدَى السُّؤْلِ أَعْقَدِ

---

(١) الرزق المعلهد : الذى حسن غذاؤه .

(٢) الزبرج : الزينة والمظهر الجميل . والمؤيد : المُقوِّى ، وهو الله سبحانه وتعالى . (٣) وَرْد : جرىء .

(٤) غير متلد : غير جامع مالا .

(٥) هندت : تأخرت . والعامد : القاصد .

(٦) المعتر : الذى يتعرض للسؤال ولا يسأل . والأعقد الذى به عقدة فى اللسان .

أَلاَ فِى حِمَي الْجَبَّارِ شَرْقٌ وَمَغْرِبٌ

يَدِينُ بِدِينِ اللهِ فِى مَوْطِنٍ نَدِ

أَلاَ فِى يَدِ الوَهَّابِ نَجْوَى قُلُوبِنَا

يُحَقِّقُ مِنْ آمَالِهَا كُلَّ مُعْقِدِ

أَلاَ فِى يَدِ الغَفَّارِ شَاهِينُ[١] حُوبِنَا

يُبَدِّدُهُ يَوْمَ الحِسَابِ الْمُبَدَّدِ[٢]...

وَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ كَانَ لِلْبَيْتِ شَاعِراً

بِرُتْبَةِ حَسَّانَ[٣] الْجَوَادِ الْمُجَوِّدِ

٨٥٠ ثَمَانُ مِئِينٍ[٤] ثُمَّ خَمْسُونَ بَعْدَهَا

كَمَا قُدِحَتْ فِى اللَّيْلِ نَارٌ بِأَزْنُدِ[٥]!

---

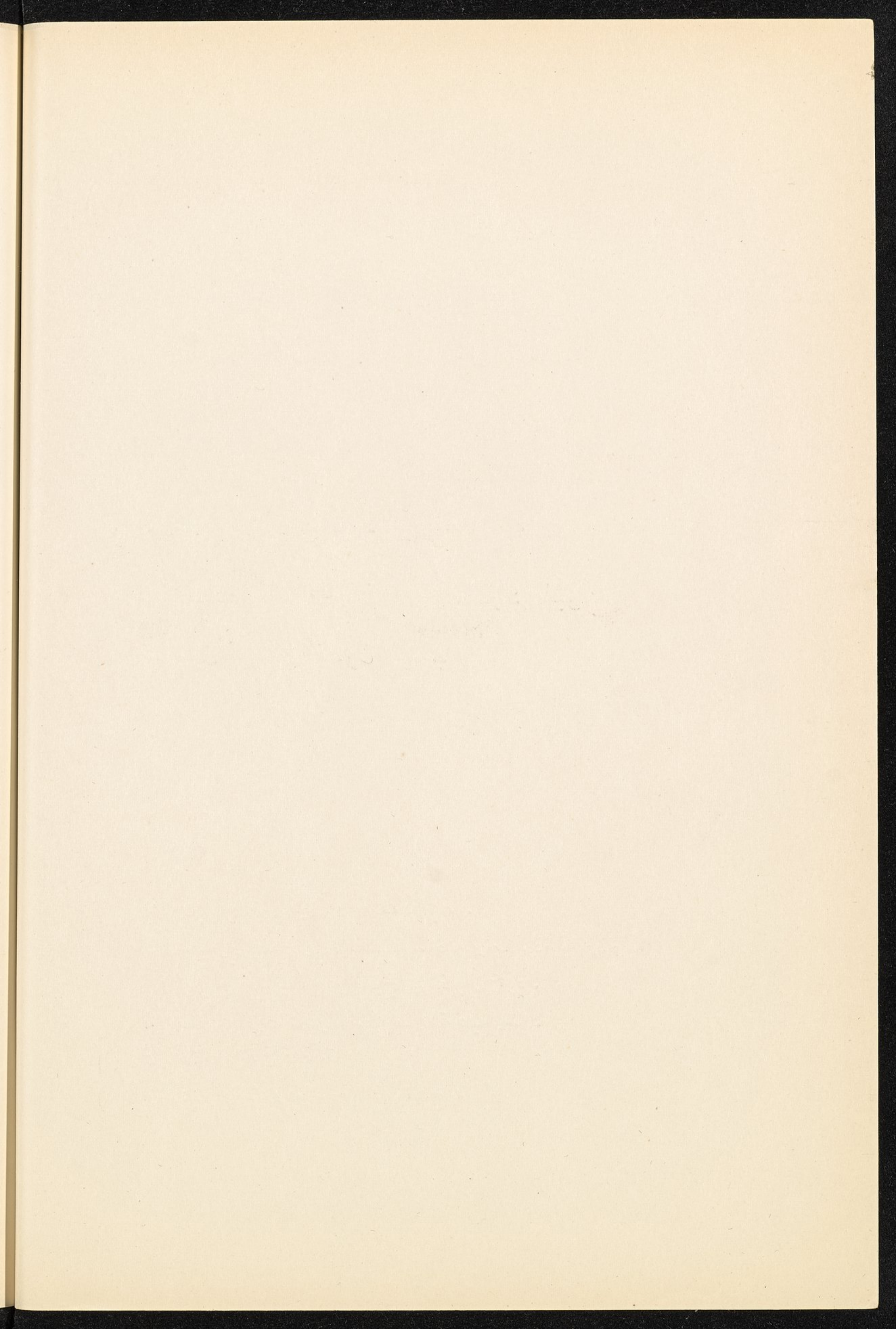
(١) الشاهين . الميزان الكبير . والحوب : الإثم .

(٢) كأنى باليعربى يطمع فى أن يبدد الله سبحانه وتعالى ذنوبه وذنوب أمة محمد يوم الحساب ، وهو طموح إلى الغفران محمود .

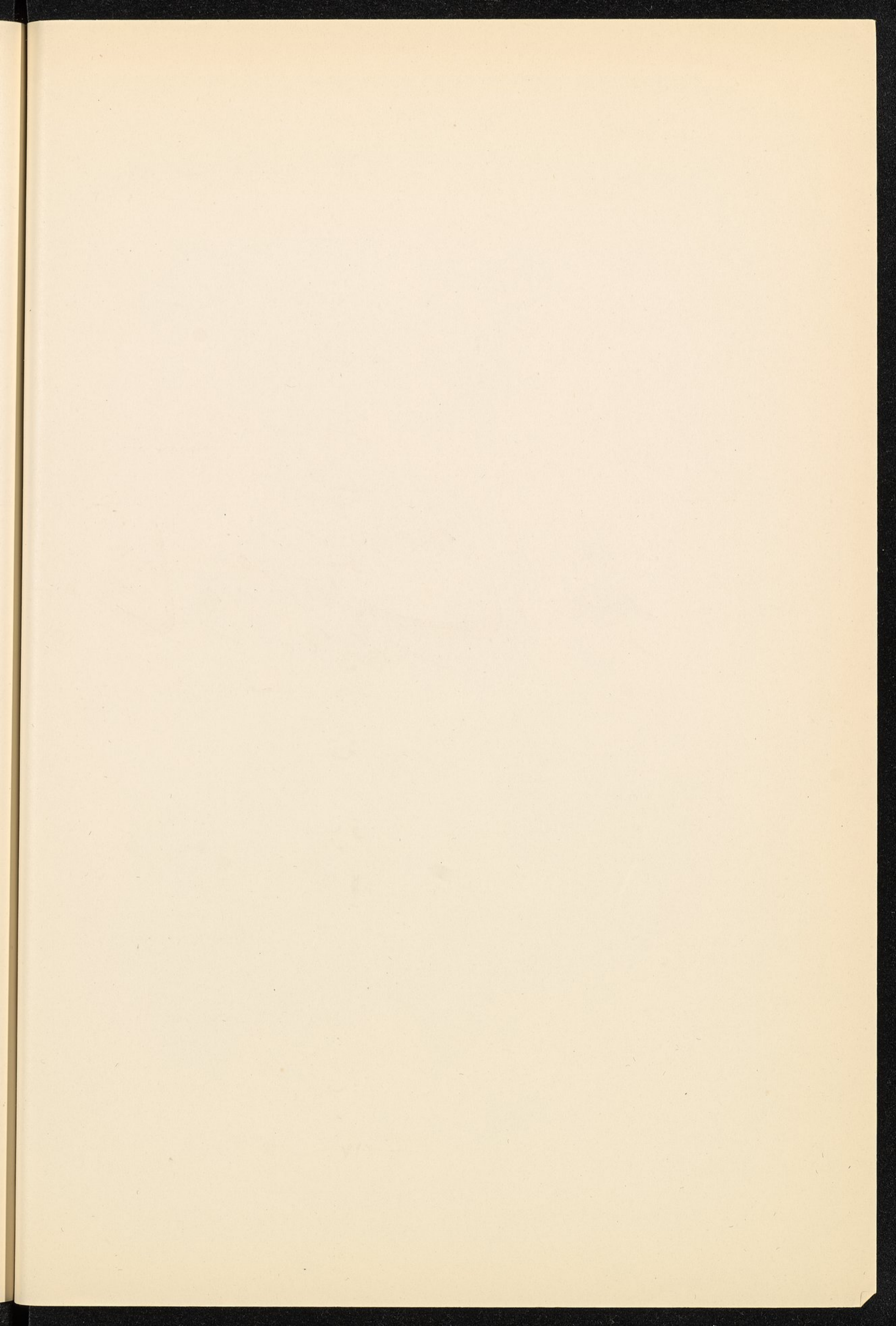
(٣) هو حسان بن ثابت شاعر المصطفى صلى الله عليه وسلم .

(٤) ثمان مِئين : لغة فى ثمانمائة .

(٥) أزند : جمع زَنْد وهو الحجر الذى تقدح به النار .



خَادِمُ بَيْتِ اللهِ



عَلَى أَطْهرِ الآرَاضِ[1] قَدْ قَامَ طَاهِرُ
وَأَقدَسُ بَيْت ما عَلَيْـهِ السَّتَائِرُ

لَنَا سَـتَرٌ[2] غُفْرَانُهُ مِنْ ذُنُوبنَا
وَنِبْرَاسُنَا الهَـادِى نَبِىٌّ مُهَاجِرُ

نَفَى كُلَّ شَيْطَانٍ وَكُلَّ مُوَسْوِسٍ
وَكُلَّ جِـدَالٍ عَبَّأَتْهُ السَّرَائِرُ

وَكُلَّ قِتَالٍ بَيْنَ أَخْـوِ[3] وَأَخْوهِ
فَمُنْهَزِمٌ فِي هُوجِ حَـرْبٍ وَظَافِرُ

٥ هُنَا فَتَوَسَّلْ يَا الَّذِى جِئْتَ كَعْبَةً
رَأَى جَنَّةً فِيهَا وَمَا شَاءَ نَاظِـرُ

أَنَبْتَ[4] إِلَى ربٍّ بِنَوْبٍ وَخَشْيَـةٍ
وَرَبُّكَ لِلذَّنْبِ الَّذِى خِفْتَ غَافِرُ

---

(١) الآراض : جمع الأرض .
(٢) الستر : الترس .
(٣) الأخوُ : لغة فى الأخ .
(٤) أى أقبلت وتبت . والنوْب : القرب .

هِيَ « الكَعْبَةُ » الحَسْناءُ يرْفَعُ رُكْنَهَا

«خَلِيلٌ» .. نَبِىٌّ .. فِي بُنَى[1] الصَّخْرِ مَاهِرُ

بَوَانٍ[2] لهَا تَبْقَى إِلَى يَوْمِ حَشْرِنَا

وَكُلُّ الَّذِي مِنْهَا إِلَى الحَشْرِ ظَاهِرُ..

وَيَرْفَعُ « إِسْمَاعِيلُ » .. مَنْ كَادَ ذَبْحُهُ

يَكُونُ لَنَا مَا شَاءَ فِي الخَلْقِ آمِرُ!

١٠ عَلَيْهِ سَلاَمُ اللهِ جَدًّا « لِأَحْمَدٍ »

بِهِ وَبِطَهَ زَالَ كُفْرٌ وَكَافِرُ..

وَإِنِّى وَإِنْ كُنْتُ الوَضِيعَ مَكَانَةً

وَيَعْلَمُ ضَعْفِى أَقْوِيَاءُ .. أَكَابِرُ

وَأَسْتَغْفِرُ الخَلاَّقَ .. عَلَّقْتُ بَاقِياً

مِنَ الشِّعْرِ فِيهِ القَوْلُ وَالصُّنْعُ فَاخِرُ!

أَلاَ لَمْ يَقُلْ عُرْبٌ وَلاَ الرُّومُ مِثْلَهَا

وَوَدَّ لَوَنِّى[3] كُنْتُ فِيهِمْ أَكَاسِرُ..

---

(١) البنى : كل ما بنيته .

(٢) البوانى : القواعد .

(٣) أى لو أنى . هكذا كتبها اليعربى . وهو إملاء لا يوقع فى الخطأ .

وَخَادِمُ « بَيْتِ اللهِ » بَعْدُ « سُعُودُنا »

وَعَهْدٌ لَهُ فِى غُرَّةِ الشَّرْقِ زَاهِـــرُ

١٥ لَهُ النَّصْرُ مِمَّنْ يَمْنَحُ النَّصْرَ لِلَّذِى

يَقُـــولُ : أَنَا لِلسَّيْفِ فِى اللهِ شَاهِرُ!

وَظَلْتُ أَنَا المِصْرِىُّ أَمْدَحُ تَاجَـــهُ

وَأَنْظِمُ مَا لَمْ يُؤْتَهُ قَبْـــلُ شَاعِرُ

فَقَدْ بَهَرَتْنِى مِنْ « سُعُودٍ » مَمَادِحٌ

قَدِ امَّدَحَتْ[1] ، وَالقَلْبُ بِالدِّينِ عَامِرُ .

فَقُلْتُ : حَيَاتِى ، وَالقَرِيضُ ، وَمِقْوَلِى[2]

إِلَى وَطَنِ المَلْكِ السَّعِيـــدِ مُسَافِرُ

ذَرُونَا يَكُنْ جِسْمٌ بِمِصْرٍ ، فَرُوحُنَا

لَدَى مَلِكِ الإِسْـــلَامِ صَبٌّ مُجَاوِرُ

٢٠ نَظَمْنَا لِمِصْرٍ مَا نَظَمْنَا وَمُهْجَةٌ

غَدَتْ لِمَلِيكٍ ذِكْرُهُ الفَـــذُّ عَاطِرُ!

---

(١) أى اتسعت .

(٢) المقول : اللسان .

لَهُ وَالِدٌ قَدْ كَانَ فِي « نَجْدَ » مُلْكُهُ
وَكَانَ لَهُ خَـيْرٌ(1) هُنَالِكَ وَافِرُ

فَخَارَ لَهُ « الرَّحْمَنُ(2) » فِي ضَمِّ يَثْرِبٍ
وَأُمِّ القُرَى وَالبِيدِ حَيْثُ العَمَائِرُ(3)

هُنَالِكَ كَانَ الحُكْمُ لُجًّا مِنَ الهَوَى
وَلَجَّةَ(4) جَهْلٍ جَمٌّ فِيهِ الكَبَائِرُ

فَلاَ أَمْنَ ، وَالحُجَّاجُ نَهْبٌ لِنَاهِبٍ
وَفِي البَدْوِ قَتَّالٌ عَتِيٌّ وَآسِرُ

٢٥ وَكَانَ وَحِيشاً(5) حَوْلَ « بَيْتٍ » مُحَرَّمٍ
كَمَا سَكَنَ البَيْدَاءَ كَالوَحْشِ كَاسِرُ..

إِلَى ذَلِكَ الوَحْشَانِ(6) أَقْبَلَ فَارِسٌ
لَهُ القَلْبُ بِالإِيمَانِ وَالدِّينِ نَايِرُ

---

(1) الخير : الشرف والكرم والأصل .
(2) أي جعل له فيه خيراً .
(3) العمائر : الأحياء العظيمة في العرب تطيق الإنفراد عن قومها
(4) اللجة : الجلبة .
(5) الوحيش : الوحشي .
(6) الوحشان : المُغتَمّ .

فَأَوْهَبَ[1] أَمْناً ، وَالعُرُوبَةَ ، وَالتُّقى

وَزَالَ عُتَاةٌ ، أَرْدِئَاءُ[2] ، جَبَابِرُ ..

جِهَادُكَ يَا « عَبْدَ العَزِيزِ » مُخَلَّدٌ

عَلَى صَفَحَاتِ الدَّهْرِ وَاللهُ شَاكِرُ!

أَزَلْتَ عَنِ « الأَرْضِ الحَرَامِ » غُشَايَةً[3]

وَجِئْتَ بِمَا لَمْ يَبْتَكِرْهُ العَبَاقِرُ!

٣٠ لِرُوحِكَ غُفْرَانٌ ، وَنَدْعُو بِجَنَّةٍ

بِهَا حَسُنَتْ فِي الخَالِدَاتِ المَنَاظِرُ ..

وَنَجْلُكَ هَذَا ـ مَنْ نَجَلْتَ[4] لِعِزِّنَا

عَلَى مَنْهَجٍ أَنْهَجْتَهُ[5] أَنْتَ سَائِرُ

وَمِنْ عِنْدِهِ التَّجْدِيدُ مِنْ وَحْيِ فِطْرَةٍ

تَعَهَّدَهَا بِالكَيْسِ وَالنُّبْهِ[6] فَاطِرُ

---

(١) أوهب : أعد .

(٢) أردئاء : جمع رَدِيء .

(٣) الغشاية : الغطاء .

(٤) أى الذى أنجبتَهُ .

(٥) أى أبنته وأوضحتهُ .

(٦) النبه : الفِطنة .

هُوَ النَّبِهُ[1] المِحْسَانُ تُوِّجَ لِلْعُلَى

فَهَلَّلَ شَعْبٌ مُؤْمِنُ القَلْبِ ، طَافِرُ

وَقَالَ مَلِيكٌ : « إِنَّ لِلدِّينِ أَوَّلاً

جِهاداً لَنَا ، وَاللهُ مِنْ بَعْدُ نَاصِرُ

٣٥ « لِكَعْبَةِ رَبِّي مَا مَلَكْتُ فَإِنَّهَا

ذَخِيرَتُنَا - بَلْ أَوَّلٌ ثُمَّ آخِرُ .! »

لَدَى غَيْرِ ذِي زَرْعٍ غَدَا القَاعُ إِذْخِراً[2]

مِنَ الرِّزْقِ تَرْعَاهُ بُطُونٌ .. فَوَادِرُ[3] ..

وَإِنَّ زَكَاءَ العَرْشِ - عَرْشِ « سُعُودِنَا »

يُؤَكِّدُهُ مُلْكٌ عَلَى القُدْسِ سَاهِرُ

وَعَمَّ الزَّكَا نَصْراً وَعِزّاً لِمُلْكِهِ

وَصَيَّرَهُ فِي صُدْرَةِ[4] الشَّرْقِ قَادِرُ ..

صَلاحًا أَرَى فِي أَهْلِهِ ، فِي عَشِيرَةٍ

تُزَوِّجُ مِنْهَا ، وَالعُرُوبَ تُصَاهِرُ

---

(١) النبـه : النبيه .

(٢) الإذخر : الكلأ الأخضر .

(٣) الفـوادر . جمع الفادر وهو الوعل أو الناقة تنفرد وحدها .

(٤) الصُدرة : الصَّدْر أو ما أشرف من أعلاه .

٤ وَذُرِّيَّةٌ شَبَّتْ عَلَى طاعَـــةٍ فَمَا
يُدَلَّلُ مِنْهَا أَوْ يُضَلَّـــلُ سادِرُ[١] !

كَمَا يَسَّرَتْ[٢] أَرْزَاقُ يُسْرٍ فَيَسَّرَتْ
مَعِيشَـــةَ بَدْوٍ كانَ يَرْوِيهِ ماطِرُ

تَفَجَّـــرَ سَيَّالٌ بِذُهْبانِ[٣] نَابِعٍ
مِنَ الأَرْضِ ، وَالذُّهْبانُ لِلْغَيْرِ حادِرُ[٤]

فَمِنْهُ الَّذِي يَسْتَنْبِطُونَ نُضَـــارَهُ
وَمِنْـــهُ دَفِينٌ إِنْ تَفَجَّرَ غَامِرُ ..

يَقُولُ « سُعُودُ » السَّعْدِ : يَا « كَعْبَةَ » الوَرَى !
بَنُـــوكِ دُرُوعٌ لِلْحِمَى وَالمَغافِرُ !

٤٥ أَفِيكِ شَكَاةٌ ؟ فَالطَّبِيبُ قُلُوبُنَا
وَأَرْوَاحُنَا يَا « كَعْبُ » ! وَالـكُلُّ حاذِرُ[٥] ..

---

(١) السَّادِر : المتحير .
(٢) أى لانت وانقادت .
(٣) جمع ذهب .
(٤) أى وحالة كون الذهب لغير مملكته من البلاد لا يوجد إلا فى الحادر . تقول جبل حادر أى مرتفع ،
(٥) أى متأهب مستعد .

وَشَكُوكِ[1] شَكْوَانَا ـ وَنَبْنِيكِ مَسْجِداً
وَلَكِنْ بِصَخْرٍ أَنْتِ بَنَّاكِ[2] غَابِرُ..

إِذَا بَلِيَتْ مِنْ بِلْيٍ[3] مَبْنَاكِ صَخْرَةٌ
أَتَتْكِ مِنَ الصَّخْرِ الْجَدِيدِ النَّظَائِرُ

وَإِنْ قُلْتِ : بَابِي ! فَاللُّجَيْنُ وَقَاؤُهُ
وَفَوْقَ لُجَيْنٍ أَوْ ذُهُوبٍ جَوَاهِرُ!

بِأَثْمَنِ مَا فِي الأَرْضِ نَأْتِيكِ فَاسْلَمِي
وَأَحْسَنِ مَا تَهْدِي إِلَيْهِ الْبَصَائِرُ[4]..

٥٠ وَذَا «أَسْعَدُ[5]» ـ سُعْدَانَ رَبِّي ! ـ نَصُونُهُ
وَتُطْلَقُ فِي «الْبَيْتِ الْحَرَامِ» الْمَجَامِرُ

هَيَا بَيْتَ رَبِّي ! أُبْطِلَ الْمَكْسُ جُمْلَةً
وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَا تَبَتَّلَ نَاذِرُ

---

(٥) الشكو : المرض .
(٦) بناك : بناكِ .
(٧) البلى : القديم البالى .
(٨) أى العقول والفطن .
(٩) هو الحجر الأسود . وسعدان ربى أى نطيعه .

فَيَسَّرَ هَـذا حَجٌّ مَنْ كَانَ مُعْسِرًا

وَصَارَ يَسِـيراً أَنْ تَحِجَّ الفَقَائِرُ[1]

نَدِيٌّ ثَرَى «عَبْدِ العَـزِيزِ» فَإِنَّهَا

أَثَارَتُهُ[2] إِذْ زَالَ عَنْـهُ المَعَاذِرُ..

***

أَبَابٌ[3] طَهُورٌ لَيْتَ لِي مِنْهُ قَطْرَةً!

إِذَنْ لاَنْتَشَى أَهْـلٌ وَأُسْعِدَ سَامِرُ..

٥٥ أَلاَ يَا نَشَا[4] نَجْدٍ! نَشِيتُ وَمَا طِلاً

وَلاَ تَيَمَّنِي مِنْ حِسَانٍ «تُمَادِرُ»

بَلِ «الكَعْبَةُ» الحَسْنَاءُ تَخْلَعُ سِتْرَهَا

فَتَخْشَعُ أُمٌّ لِلْقُـــرَى وَالمَنَائِرُ.

جَمَالٌ وَمَا مِنْ فِتْنَـةٍ أَوْ مُوَسْوِسٍ

وَثَبَّ[5] ـ حَرَاماً ـ مَسْجِدٌ وَالمَغَاوِرُ

---

(١) الفقائر : الفقيرات .

(٢) الأثارة : المكرمة المتوارثة والفعل الحميد . والمعاذر : الحجج التى يعتذر بها .

(٣) الأباب : الماء .

(٤) النشا : نسيم الريح الطيبة . ونشيتُ : سكرت .

(٥) ثبّ : جلس متمكناً .

لِيَغسِلَ مَلْكٌ مثَّلَ الطُّهْرَ ثَوْبُهُ

وَآهالُهُ[1] ـ وَالماءُ لِلغَسْـلِ فاتِرُ

قَوَاعِدَ « بَيْتِ اللهِ » وَالْجُدْرَ[2] فَوْقَهَا

فَيَبْتَسِمِ المَغسُولُ وَالمـاءُ صامِرُ .

٦٠ وما الماءُ ؟ ماءُ « زَمْزَمُ » الرِّيِّ نَبْعُهُ

وَزَمْزَمُ هٰـذي مِنْ جِنانٍ مَطاهِرُ[3]

وَما قَطَّرُوا مِنْ رَوْحِ وَرْدٍ بِرَوْضَـةٍ

تَوَرَّدَ خَـدَّاهَا وَ « آذارُ » باهِرُ

فَوارِدَهَا[4] إِذْ ذاكَ أَعْيانُ أُمَّـةٍ

مَناخِـرٍ[5] دُنْيَا اللهِ وَالبَيْنُ واعِرُ ..

هُمُـو زُعَماءُ المُسْـلِمِينَ دَعاهُمُ

« سُعُودُ » المُفَدَّى ـ وَالإِخاءُ الأَواصِرُ

---

(١) الآهال : جمع الأهل .

(٢) الجُدر : جمع الجدار .

(٣) المطاهر : كل ما يتطهر به .

(٤) واردها : ورد عليها أى على الكعبة المشرفة .

(٥) أى من آخر . وواعر : صعب .

وَشَرَّفَهُمْ رَبٌّ بِخِدْمَةِ « كَعْبَةٍ »

وَأَصْدَاءُ « لَبَّيْكَ » تُشِيعُ الحَنَاجِرُ !

٦٥ أَنِيلُوا مُحِبًّا قَطْرَةً مِنْ بَقِيَّةٍ

لِمَا اغْتَسَلْتْ .. تَحْلُو بِذَاكَ المَرَائِرُ

تُطَهِّرُ يَمًّا قَطْرَةُ الغُسْلِ مَا بِحَا

بِآثَامِنَا .. فِيهِ الخَنَى وَالفَوَاقِرُ[1] ..

***

لِصِحَّةِ مَنْ حَجُّوا المَحَطَّاتُ أُنْشِئَتْ

كَمَا فِي بِحَارِ السُّقْمِ شُبَّتْ جَزَائِرُ

بِهَا أُسْعِفَ الحُجَّاجُ إِذْ سَارَ جَمْعُهُمْ

إِلَى « عَرَفَاتٍ » وَهْوَ بِالحَشْدِ هَادِرُ

وَتَهَدْوَدِرُ[2] الأَلْطَافُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

كَأَنَّ قُدُومَ المُسْلِمِينَ المَهَاجِرُ[3] ..

---

(١) الفواقر : الدواهى الشديدة .

(٢) تهدودر : تنصب و تنهمر .

(٣) المهاجر : مواضع الهجرة .

٧٠ فهذى ظِلالُ المليكِ أقامها
لِينْعَمَ بالرَّوْحِ (١) الذى تاحَ عابرُ

إذا شَمستْ (٢) شَمْسُ لحجّ تظلَّلُوا
بسِتْرٍ ، وربُّ العرْشِ بالعطفِ ساترُ

ظلالٌ (٣) لكُمْ ياأملكُ فى يوْمِ حشْرنا
غَداةَ يُقيمُ النّاسَ بالبَعْثِ حاشرُ !

جَعلْتَ جَحيمَ البيدِ بَرْداً وَشْعَّها (٤)
سلاماً - وَكانتْ ثَمَّ تعْشو البَواصِرُ (٥)

أمِلْءُ جنانٍ منْكُمُ روْفَةٌ (٦) بمَنْ
يَزُورُونَ أرْضَ « اللهِ » والحجُّ مائرُ (٧) ؟!

---

(١) الروح هنا : الراحة

(٢) شمس له : أبدى العداوة وتنكر . والحج : الحجاج يشير إلى المظلات الضخمة المنشأة فى منى ومزدلفة وعرفات لوقاية الحجاج من حرارة الشمس أيام اشتدادها

(٣) الظلال : ما أظلك كالسحاب وغيره .

(٤) أى وشعاعها .

(٥) جمع الباصرة وهى العين .

(٦) الروفة : الرحمة .

(٧) المائر : المائج والمضطرب .

٧٥ عَمَّهُمْ بِالأَمْنِ وَالرَّوْفِ[1] وَالنَّدَى

وَكَمْ ذَا أُعِـــدَّتْ لِلْحَجِيجِ الْخَنَاجِرُ..

وَأَسْـــيَافُ قُطَّاعِ الطَّرِيقِ لِدَوْلَةٍ[2]

بِهَا عَظُمَتْ فِي أَرْضِ «طَهَ» الْخَسَائِرُ!

بِآلِ «سُعُودٍ» طُهِّرَ البَـــدْوُ فَانْبَرَوْا

يُعِيدُونَ مَا يَنْسَى بِمَوْرٍ[3] مَآخِـــرُ

فَقَدْ قَطَعُوا يَدًا، وَيَدَيْنِ بَعْـــدَهَا

فَلَمْ يَبْقَ فِي الْحُضَّارِ[4] وَالبَدْوِ صَافِرُ!

وَبِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ لَمْ يَبْقَ طَامِعٌ

وَلاَ هَـــدَّدَ الأَمْنَ الَّذِي سَادَ غَادِرُ

٨٠ بِرَاخٍ[5] مِنَ الأَحْوَالِ عَفَّتْ قَبَائِلٌ

وَمَلْكٌ عَلَيْهَا بِالرَّخَاءِ مُجَاهِرُ

---

(١) الروف: السكون:

(٢) يشير إلى الحكم فى الحجاز قبل الفتح السعودى السعيد.

(٣) المور: الطريق المستوى الموطوء. والمآخر: خلاف القوادم — أى الذين فى آخر الركب.

(٤) الحضار: جمع الحاضر وهو ساكن الحضر. والصافر: اللص.

(٥) أى بمتسع هنىء. والراخ: السعة واليسر.

وأَرْخص للحُجَّاج بالقِسْط ما أكلا

فلمْ يرفعِ الأسْعارَ في السُّوقِ ماكرِ

ترَى حوْلَهُ دُنيا الغــلاءِ ومُلْـكَهُ

رَخاءٌ إذا ما قِيسَ بالغَــيْرِ نادِرُ

تَقسَّطَ(١) شعْبُ اللهِ بالحقِّ رزْقَهُمْ

وصَــارَ نَقِيًّا ما تُـكِنُّ الضَّمائِرُ

وعادُوا إلى ماضٍ لهُمْ مِنْ عفافةٍ

فقــلَّدَ أَصْحابَ النَّبِيءِ الأَواخِرُ!

٨٥ زَكا الماءُ .. فاضَ الماهُ .. صارَ مُيسَّراً

وما في شِراءِ المــاءِ شُحٌّ يُحاوِرُ

ويذْكُرُ منْ حجُّوا قُبيْلَ تمكُّنٍ

لِآلِ « سُعُودٍ » ما تحكَّمَ فاجِرُ..

لقَدْ بِيعَ بالأَذْهابِ(٢) في عصْرِ جائِدٍ

ذَهُوبٍ(٣)، وهَذا النَّهْجُ في الحُكْمِ بائِر

---

(١) تقسط القوم الشيء بينهم : تقسموه على السواء .

(٢) جمع الذهب .

(٣) الذهوب : الذاهب .

إلى ذلكم تاحتْ ديارٌ لساكنٍ

فما بينَ حُجَّاجٍ بمكَّةَ حائرُ

قدِ اتَّسعَ العُمْرانُ ـ عَمْرَكَ[1] خالِقي ! ـ

وَثَمَّ بِناءٌ في المدائنِ دائرُ

٩٠ ومكَّةُ ـ مَهْدُ «البيْتِ» ـ فيها مَعامِرُ[2]

وفيها منَ الدُّورانِ[3] رَحْبٌ ، دُواسِرُ ..

«زُبيْدَةُ» تَسْقِيها زُلالاً زُلازِلاً[4]

وماءُ «حُنَيْنٍ» مِنْ نَميرٍ مُناصِرُ

فإنْ أَنمرَ[5] الحُجَّاجُ مِنْ بَعْدِ راحةٍ

ولَمْ يُتْعِسِ الأَفْواجَ مِنْهُمْ مَحامِرُ[6]

---

(١) هذه مثل « لعمر الله » بالنصب على المصدرية .

(٢) المعامر : المنازل المكتظة بالسكّان .

(٣) جمع الدار . والدُّواسر : الضخم الشديد .

(٤) أي عين زبيدة . والزلازل كالزُّلال وهو العذب الصافي يمر سريعا في الحلق .

(٥) أنمر صادف ماءً نميراً .

(٦) المحامر : اللؤماء .

وَطوَّفَهُمْ مَنْ أَتقَنُوا مِهْنَةً لَهُمْ
وَلَمْ يَكُ فِيهِمْ مُهْمِلٌ أَو مُصَاعِرُ[1]

دَعَوْا لِلَّذِي قَدْ نَظَّمَ الحِرْفَةَ الَّتِي
يُسِيءُ إِلَيْهَا جَاهِلٌ وَالمُحَاكِرُ[2]

٩٥ أَدِلاَّؤُنَا أَعْضَاؤُهَا فِي مَوَاقِفٍ
مِتَانٌ[3] إِلَيْهَا طَائِرَاتٌ ، وَضَامِرُ..

بَلَى .. وَبَنَيْتُمْ يَا مَلِيكِي مَصَحَّةً
بِأَرْضِ «مِنًى» مِنْ رَوْفِهَا[4] البُرْءُ صَادِرُ

كَرَيِّضَةٍ[5] تَبْدُو - وَأَحْوَاضُهَا بِهَا
مِنَ الثَّلْجِ مَا يُحْكَى، وَتُحْكَى نَوَادِرُ..

إِذَا ضَرَبَتْ شَمْسٌ ضُيُوفًا لِكَعْبَةٍ
أَوِ انصَرَعَ الضَّعْفَانُ وَالحَشْدُ طَاغِرُ[6]

---

(١) المصاعر لخده : الذى يميله عن الناس تهاونا أو كبرا .
(٢) حاكره : لاحه وماراه .
(٣) المتان : جمع المتن وهو الظهر .
(٤) الروف : السكون .
(٥) الريضة : الروضة .
(٦) الطاغر : الدافع .

قَرِيبٌ عِلَاجٌ أَوْ فِرَاشٌ مُثَلَّجٌ

تَزُولُ بِهِ عَنْ ذِي لُهَابٍ[1] مَخَاطِرُ..

١٠٠ لَهُ مَصْنَعٌ لِلثَّلْجِ أُحْدِثَ رَأْفَةً

وَمَا فِيهِ مِنْ ثَلْجٍ قَرِيبٌ مُؤَاصِرُ[2]

يُلَطِّفُ مِنْ حَرٍّ وَيُسْعِفُ فِي الضَّنَى

وَيَحْمِلُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ بَوَادِرُ[3]

فَإِنْ تَاهَ يَوْمَ النَّفْرِ[4] أَوْ بَعْدَهُ فَتًى

وَمِنْ قَبْلُ بِالتَّيْهَانِ[5] ضَلَّتْ حَوَاجِرُ

دَعَتْهُ إِلَى حِضْنِ الأَمَانِ «مَدِينَةٌ»[6]

لِمَنْ ضَلَّ فِيهَا رَاحَةٌ وَالبَشَائِرُ..

تَذَكَّرْتُ لَمَّا كَانَ يُخْطَفُ تَائِهٌ

فَيَفْرِسُهُ صَقْرٌ مِنَ البَدْوِ صَاقِرُ[7]..

---

(١) اللهاب : اللهيب .

(٢) المؤاصر : المجاور .

(٣) البوادر : المسرعون والمستبقون .

(٤) النفر للحجاج من عرفات : الاندفاع إلى مزدلفة فى طريقهم إلى منى .

(٥) التيهان . الضالّ . والحواجر : النواحى .

(٦) هى مدينة التائهين بمنى .

(٧) صقرٌ صاقر : حديد البصر .

١٠٥ مَشَى خَيْطَفاً[١] رَكْبٌ لِحُجٍّ بِدَوْلَةٍ
تَعَجَّلَهَا «عَبْدُ العَزِيزِ» المُصَاحِرُ[٢]!

***

لِمَنْ هَذِهِ الأَنْوَارُ وَاللَّيْلُ مُظْلِمٌ؟
فَنَحْنُ بِعَصْرٍ مِنْ عُلُوٍّ نُبَاصِرُ[٣]
مَلِيكٌ أَضَاءَ القَلْبُ مِنْهُ بِشُعْلَةٍ
مِنَ الدِّينِ - وَالوِجْدَانُ نُصْحٌ مُثَابِرُ..
أَضَاءَكِ يَا «أُمَّ القُرَى» فَالدُّجَى» ضُحًى
وَأَنْتِ بِهَا يَا جَارَةَ «البَيْتِ» سَافِرُ
يَجِيئُكِ سُفَّارٌ[٤] بِلَيْلٍ تُقِلُّهُمْ
إِلَيْكِ مَطِيٌّ .. طَائِرَاتٌ .. بَوَاخِرُ
١١٠ فَيُلْفُونَ شَمْسًا أَشْرَقَتْ فِي دُجُنَّةٍ
يَرَاهَا مِنَ الأَبْعَادِ نَجْدٌ وَ «حَاجِرُ» ..

---

(١) الخيطف : الذى يمشى سريعاً .
(٢) المصاحر : الذى يقاتل قرنه فى الصحراء ولا يخاتله .
(٣) باصر الشىء : أشرف ينظر إليه من بعيد .
(٤) السفار : المسافر .

لِآلِ «سُعُودٍ» فِيكِ يا بَكَّةَ الهُدَى

يُدِيٌّ[1] .. وَجَمَّتْ مِنْ مَلِيكٍ مَآثِرُ

وَأَقْرَا[2] لَهُ مُسْتَقْبَلاً قَلَّ صَنْوُهُ

وَمِنْ نُفُعٍ[3] مِنْهُ عَلَى العُرْبِ حَاضِرُ

وَظَلَّتُ[4] مَدَّاحًا لَهُ وَالنَّدَى جَداً

وَمَا لِي مِنَ المَاضِي وَآتٍ مُنَاظِرُ!

تَنَظَّرْتُ[5] نُورَ الكَهْرَبَاءِ عَلَى الَّتِي

عَلَيْهَا مِنَ الخَلَّاقِ نُورٌ .. مَآزِرُ[6] ..

١١٥ سُعُودِيَّةٌ[7] لَحْماً وَدَماً وَآلَةً

وَدَاعَبَ هَذِهِ اللَّيْلِ مِنْ ذَاكَ صَاخِرُ[8]

---

(١) جمع يد بمعنى المعروف .

(٢) أقرا : أقرأ بنطق بعض العرب . والصنو : الأخ الشقيق .

(٣) النفع : جمع النَّفوع وهو الكثير النفع .

(٤) ظَلَّتُ : لغة فى ظللت بإبقاء الإدغام .

(٥) تنظرت : تأملت بعينى .

(٦) المآزر : كل ما سترك .

(٧) أى الكهرباء ، فشركتها سعودية بحتة .

(٨) الصاخر : صوت وقع الحديد على الحديد .

رَأَيْنَا .. وَشَاهَدْنَا كَثِيراً .. فَلَمْ نَجِدْ

لِكَعْبَتِنَا - وَاللَّيْـــلُ بِالضَّوْءِ بَاحِرُ[1]

وَهَيْبَتِهَا إِذْ ذَاكَ صِنْوًا .. وَإِنَّنِي

بِيَدِّكَ يَا مَوْلَاىَ هٰــذِي مُبَاهِرُ[2] ..

---

(١) الباحر : المبهوت .

(٢) بيدك أى بمأثرتك هذه . والمباهر : المفاخر .

فهـــرس

الموضـــوع	الصفحة

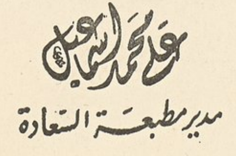
المرجو من القارئ الكريم ملاحظة تشكيل الكلمات التالية فى مواضعها

ص	السطر	الكلمة	ص	السطر	الكلمة
٤٥	٣	الحُجَّاج	١١٩	١	بَطْشَهُ
٤٥	٣	تَمَسَّحُوا	١٢٢	٣	طَبٌّ
٤٨	٣	مُدْخَلُهُ	١٢٨	٣	هَوْزَنٌ
٥٤	١	بَحِيرَةٌ	١٣٩	٣	وَتَخْمُشُ
٦٧	١٩	الحِجْر	١٥٢	١٠	أَمْجَدِ
٧٤	٢	أَبْلَدِ	١٥٥	١١	أَصْنَامِهِمْ
٨٥	٨	فَذٌّ	١٥٧	٣	دُكُّوهُ
٨٥	١٢	تُعَيِّرُنى	١٥٧	٧	المُصْطَفَى
٩٢	٩	يُوغِلوا	١٦١	١٥	الجَهْمَةُ
٩٤	٢	قُعْدُدِ	١٦٦	٤	المتوكِّدِ
٩٦	٢	وخَطَّارَ	١٦٨	٣	بِشْرٍ
٩٧	١٦	تَجَدَّلَ	١٧٠	٦	يَخُطُّ
١١٢	٥	صُفْنَهُ	٢١٧	٢	بَيْتٍ

جدول الخطأ والصواب

ص	السطر	الخطأ	الصواب	ص	السطر	الخطأ	الصواب
٣	١٢	الأولى	الأُلَى	٧٤	٤	منه	منهم
٣٩	٧	صحوة	ضحوة	٨٥	٩	هدا	هذا
٤١	١٥	الطيرى	الطبرى	٩٠	١٠	قيتبة	قتيبة
٤٦	١٩	المتعبد	المعبِّد	٩٣	٩	بألقايهم	بألقابهم
٤٨	٢٠	عمرو	عمروا	٩٦	٩	فهاجث	فهاجت
٥٩	١٧	وَصَخَّد	وَصَخَّدهُ	٩٦	١٤	شريرأ	شريراً
٧١	١٠	إل	إِلَى	٩٩	٩	يزبد	يزيد
٧٣	٢	ضوا	نهضوا	١١٥	١٦	قيِّد	فيِّد
٧٣	١١	الغم	الفم	٢٢٤	١٣-١٧	٩،٨،٧،٦،٥	٥،٤،٣،٢،١

تم بتوفيق الله تعالى طبع هذه « المعلقة الإسلامية » بمطبعة السعادة بالقاهرة في يوم الأحد مطلع شهر رمضان المبارك سنة ١٣٧٤ هـ ، الموافق ٢٤ إبريل سنة ١٩٥٥ م ؟



مدير مطبعة السعادة

